



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة كربلاء
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

الدلالة القرآنية في ضوء مفهوم القيمة لـ دى سوسير

أطروحة تقدم بها

قحطان هادي حسن الجليحاوي

إلى
مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة كربلاء، وهي جزء من
متطلبات نيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها / لغة

بإشراف

الاستاذ المساعد الدكتور

ليث قابل الوائلي

٢٠١٩ م

١٤٤٠ هـ

الإهداء.

والدتي الغالية... عساني أخفض لك جناح الذل من الرحمة، منعك
الله بواف من الصحة والعافية.
أخوي بل ناظري...
زوجتي زهرة الحياة الدنيا...
أولادي زينتها...
أهديكم مجهود البحث

الباحث

المحتويات

الموضوعات	الصفحة
المقدمة	٦-٢
التمهيد: المعنى القرآني والدلالة القرآنية ، النشأة والمفهوم.	٢٣-٨
المعنى القرآني والدلالة القرآنية .	١١-٨
مصطلح معاني القرآن ونشأته .	١٧-١٢
المصادر الأولى لكتب معاني القرآن أو الدلالة القرآنية .	٢٣-١٨
الفصل الأول – مفهوم القيمة في الدرس الدلالي	٧٨-٢٥
مشكلة المعنى في الدرس الدلالي.	٣١-٢٥
الإشارة اللغوية عند دي سوسير .	٣٥-٣٢
١- الاعتباطية.	٣٧-٣٦
هل للاعتباطية استثناءات أو حدود .	٤٠-٣٨
٢- الصفة الخطية للدال.	٢١-٤١
مفهوم القيمة عند دي سوسير .	٤٦-٤٣
مفهوم القيمة بعد دي سوسير	٤٨-٤٧
الفرق بين القيمة والدلالة.	٥٠-٤٩
العلاقات التركيبية والعلاقات الاقتراطية.	٥٣-٥١
تصورات المفسرين عن مفهوم القيمة وعلاقتها بالمعنى التركيبي.	٥٩-٥٤
مفهوم القيمة عند علماء الإعجاز	٧٨-٦٠
مفهوم القيمة عند علي بن عيسى الرماني	٦٢-٦٠

	مفهوم القيمة عند أحمد بن محمد الخطابي
٦٦-٦٥	مفهوم القيمة عند أبي بكر الباقلاني
٦٨-٦٧	مفهوم القيمة عند القاضي عبد الجبار المعتزلي.
٧٣-٧٠	تصورات الإمام عبد القاهر الجرجاني عن مفهوم القيمة في نظرية النظم.
٧٨-٧٤	فيما انماز به عبد القاهر الجرجاني عن دي سوسير في مفهوم القيمة .
١٣٣-٨٠	الفصل الثاني – الاستبدال المتسلسل ومفهوم القيمة
٩٩-٨٣	١. الاستبدال الأحادي .
٨٩-٨٣	أ. الاستبدال الافتراضي في محور اقتراني وحيد.
٩٩-٩٠	ب . الاستبدال الافتراضي في محاور اقترانية متعددة.
١٠٧-١٠٠	٢. الاستبدال الثنائي.
١١٨-١٠٨	٣. الاستبدال الثلاثي.
١٣٣-١١٩	٤ . الاستبدال الرباعي .
١٧٠-١٣٥	الفصل الثالث – الاستبدال غير المتسلسل ومفهوم القيمة
١٤٢-١٣٥	١. استبدال الألفاظ المتشابهة دلاليًا.
١٤٧-١٤٣	٢. استبدال المتقابل.
١٥٢-١٤٨	٣. الاستبدال الزمني للفعل.
١٥٦-١٥٣	٤. الاستبدال في التضمنين النحوي.
١٦٢-١٥٧	٥. الاستبدال المجازي.
١٦٦-١٦٣	٦. استبدال النكرة والمعرفة.
١٧٠-١٦٧	٧. استبدال الحروف.

١٧٤-١٧٢	الخاتمة والنتائج.
٢٠٠-١٧٦	المصادر.
	الملخص الإنكليزي.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين .

أما بعد

فقد تطورت اللسانيات الحديثة تطورا ملحوظا ، وتفرعت إلى مدارس واتجاهات متنوعة ومختلفة ، لكنها في نهاية المطاف كانت كأنها تتغذى جميعا من فكر رجل واحد ، وهو بحق أصل كل تلك الرؤى اللسانية الحديثة ، إنه فرديناند دي سوسير ، ملهم علم اللغة الحديث ، بما جاء به في دروسه في الألسنية .

ومن تلك الأفكار مفهوم (القيمة) ، التي أثمر عنها مشروع البحث : (الدلالة القرآنية في ضوء مفهوم القيمة لدي سوسير) الذي اقترحه الأستاذ الدكتور غالب المطلبي ، جزاه الله خيراً ، وقد كان اختياره لهذا الموضوع لسببين اثنين هما :

الأول : أهمية موضوع القيمة في محاضرات دي سوسير ، فضلا عن وجود تقارب منهجي بين مفهوم القيمة وبعض المفاهيم في التراث اللغوي العربي ، كنظرية المجاورة للقاضي عبد الجبار المعتزلي ، ونظرية النظم للإمام عبد القاهر الجرجاني ، وغيرهما من اللغويين والمفسرين ، كما سيأتي في صفحات البحث .

الثاني : أنه مما يمكن توظيفه لبيان الدلالة القرآنية ، لا سيما وأنه يتفق مع مفاهيم عربية إسلامية من جهة ، وما ينماز به من قواعد علمية رياضية تتصف نتائجها بالدقة والموضوعية من جهة أخرى .

ولجدة موضوع البحث في مضمار الدراسات اللغوية ، فقد باركه أساتذتي وشيوخه في جامعة كربلاء ، ورفدوني بالملاحظات القيمة ، ووجهوني التوجيه العلمي للخوض في هذا الموضوع ، ومن أولئك الأفاضل كان الدكتور ليث الوائلي المشرف على البحث ومقومه ، وإليه أقرب بالفضل وأعترف بجميل الرعاية الأخلاقية والعلمية ، ولا

أملك له ولكل سدنة العلم في هذه الجامعة إلا دعائي المتواتر أن يمد الله في أعمارهم في خير وعافية، وأن يزيدهم بسطة في العلم خدمة للغة القرآن الكريم .

ويمكن للباحث أن يوجز الخطوط العامة لمنهجه في هذا البحث بالآتي :

١- اعتماد الباحث في قراءة وتحليل محاضرات دي سوسير أكثر من ترجمة، فالقراءات المختلفة لأفكاره ذلت الكثير من الصعوبة والغموض مما اتصفت بهما تلك المحاضرات ، وهذه الترجمات هي :

أ - الترجمة العراقية التي بعنوان : علم اللغة العام ، ترجمة:الدكتور يوثيل يوسف عزيز،مراجعة: الدكتور مالك المطليبي ، دار آفاق عربية ، ١٩٨٥ .

ب - الترجمة الفلسطينية التي بعنوان :فصول في علم اللغة العام ، ترجمة : الدكتور أحمد نعيم الكراعين ،دار المعرفة الجامعية .

ج - الترجمة اللبنانية التي بعنوان : محاضرات في الألسنية العامة ، ترجمة: يوسف غازي ومجيد النصر ،دار نعمان للثقافة والنشر ، ١٩٨٤ .

د - الترجمة التونسية التي بعنوان : دروس في الألسنية العامة ، ترجمة : صالح القرماضي ،محمد الشاوش ، محمد عجينة ، الدار العربية للكتاب .

٢- اختلفت بعض مصطلحات دي سوسير بين ترجمة وأخرى،وقد أثر الباحث مجموعة من المصطلحات التزم باستعمالها ،وما ورد مرادفا لها في صفحات البحث ، فإنه يعكس الجهة التي تتبناه. وأهم تلك المفاهيم :

أ- دي سوسير، إذ ورد بأكثر من لفظ : (دي سوسور، دوسوسور، سوسير، دي سوسير)

ب - الإشارة اللغوية ، فقد ترجمه بعضهم بالعلامة اللغوية أيضا.

ج - المحور التركيبي والمحور الاقتراني، ربما كان هذا المفهوم من أكثر مفاهيم دي سوسير اختلافا في الترجمة عند هؤلاء، فمن التسميات : (الخط الأفقي والخط العمودي

،المحور التركيبي والمحور الترابطي،العلاقات السياقية والعلاقات الترابطية،العلاقات السنتاكية والعلاقات الإيحائية،المحور التركيبي والمحور الاقتراني).

٣- أثر الباحث استعمال المنهج الوصفي التحليلي آلة لغوية،فالوصف عرض للكلام المنتقى،والتحليل مايعكس فكرة القيمة في ذلك الكلام .

٤- أثر الباحث اختصار أسماء المصادر المطوّلة، فمثلاً (جامع البيان في تأويل القرآن) مختصر بـ: (جامع البيان)،(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) مختصر بـ : (المحرر الوجيز) وهكذا في غيرهما ، كما التزم الباحث بذكر اسم صاحب الكتاب في الكتب التي يقع فيها اللبس ككتب معاني القرآن.

٥- استعمل الباحث تجوّزا مصطلح (مفهوم القيمة عند أحد المفسرين، أو أحد اللغويين) وفي الحقيقة هي مقاربات فكرية ؛ لأنهم لم يستعملوا مصطلح القيمة بلفظه.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم تمهيداً مسبقاً بمقدمة تلتها ثلاثة فصول، مذيلاً بخاتمة أودع الباحث فيها أهم فوائد البحث ونتائجه، وثبت بالمصادر والمراجع .

فكان التمهيد يبحث في الصلة الحقيقية بين مفهومي (الدلالة القرآنية) و (المعنى القرآني) عبر قراءة في الجذر التاريخي لكل منهما،وتتبع الباحث فيه مصطلح معاني القرآن ،وأسباب التأليف في هذا العنوان، مع ذكر أسماء المصنفات الأولى فيه.

وقد وسم الفصل الأول بـ (مشكلة المعنى في الدرس الدلالي)،وفيه ناقش الباحث التعقيد والغموض اللذين يحيطان بالمعنى، وفيه تصوير لآراء الكثير من اللغويين القدماء والمحدثين ،مع شيء من التفصيل لأفكار دي سوسيرفي هذا الصدد ،ولم يغفل الباحث عن التنظير لمفهوم القيمة ومحوري التركيب والاقتران.

وناقش الفصل الثاني الاستبدال المتسلسل وعلاقته بالقيمة ، إذ تقوم فكرته على مبدأ المقابلة بين الآيات المباركة والوقوف على الاختلاف الذي هو من دون شك يؤسس قيمة تلقى بظلالها على الدلالة القرآنية لمجموع الآيات المتقابلة.

وجعل الفصل الثالث للحديث عن الاستبدال غير المتسلسل وعلاقته بالقيمة ،
كاستبدال المتشابه الدلالي ،واستبدال المتقابل وغيرهما .

وإني أحمد الله ربي إذ وفقني لإتمام هذا العمل الذي لم أدخر لإنجازه جهداً، ولم
أتهاون ولم أتقاعس عن إنعام نظر في مسألة أو إمعان فكر في أمر ، فقد كنت
أرجوله الكمال ،لكنه متعذر مع قدرة الإنسان وواقعه، ف((لو غُرض كتابُ سبعين
مرة لوجد فيه خطأ،أبى الله أن يكون كتاباً صحيحاً غي ركتابه)) (١).
وأخيراً أجدني ممتناً لكل من ساعدني بصغيرة أو كبيرة فكانت من أسباب تمام هذه
الصفحات.

أستاذي المشرف أشكره وافر الشكر، لوقوفه معي في تجربتي مع دي سوسير،فقد
أجاد وأفاد ، أسأل الله له كل خير.وخالص شكري وامتناني لأستاذي الدكتور غالب
المطليبي على علمه الذي سخره لي قربة إلى الله تعالى،وخدمة للقرآن ولغته ،جزاه
الله عني خير جزاء المحسنين. كما أثني شاكراً على أساتذتي في قسم اللغة العربية
مد الله في أعمارهم جميعاً ووفقهم لخير ما يرضى لكل ما أفادوني به من مقترحات
وتصويبات كانت مدعاة للامتنان لهم والاعتراف بفضلهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



الدلالة القرآنية والمعنى القرآني

يدور مصطلحا (الدلالة القرآنية) و(المعنى القرآني) في دائرة بيان مراد الله تعالى الموجه إلى الإنسان عبر نصه المقدس القرآن الكريم .

ولا شك أن هناك تواشجاً دلالياً بين هذين اللفظين ، وفي توطئة لتدوين هذا التقارب بينهما يستقرأ الباحث ما جاء في المعجمات العربية ، فقد ذكر صاحب العين أن : الدلالة مصدرُ الدليل (بالفتح والكسر) (١) و((والدليل: الدالُّ. وقد دلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلَالَةً ودِلَالَةً ودُلُولَةً،والفتح أعلى)).(٢)

في حين ورد لفظ (معنى) في المعجمات على أكثر من مضمون لكن أقربها للفظ(الدلالة) ما كان يشير إلى القصد ومنه قولنا: ((عَنَيْتَ فَلَانَا عَنِيًّا أَي قَصَدْتَهُ وَمَنْ تَعْنِي بِقَوْلِكَ؟ أَي مِنْ تَقْصِدُ؟ وَعَنَانِي أَمْرُكَ أَي قَصَدْنِي)).(٣)

وقد استعمل مصنفو الكتب الأولى في تفسير القرآن ومعانيه وغريبه ومجازه لفظي (الدلالة) و(المعنى) أو ما اشتق منهما لبيان القصد القرآني في آياته المباركة . جاء في تفسير الطبري في تفسير قوله تعالى {أَوْ تَرَقَّى فِي السَّمَاءِ}(٤) ((فأدخلت (في) في الكلام ليدل على معنى الكلام يقال رقيت في سلم فأنا أرقى رَقِيًّا ورَقِيًّا و رُقِيًّا ورَقِيًّا)) (٥).

ومثله جاء في تفسير قوله عز من قائل: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}(٦) إنما قال صفاً ((ليدل على أن القتال راجلاً أحب إليه من القتال فارساً ؛لأن الفرسان لا يصطفون وإنما تصطف الرجالة)) (٧).

(١) ينظر العين: ٨/٨ دل

(٢) الصحاح تاج اللغة: ٤ / ١٦٩٨ دل

(٣) تهذيب اللغة : ٣ / ١٣٦ عن

(٤) سورة الإسراء : من الآية ٩٣ .

(٥) جامع البيان: ١٧ / ٥٥٤ .

(٦) سورة الصف : ٤

(٧) جامع البيان: ٢٣ / ٣٥٧ .

وعن الزجاج أنه قال في معنى قوله تعالى: { وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } (٢) إن فيه دلالة على سرعة أمر البعث والساعة (٣) والماوردي يذكر في نكته في بيان دلالة قول الحق سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } (٤) ففي ذلك دلالة على تخصيص التحريم من عموم الإباحة، (٥) ومثل ذلك كثير عند المفسرين (٦). والحال نفسه فيما يتعلق بلفظ (معنى) أو أحد مشتقاته فقد جاء في معاني الأخفش في بيان دلالة قول الحق سبحانه: { وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا } (٧) فمعناه: فكرهنا أن يرهقهما طغياناً وكفراً؛ لأن الله لا يخشى (٨).

ونقل عن الطبري قوله في بيان دلالة قوله عز من قائل: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ } (٩) إن قوله: ((أَلَمْ ليس معناه أَلَمْ تر بعينك وإنما أَلَمْ تر بقلبك ، فمعناه أَلَمْ تعلم فتذكر)) (١٠) وذكر الزجاج في بيان الدلالة في قوله تعالى: { إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا } (١٠) أما: ((خِطْئًا بالكسر فمعناه أثماً كثيراً)) (١١) واستعمال لفظ (معنى) أو أحد مشتقاته كثير في كتب المفسرين (١٢).

-
- | | |
|------|---|
| (١) | سورة الأنعام : من الآية ٧٣ . |
| (٢) | ينظر معاني القرآن للزجاج : ٢ / ٢٦٤ . |
| (٣) | سورة البقرة : من الآية ١٧٢ . |
| (٤) | ينظر النكت والعيون : ١ / ٢٢٢ . |
| (٥) | ينظر تفسير القرآن للسمعاني : ٥ / ٢٢١ ، مفردات الراغب الأصفهاني : ١ / ٣٨١ ، غرائب التفسير ١٠١٠ / ٢ . |
| (٦) | سورة الكهف : ٨٠ . |
| (٧) | ينظر معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٤٣٣ . |
| (٨) | سورة البقرة : من الآية ٢٥٨ . |
| (٩) | جامع البيان : ٥ / ٤٨٥ . |
| (١٠) | سورة الأسراء : من الآية ٣١ . |
| (١١) | معاني القرآن للزجاج : ٣ / ٢٣٦ . |
| (١٢) | ينظر بحر العلوم : ١ / ٢٦١ ، ٣٩٤ ، ٤٦٩ ، الكشف والبيان : ١ / ٩٦ ، ٤ / ٢٧ ، ٦ / ١٩٩ ، ٢ / ٢٨ ، ٢٨ / ٢ . |

أما المحدثون فأغلب الظن أن أول من أشار إلى التوافق الاصطلاحي بين المعنى والدلالة هو اللغوي (بريال) في بحثه الذي نشره عام ١٨٩٧م بعنوان (مقالة في السيمانتيك) إذ تعامل مع الدلالة بوصفها علم المعنى (١)، وكذلك فعل د أحمد مختار عمر في (علم الدلالة) فقد صرح قائلاً: ((أما في اللغة العربية فبعضهم يسميه علم الدلالة- وتضبط بفتح الدال وكسر ها ... وبعضهم يسميه علم المعنى وبعضهم يطلق عليه اسم السمانتيك)) (٢). وهناك آراء آخر (٣) .

ويرى الدكتور غالب المطلبي: أن مصطلحي (الدلالة القرآنية) و(المعنى القرآني) ذوا قصد واحد فهما يعنيان (الدلالة) و(المعنى) في الاستعمال القرآني وهي معانٍ خاصة به ،وكلاهما يمثل قيمة لغوية ، وهذه المعاني الخاصة هي نفسها التي قصدها مؤلفو كتب معاني القرآن وغريبه ومجازه. (٤)

وعلى هذا فإن الدلالة القرآنية تتسع ولا تتقف عند معنى المفردة تؤصل من المعجمات اللغوية ،بل يراعى في بلوغها التركيب وما يتضمن من دلالة، وربما يستدعي الباحث في هذا الشأن دلالة الآيات التي تسبق الآية المراد الوقوف على دلالتها، .

والآية التي بعدها،وربما يحتاج إلى النسق الذي عليه السورة كاملة لبلوغ مراده.

فالكافر مثلاً في لغة المعجم تعني التغطية ومنه الرجل ((يَكْفُرُ دَرَعَهُ بِثَوْبٍ كَفْرًا، إِذْ لَبَسَهُ فَوْقَهُ، فَذَلِكَ الثَوْبُ كَافِرٌ الدَّرَعِ. والكافر: الليل والبحر، ومغيب الشمس. وكل

شيء غطى شيئاً فقد كَفَرَهُ))،(٥) لكن الاستعمال القرآني أكسبها معنى هو ضد

(١) ينظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربي :٢٩١.

(٢) ينظر علم الدلالة أحمد مختار : ١١

(٣) للمحدثين في هذا الموضوع ثلاثة أقوال الأول: من سلوى بينها كما مر. الثاني : من يرى أن المعنى أعم وأشمل من الدلالة لأن الدلالة تقتصر على الألفاظ المفردة. الثالث: من يرى أن الدلالة أعم وأوسع لأن كل دلالة لابد أن تتضمن معنى كذلك فإن الدلالة تشمل دلالة الرموز والإشارات وغيرها من وسائل الاتصال : ينظر محاضرات الدكتوراه (كتاب نحوي قديم): مدونتي

(٤) لقاء مع الدكتور غالب المطلبي: ١١-١٢-٢٠١٧ .

(٥) العين : ٥ / ٣٥٧ كفر

الإيمان ونقيضه (١) وهي دلالة خاصة بالقرآن الكريم، ومن ثم فقد يكون هناك توسع دلالي لهذه اللفظة كما في قوله تعالى : {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} (٢) لتشمل كل من لم يعمل بحكم الله وشريعته (٣) ، وهكذا غيرها من الدلالات.

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن : ١ / ١٨٣ ، البحر المحیط : ٤ / ٢٧٠ بحر العلوم : ٣٠ / ٤٠٨

(٢) سورة المائدة من الآية: ٤٤

(٣) ينظر بحر العلوم : ١ / ٣٩٤

مصطلح معاني القرآن ونشأته

إنَّ التفتيش عن مصطلح معاني القرآن في المرحلة التاريخية التي سبقت تأليف كتب(معاني القرآن)، هو أمر ضرورة للوقوف على نشأة هذه التسمية .

فيخال الباحث أن هناك علاقة وثيقة بين هذا العنوان ، وبين تداول لفظه منذ نزول القرآن الكريم حتى وقت تأليف الكتب الأولى في هذا الشأن، كما هي العلاقة بين المقدمات الطللية الأولى لشعراء ما قبل الإسلام وبين وقوفهم الفعلي على تلك الآثار والديار الخالية .

ولعل ما يؤيد هذا الزعم جملة من النصوص التاريخية منها :

١/ يروى ((أنَّ عمر قال :ما كنت أدري ما معنى أو يأخذهم على تخوفٍ ،(١) حتى سمعت قول الشاعر: (٢)

تَحَوُّفُ السَّيْرِ مِنْهَا تَامَكاً قَرْداً كَمَا تَحَوُّفَ عُوْدِ النُّبْعَةِ السَّفْنُ

يصف ناقه، وأن السير تنقص سنامها بعد تمكنه واكتنازه ((٣).

٢/ ومنه ما روي عن ((ابن عمر قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : لِنَبَلُوهُمْ أَيْهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا،(٤) فقلت : ما معنى ذلك يا رسول الله ؟ قال : ليلوكم أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرعكم في طاعة الله ((٥).

٣ / قال ((ابن عباس :كنت لا أدري ما معنى يحور (٦)حتى سمعتُ أعرابية تدعو

(١) يعني قوله تعالى : {أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} .[النحل :٤٧] .

(٢) البيت من البسيط، وهولابن مقل في ملحق ديوانه : ٤٠٥ ينظر المعجم المفصل : ١١٧ / ٨ والتامك المرتفع من السنام ، قرداً : المتلبد بعضه على بعض ، النبع : شجر معروف ، السفن : حديقة تقشر بها الأجزاء ، ينظر لسان العرب : ١٠١ / ٩

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية : ٤٠٠٥ / ٦ .

(٤) يعني قوله تعالى : {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الكهف : ٨] .

(٥) الدر المنثور : ٣٦١ .

(٦) يعني في قوله تعالى : {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ} [الانشقاق : ١٤]

بُنية لها فتقول : حوري أي ارجعي (((١).

٤ / روى ((قتادة عن ابن عباس قال : ما كنت أدري ما معنى قوله { رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ } (٢)، حتى سمعتُ ابنة ذي يزن تقول لزوجها: تعال أفتحك ، أي أحاكمك (((٣).

٥ / ومن ذلك ما يروى أنه قيل ((لمجاهد (٤): يا أبا الحجاج ما معنى قوله تعالى : { وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ } (٥) قال : الذي جاء بالقرآن وصدق به (((٦).

٦- ومما يروى في هذا الباب قول ((ابن عباس : ماكنت أدري ما معنى فاطر (٧) حتى اختصم إلي أعرابيان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها أي: ابتدأتها (((٨).

إنَّ إيراد مجموعة من النصوص تنتمي تاريخاً للقرن الأول الهجري، وكلها تحمل استفساراً عن آي القرآن الكريم تحت عنوان (ما معنى)، قد تعني وجود ظاهرة لم يعتد عليها العربي في فهم النص اللغوي (القرآن الكريم)، فهماً يتلاءم مع طبيعة فهمه للغة العربية التي كانت إرثه الذي نبغ فيه.

وصفوة القول أن البحث في المؤلفات الأولى التي اهتمت بالقرآن الكريم يبين أن هناك أساسين لنشأة عنوان معاني القرآن هما :

-
- (١) الكشف والبيان : ١٠ / ١٦٠ .
 - (٢) يعني قوله تعالى : { رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ } [الأعراف : ٨٩] .
 - (٣) مفاتيح الغيب : ١٤ / ٣١٩ .
 - (٤) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولا هم ، المكي إمام في التفسير والعلم مات سنة إحدى أو اثنتين ، أو أربع ومائة ، وله ثلاث وثمانون . ينظر : الطبقات الكبرى (الهامش) : ٣٩٥ .
 - (٥) يعني قوله تعالى : { وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } [الزمر : ٣٣] .
 - (٦) معاني القرآن للنحاس : ٦ / ١٧٣ .
 - (٧) يعني الآيات التي فيها هذا اللفظ كقوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [فاطر : ١] والآيات: (١٤ ، ١٠١ ، ١٠ ، ٤٦ ، ١١) من (الأنعام ، يوسف ، إبراهيم ، الزمر ، الشورى) .
 - (٨) تفسير ابن عرفة : ٢ / ٤٠٨ .

الأول : إن مؤلفي كتب معاني القرآن شعروا بضرورة الإجابة عن أسئلة كثيرة تداولها المجتمع الاسلامي حول معنى الآيات المباركة ؛ لأن هناك تفاوتاً معرفياً بين أفراد المجتمع العربي نفسه .

ويؤيد ذلك ما نقل عن ((ابن قتيبة أنه قال :إنَّ العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه بل أن بعضها يفضل في ذلك على بعض)) .(١) والمعنى نفسه نُقل عن الزجاجي: ((ليس كل العرب يعرفون اللغة كلها ،غريبها، و واضحها، ومستعملها وشاذها ، بل هم في ذلك طبقات يتفاوتون فيها، كما أنهم ليس كلهم يقول الشعر ،ويعرف الأنساب، وإنما هو في بعضٍ دون بعض)) (٢)

لكن أبا حيان الأندلسي بيّن أن هذا التفاوت المعرفي بكتاب الله إنما هونابع من بعض مزايا القرآن الكريم ،فهو يقول إن : ((لغات القرآن العزيز على قسمين: قسم يكاد يشترك في فهم معناه عامّة المستعربة وخاصتهم، كمدلول السماء والأرض، وفوق وتحت، وقسم يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحّر في اللغة العربية، وهو الذي صنف أكثر الناس فيه وسموه: غريب القرآن)).(٣)،ويمكن أن يضاف إلى ما مر تعدد اللهجات للقبائل العربية التي كانت سببا في عدم استيضاح بعضها لبعض ألفاظ القرآن الكريم .

بمعنى أن هناك تفاوتاً في فهم معاني القرآن الكريم ، وهذا بدوره جعل بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوضحون ما أشكل من معاني القرآن الكريم ،قال مسروق(١): ((لقد جالستُ أصحاب محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم

(١) ينظر مباحث في علوم القرآن: ٣٤٦

(٢) الإيضاح في علل النحر : ٣٣/١ .

(٣) تحفة الأريب : ٤٠

(٤) هو: مسروق بن الأجدع وهو ابن عبد الرَّحْمَنِ الهمداني أَبُو عَائِشَةَ كوفي مات سنة ثنتين وستين رأى أبا بكر وعمر وعلياً وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وعائشة وروى عنهم. ينظر الإصابة : ٢٣٠/٦ .

فوجدتهم كالإخاذ (١) فالإخاذ يروي الرجل والإخاذ يروي الرجلين والإخاذ يروي العشرة والإخاذ يروي المائة والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم ، فوجدت عبدالله بن مسعود من ذلك الإخاذ ((٢) وكان الإمام علي (عليه السلام) ملازماً لرسول الله ﷺ - مصدر النور الإلهي و الفيض الرحماني - ملازمة جعلت منه عالماً بكتاب الله حتى كان يقول : ((لا يسألوني عن كتابٍ ناطق ولا سنةً إلا حدثكم)) (٣).

ومثل ذلك الكثير، الذي يؤكد أن شيوع عبارة (ما معنى كذا) وتصدي رسول الله ﷺ وأهل بيته (عليهم السلام) وصحابته العارفين بكتاب الله، للإجابة عنها جعل من تلك السؤالات مادة لمؤلفات (معاني القرآن).

ولعل ما يؤيد ذلك ما نقله ابن النديم في فهرسه من أن: ((السبب في إملاء كتاب الفراء في معاني القرآن، أن عمر بن بكير كان من أصحابه وكان منقطعاً إلى الحسن بن سهل فكتب إلى الفراء : إن الأمير الحسن بن سهل ربما سألني عن شيء بعد الشيء من القرآن ، فلا يحضرني فيه الجواب فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً أو تجعل في ذلك كتاباً أرجع إليه فَعَلْتُ)) (٤)

الثاني : افترض مؤلفو (معاني القرآن) أن هناك سائلاً يسأل عن معاني الآيات الكريمة التي لم يُعرف السؤال عن معناها ، فضلاً عن معرفة المؤلف لكثير من أسرار القرآن اللغوية ، وليبينها يفترض سؤالاً حول جزئية معينة، ثم يشرع ببيانها ويبسط القول في دلالتها .

جاء في (معاني القرآن) للفراء حول قوله عز من قائل :{وَأَيُّ لَهِمُ اللَّيْلِ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمُونَ } (٥) : ((فإن قال قائل ما قوله (نسلخ منه النهار) ؟

(١) الإخاذ بالكسر أشبه بالغدير ، ينظر تهذيب اللغة : ٢١٦/٧ أخذ .

(٢) أصدرهم يعني رواهم ينظر العين: ٩٥/٧ صدر .

(٣) جامع البيان : ٢٢ / ٣٩٠ .

(٤) الفهرست : ٩٩ .

(٥) سورة يس : ٣٧

فإنما معناه : نسلخ عنه النهار : نرmi بالنهار عنه فتأتي الظلمة، وكذلك النهار
يسلخ منه الليل فيأتي الضوء (((١).

ومثله ما جاء في (معاني القرآن) للنحاس ((فإن قال قائل كيف قيل لليهود : {
وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} (٢) وقد أوتوا التوراة ؟ فالجواب : أن قليلاً وكثيراً
إنما يعرفان بالإضافة إلى غيرهما ، فإذا أضيفت التوراة إلى علم الله جل وعز كانت
قليلاً من كثير ألا ترى قوله تعالى : { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَدَ
الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا } (٣) (((٤).

وتأسيساً على ما تقدم فإن الافتراض كان أحد أسباب التأليف في (معاني القرآن)
وللتدليل على صحة هذا الزعم كثرة العبارات الدالة عليه في الكتب الأولى لمعاني
القرآن، وغريبه، وتفسيره، مثل : فإن قيل (٥)، فإن قال قائل (٦) ، ولو قيل (٧)
وغيرها .

(١) معاني القرآن للفراء : ٣٧٨ / ٢ .

(٢) سورة الإسراء : من الآية ٨٥ .

(٣) سورة الكهف : ١٠٩ .

(٤) معاني القرآن للنحاس : ١٩١ / ٤ .

(٥) ينظر معاني القرآن للأخفش : ١ / ١٣ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٩ ، ٢٧ ، ١٤٢ ، وينظر النكت الدالة على
البيان : ١ / ١٠٤ ، ١٣٠ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٨٠ ، وينظر جامع البيان : ١ / ١٨٥ ، ٢٢١ ، ٤٦٧ ،
٢٣٤ ، ٢٤٧ ، ٥١٨ .

(٦) ينظر: معاني القرآن للنحاس : ١ / ٦٣ ، ٩١ ، ٢٣٥ ، ٢٧٤ ، ٣٩١ ، ٤٣٤ ، وينظر تأويل مشكل القرآن
: ٣٣ ، ٣٤ ، ٦٧ ، وينظر جامع البيان : ١ / ٩٧ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٧) ينظر معاني القرآن للزجاج : ١ / ٣٣٦ ، ٤٢٨ ، ٥ / ٢ ، ٩٤ ، ٣١٧ ، وينظر معاني القرآن للفراء :
١ / ١١ ، ١١٨ ، ٢٠٨ ، ٢٤٥ ، وينظر جامع البيان : ٢ / ١٨٣ ، ٣٨٨ ، ٣ / ٣٤ ، ١١٤ .

المصادر الأولى لكتب معاني القرآن أو الدلالة القرآنية

مذ علم الناس أن القرآن الكريم نزل من عليائه يخاطب الإنسان ، أرادوا أن يعملوا دقائق هذا الخطاب، فضلاً عن مدلوله العام . لكن العربي الذي عرف العربية ملكةً ،وقف عاجزاً عن فهم بعض آيات القرآن الكريم ؛ لأن مطلق المعرفة بهذا اللون الجديد من الصياغة اللغوية، كان قد أنفرد به المخاطب الأول الرسول الأكرم ﷺ ، وقد شهد بذلك الحق سبحانه وتعالى في بعض آياته كقوله عز شأنه :{ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } .(١) فكان المصطفى ﷺ المعلم الأول لكل فصحاء العرب وبلغائها، حتى يروى ((أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَأْتِينَا بِكَلَامٍ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَمَا نَعْرِفُهُ وَلَنَحْنُ الْعَرَبُ حَقًّا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ رَبِّي عَلَّمَنِي فَتَعَلَّمْتُ وَأَدَّبَنِي فَتَأَدَّبْتُ)).(٢)

وهذا ما جعله العالم بكتاب الله ((يبين المجلد ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منقولاً عنه)) .(٣).

وإذ يفتش الباحث في المصنفات الأولى لكتب (معاني القرآن)،تكشف له المصادر التي اهتمت بهذا الجانب، أن هناك مصادر مهمة كانت المورد الذي أخذ منه أصحاب المصنفات الأولى مادتهم، والمنهل الذي نهلوا منه نقي المعنى والدلالة لآيات القرآن الكريم، وهذه المصادر تتمثل بما أوضحه الرسول ﷺ وأهل بيته و صحابته الكرام من دلالة الآيات التي سُئلوا عنها ، و بالرغم من أنها لم تتسم بالمنهجية والتبويب، ذلك أنها ما كانت أعدت إعداداً سالفاً، بل كانت وليدة الموقف الذي قيلت فيه الآية أو سُمِعَت ، إلا أنها كانت منطلقاً لكتب التفسير عامة، ومعاني القرآن خاصة ؛ لأن المشتغل بعلوم القرآن ما كان ليتجاوز الرأي والتوضيح

(١) سورة البقرة : ١٥١ .

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٢٨٤/١ .

(٣) مقدمة ابن خلدون : ٢٦٦ .

، أو الشرح المروي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، أو عن أهل بيته الطاهرين أو صحابته المنتجبين، بل كان يقدمه ومن ثم يورد رأيه الخاص إن كان هناك من رأي .

و ارتأى الباحث أن يقسم هذه المصادر تسهيلاً للوقوف عليها على ثلاثة أقسام :

١- قسم يعنى بالمعاني والدلالات التي بينها الرسول محمد ﷺ ، وهي كثيرة يختار الباحث منها:

أ / ما روي عن عبادة بن الصامت قال : ((سألت رسول الله ﷺ عن قوله جلّ وعلا : **{لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}** (١) فقال : هي الرؤية الصالحة يراها المسلم أو ترى له وفي الآخرة الجنة)) . (٢)

ب / سئل ﷺ عن قوله تعالى: **{وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ}**. (٣) فقال : إن أهل الجنة، وأهل النار، لو ردوا للحياة وعاشوا أبداً لعمل كل واحد بعمله الذي دخل عليه الجنة أو النار . (٤)

وغيرهما الكثير مما روي عنه ﷺ مما يضيق مقام البحث بذكرها ؛ لأنها قد تسع القرآن كله . (٥)

(١) سورة يونس : من الآية ٦٤ .

(٢) معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٣٠٣ ، وينظر جامع البيان: ١٥ / ١٣٤

(٣) سورة الأنعام من الآية : ٢٨ .

(٤) ينظر معاني القرآن للزجاج : ٢ / ٢٤٠

(٥) ذهب كثير من العلماء أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيّن القرآن كله، ولم يترك فيه جزءاً يحتاج إلى بيان ولم يبينه، ولا جزءاً يحتاج إلى تفصيل ولم يفصله، لقوله تعالى: **{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}** سورة النحل : من الآية ٤٤ . ويعضد ذلك أيضاً ما روي عن بعض الصحابة (رض) : أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً . ينظر: المحرر الوجيز: ٩/١، الجواهر الحسان: ٤٩/١ .

٢- وقسم ثان عني بالمعاني والدلالات التي بينها أهل البيت (عليهم السلام) ، وهي كثيرة يذكر الباحث منها :

آ / سئل الإمام علي(عليه السلام) عن دلالة قوله تعالى { وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءٌ } فَأَلْحَامَاتِ وَفِرًّا { فَأَلْجَارِيَاتِ يُسْرًا } فَأَلْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا { (١) فقال: هي الرياح التي تذر التراب، و(الحاملات وقرأ) يعني: السحاب تحمل ثقلًا من الماء، (فالجاريات يسرا) هي: السفن تجري في الماء جرياً سهلاً، (فالمقسمات أمرا): الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق. (٢)

ب / من الموروث القيم الذي يعكس أسبقية أهل البيت (عليهم السلام) في توضيح معاني القرآن الكريم ودلالاته هو (تفسير غريب القرآن المجيد)، لزيد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) (٣)، الذي استوعب القرآن الكريم كله ، وعلى الرغم من أن معظم التفسير مروي عن زيد بن علي(عليهما السلام) ، إلا أنه يصرح في أكثر من موطن أنه يحكي قول آبائه الطاهرين، كقوله : ((قال بعض أهلنا))، (٤) وقوله أيضاً : ((قد اختلف فيه أهلنا)) ، (٥) وقوله : ((وهي عندنا))، (٦) ومما جاء فيه في تفسير قوله تعالى: { وَالسَّمَاءَاتِ مَطُورَاتٍ بِيَمِينِهِ } (٧) أي ((بقدرته، وكذلك قوله عز وجل: { وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }، (٨) أي: في قبضته وملكه فهو كقولك :

-
- (١) سورة الذاريات : ١- ٤
 - (٢) ينظر الباب في علوم الكتاب : ١٨ / ٥٨
 - (٣) طبع هذا التفسير عن النسخة اليمنية، وقد حققها الدكتور محمد يوسف الدين بالعنوان المذكور ، وهناك نسخة مخطوطة في إحدى المكتبات الغربية، قام بتحقيقها السيد محمد جواد الجاللي، وطبعت بعنوان (تفسير غريب القرآن). ينظر مقدمة هذا التفسير: ١٠٥
 - (٤) المصدر نفسه : ١٠ .
 - (٥) المصدر نفسه : ٣٢ .
 - (٦) المصدر نفسه : ٣٤
 - (٧) سورة الزمر من الآية : ٦٧ .
 - (٨) السورة نفسها والآية نفسها .

هذا في يدي، أي: في ملكي ولست قابضاً عليه ، أما سمعت قول الشاعر (١) :

إِذَا مَرَّ أَيْدِي رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

أي بالعزة والقدرة ، وقال عدي بن زيد : (٢)

فَرَدَّتْهُ بَضْعُ مَا آتَاهَا وَلَمْ تَعْقِدْ عَلَى الْمَالِ الْيَمِينَا)) (٣)

وهذا غيظ من فيض، لما لأهل البيت (عليهم السلام) من منزلة لا تُبلغ في فهم أسرار القرآن الكريم، ودقائق نكاته ، وفي ذلك قال الإمام علي (عليه السلام) ((سلوني فوالله لا تسألون عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا أعلمتكم به ، سلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، في سهل أم في جبل)) (٤).

٣- وقسم ثالث عني بالمعاني والدلالات التي بينها أصحاب رسول الله ﷺ: يستوقفك وأنت تبحث في دور الصحابة رضي الله عنهم في بيان دلالات القرآن الكريم قول ابن عباس رضي الله عنه : ((إذا أشكل عليكم الشيء من كتاب الله فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب)) (٥).

فهو يؤسس لمنهجية واضحة لبيان الدلالة القرآنية ، عبر إيجاد نظائر ألفاظها في الشعر العربي ، وهذا المسلك اللغوي يراه ابن عباس الأفضل في بيان ومعرفة الدلالة القرآنية التي اكتنفها شيء من الغموض والإبهام ، فقال داعماً صحة منهجه المذكور: ((إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فإن الشعر عربي)) (٦).

(١) البيت من الوافر ، وهو للشماخ بن ضرار ، ينظر ديوانه: ١٢٩

(٢) البيت من الوافر ، ديوانه : ١٥٠

(٣) تفسير غريب القرآن المجيد : ٢٣ - ٢٤

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية : ١١ / ٧٠٧١ ، وينظر الجواهر الحسان: ٥ / ٢٥٠ ،

(٥) النكت والعيون : ٣٨ / ١ ، وينظر الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٢٤ ، البرهان في علوم القرآن :

٢٩٢ / ١

(٦) جامع البيان : ١٨ / ٦٩٠ ، وينظر الجواهر الحسان: ١ / ٥٨ .

أما تطبيقه لهذه الرؤية فكانت واضحة في إجاباته لسؤالات نافع بن الأزرق، وهي كثيرة نورد منها :

آ – قال نافع : ياابن عباس: أخبرني عن قول الله عزّوجلّ: {لَا فِيهَا غَوْلٌ} (١)، قال: يقول ليس فيها نتن ولا كراهية كخمر الدنيا، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت امرأ القيس (٢) وهويقول:

ربّ كأس شربت لا غول فيها وسقيت النّديم منها مزاجا (٣)

ب- ومن الصحابة الذين عُرف عنهم بيان معاني ودلالات القرآن الكريم، الصحابي عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) ، فمما يُروى عنه في هذا الباب قوله في بيان معنى قوله تعالى: {وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا} (٤) فقال: ((إنفاق المال من غير حقه)) (٥).

هذه هي المصادر الأولى التي استقى منها مؤلفو (معاني القرآن) الأوائل مادتهم ونهلوا منها عذب العلم الذي كان مداد كتبهم .

أما أول المصنفات التي كتبت بعنوان (معاني القرآن)، فهو كتاب واصل بن عطاء كما يذكر ذلك جمع من المؤرخين (٦). ثم بدأت سلسلة من المؤلفات تكتب في هذا الفن. وقد حاول أحد الباحثين جمع ما كتب في غريب القرآن ، ومعانيه ودلالاته فبلغ أكثر من ثلاثمائة وستين مصنفاً (٧) . يختار الباحث منها بحسب التسلسل التاريخي ومنهجية البحث كتابين هما :

(١) سورة الصافات: من الآية ٤٧

(٢) البيت من الخفيف وهو في ديوانه : ٦٦

(٣) ينظر الاتقان في علوم القرآن : ٧٤/٢

(٤) سورة الاسراء : من الآية ٢٦

(٥) نظم الدر: ٤٠٥ / ١١

(٦) توفي واصل بن عطاء سنة ١٣١ للهجرة وكتابه المذكور فُقِدَ ولم يصل إلينا ، لكن أصحاب التراجم ذكروه . ينظر وفيات الأعيان : ١١/٦ ، الوافي بالوفيات : ٢٤٨/٢٧ ، لسان الميزان : ٢١٥/٦ ، الأعلام : ١٠٩/٨ .

(٧) ينظر تفسير غريب القرآن المجيد : ٦٢ .

آ - تفسير غريب القرآن المنسوب لأبن عباس (رضي الله عنه) ، وذلك في إجاباته لسؤالات نافع بن الأزرق، وقد تضمنت مائتي كلمة من غريب القرآن ،شرحها ابن عباس بشواهد من الشعر العربي (١)

ب - تفسير غريب القرآن لزيد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) ،وهو تفسير لدلالات الغريب من الكلمات القرآن الكريم (٢) مرتباً من سورة الفاتحة إلى سورة الناس ، ثم تتابعت الكتب في هذا الباب لتصل إلى المئات كما مر ذكر ذلك .

وخلاصة الأمر في هذه المسألة هو أن القدماء كانوا قد نظروا إلى معاني القرآن على أنها جملة من المعاني التي كانت للقرآن وحده.

ويمكن ايجاز أهم ما انمازت به كتب معاني القرآن بالآتي :

١- أن الأصل في هذه التسمية هم المعتزلة ،وواصل بن عطاء صاحب الريادة في هذا العنوان .

٢- هناك عنوانات مرادفة لمصطلح (معاني القرآن) بعضها سابق له والبعض الآخر لاحق به ،مثل : (غريب القرآن) ،(مجاز القرآن) ،(إعراب القرآن) .

٣- المنهج الواضح في تصنيف هذه الكتب ،هو اختيار مجموعة من الآيات في السورة الواحدة،بحسب الألفاظ التي يراها المصنف أنها مشكلة ، ولايشمل القرآن كله ،كما هو معهود عند المفسرين .

٤- غلبة المنهج اللغوي في كتابة هذه الكتب ،كاستعمال البيان المعجمي للألفاظ ، وإيراد الشواهد الشعرية، والاستعانة بلغات العرب ، أو فنونها في القول ،فكل الأوائل الذين كتبوا في هذا العلم هم من كبار اللغويين، كواصل بن عطاء، والأخفش والفراء ، وغيرهم .

(١) ينظر الاتقان في علوم القرآن : ٢ / ٦٧ - ١٠٥

(٢) ينظر تفسير غريب القرآن المجيد : ٦٢

مشكلة المعنى في الدرس الدلالي

لا يزال المعنى يشكل حجر الزاوية بالنسبة لعلم اللغة ، حتى قال بعض اللغويين : ((إنه بدون المعنى لا يمكن أن تكون هناك لغة ، وعرف بعضهم اللغة بأنها : معنى موضوع في صوت)) (١) .

لكنه مع أهميته هذه و مركزيته لا يزالُ ((المشكلة الجوهرية في علم اللغة)) (٢)، وهي مشكلة تكاد تكون تاريخية أزلية، وكثيراً ما تثير الفتن (٣). وقد يكون تعقيد المعنى وغموضه هما ما جعلاه حتى الآن يستهوي كثيراً من الباحثين لمناقشة الآراء التي قيلت فيه ، أو لعرض نماذج آخر ، علها تكشف شيئاً من غموضه أوفي أقل تقدير تقود إلى تصور مقبول عن ماهيته .

لكن في الاتجاه المقابل لفكرة الخوض في مسألة المعنى ظهر اتجاه آخر من ((اللغويين بالولايات المتحدة الأمريكية في الحقبة (١٩٤٠ م حتى ١٩٥٠ م) غير عابئين بكل ما يخص علم الدلالة حيث قاموا بتعريف اللغويات مستثنين منها علم الدلالة ، وحثهم في ذلك أن دراسة المعنى أمرٌ تافه لا يجب أن يقام له وزن)) (٤).

ولعل هذا لرأي هو امتداد لآراء (بلومفيلد)، الذي رأى ((أن المعنى يتألف من ملامح الإثارة ورد الفعل القابلة للملاحظة الموجودة في المنطوقات. وعرف معنى الصيغة اللغوية بأنه: الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه، والاستجابة التي تستدعها من السامع)) (٥).

لم يكتب لرأي اللغويين الأمريكيين التوفيق؛ لأنهم كانوا كمن يفصل الروح عن الجسد ويريد ل كليهما أن يحيا حياة طيبة ، فعاد المعنى بعد هذه الحقبة ليظل في صميم الدراسة اللغوية .

(١) علم الدلالة (أحمد مختار): ٥

(٢) دور الكلمة في اللغة : ٦٢

(٣) ينظر دلالة الألفاظ : ١٠٨

(٤) أساسيات اللغة : ٥٣

(٥) علم الدلالة (أحمد مختار): ٦١

وزهد بعضهم إلى أن صعوبة المعنى تكمن في عمقه الفلسفي الذي جعله هدفاً للمناقشة من أيام أفلاطون حتى يومنا هذا . (١)

والسؤال المهم في هذا المبحث هو : أين تكمن مشكلة المعنى ؟. والإجابة عن هذا السؤال قد تبلغ به حد التخمة ، إذا ما عرضناه على المؤلفات التي كتبت في هذا الفن ، لكن الباحث يمكن أن يقف على بعض جوانب هذه المشكلة ومناقشتها.

ولعل أولى المعضلات في مسألة المعنى هي : قضية (الدال والمدلول) ، التي تعد من دعائم علم الدلالة الراسخة (٢)، بل إنه - علم الدلالة- ((يقوم على أساس تحديد العلاقة بين الدال والمدلول (٣). وقد نالت هذه المسألة حظاً وافراً من اهتمام اللغويين قديماً وحديثاً، فقديماً ((تعرض لها أفلاطون في محاوراته عن أستاذه سقراط ، وكان اتجاه أفلاطون نحو العلاقة الطبيعية الذاتية ، مدعياً أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها، ثم تطورت الألفاظ ولم يعد من اليسير أن نتبين بوضوح تلك الصلة أونجد لها تعليلاً أو تفسيراً)) (٤)

أما أرسطو فقد ذهب إلى أن ((الإشارة اللغوية موضوعاً ، أي أنها نتيجة اتفاق جماعي، وهي بذلك تكون عرضة للتغيير والتطور لعدم وجود علاقة منطقية بين الدال والمدلول في معرفة الشيء)) (٥).

وإذا ما طالعنا آراء اللغويين القدماء يستوقفنا رأي ابن جني في هذا الصدد ، فقد جاء في خصائصه في باب ((تصاقب (٦) الألفاظ لتصاقب المعاني)) (٧)، ما يفهم منه أنه يرى أن بين اللفظ وما يدل عليه صلة واضحة وأمثلة على ذلك كثيرة منها

-
- (١) ينظر علم الدلالة (لاينز) : ١١
 - (٢) ينظر العلاقات الدلالية والتراث البلاغي : ٨
 - (٣) علم الدلالة أصوله ومباحثه : ٥٨
 - (٤) ينظر علم الدلالة (أحمد مختار) : ١٨
 - (٥) البحث الدلالي عند ابن سينا : ٦٧
 - (٦) التصاقب بمعنى التقارب ، ينظر مقاييس اللغة : ٣ / ٢٩٦ (ص ق ب) .
 - (٧) ينظر الخصائص : ٢ / ١٤٧

قوله : ((واستعملوا تركيب ج ب ل ، و ج ب ن ، و ج ب ر ، لتقاربها في موضع واحد وهو الالتئام والتماسك. منه الجبل لشِدَّتِه وقوته، وجبن إذا استمسك وتوقَّف وتجمَّع، ومنه جبرت العظم ونحوه، أي: قويته)) (١).

وقال في موضع آخر من كتابه: ((ومن ذلك قولهم : صعد وسعد ، فجعلوا الصاد لأنها أقوى لما فيه أثر مشاهد يرى ، وهو الصعود في الجبل والحائط ونحو ذلك وجعلوا السين لضعفها لما لا يظهر ولا يشاهد حساً، إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجد لا صعود الجسم ... فجعلوا الصاد لقوتها مع ما يشاهد من الأفعال المتجشمة، وجعلوا السين لضعفها فيما تعرفه النفس وإن لم تره العين)) (٢).

ووافقه ابن فارس في مقاييسه ، غير أن عبد القاهر الجرجاني لم يرتضِ ذلك وهو ما ترجمه في قوله : إن ((نظم الحروف هو تواليها في النطق، وليس القول نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناطم لها بمقتضى في ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمها لها ما تحرّاه. فلو أن واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد)) (٣). أما المحدثون فبعضهم قد ذهب مذهب ابن جني وسار على خطاه حين رأى مثلاً أن صوت (الغين) يدل على الاستتار والغيبة والخفاء كما في: ((غاب و غار و غاض و غال و غام و غمد و غمر و غمز و غرب و غش و غط ، في حين أن صوت (النون) يدل على الظهور والبروز كما في: (نفث و نفخ و نبت و نزع و نجم)) (٤).

لكن مجموعة أخرى من اللغويين رفضوا ذلك المبدأ منطلقين من: (٥)

١- أن المعنى الواحد في اللغة الواحدة قد عبر عنه بألفاظ عدة وهو ما يعرف بالترادف.

(١) الخصائص ١٥١/٢

(٢) المصدر نفسه : ١٦٣ / ٢

(٣) دلائل الإعجاز : ٤٩ / ١

(٤) ينظر فقه اللغة وخصائص العربية : ١٠٥

(٥) ينظر أسرار اللغة : ١٤٤

- ٢- أن الواحد قد يشير إلى أكثر من الدلالة وهو ما يسمى المشترك اللفظي .
- ٣- أن التطور اللغوي قد ينتج عنه تطور الألفاظ وتغيرها من جهة الشكل مع احتفاظ بذات الدلالات ، وقد ينتج عنه تغير الدلالات مع الاحتفاظ بالشكل الواحد .
- أما المحدثون الغربيون فقد رفضوا مبدأ العلاقة الطبيعية بين اللفظ وما يدل عليه ، قال أولمان: ((من الواضح أنه ليست هناك علاقة طبيعية بين الصيغة والمعنى ، في حالتنا هذه ، إذ إن المرء لا يعجز فقط على فرض وجود علاقة خفية هناك، لن يدري كيف يفسر تنوع الأسماء الموضوعية لهذا الشيء نفسه وتباين هذه في لغاتٍ مختلفة)) (١)، ووافقته فندريس بقوله : ((وإنه لا يوجد بين العلامة والشيء المدلول عليه بها، بين الصيغة اللغوية ومادة التصوير أي رباط مستمد من الطبيعة، ولكنه رباط مأخوذ من الظروف فحسب)) (٢).
- كل ما مر من آراء اللغويين يقوم على فرضية ثنائية اللفظ والمعنى ، بمعنى أن هناك ألفاظا تقابل مفاهيم.
- نظر دي سوسير إلى هذه الفرضية بعمق وتأمل كبيرين ، ودقق فيما قيل قبله من تصورات حول (اللفظ والمعنى) ، ثم أسفر تأمله إلى جملة من المفاهيم عُدت فيما بعد من ركائز اللسانيات الحديثة ، وأهم تلك المفاهيم (٣):
- ١- جمع مصطلحي (الدال والمدلول) تحت مسمى واحدٍ غير قابل للفصل أسماء (الإشارة اللغوية) .
 - ٢- الإشارة اللغوية كيان سايكولوجي (أحادي) ، له جانبان هما : الفكرة والصورة الصوتية ، و لا يمكن فصلهما عن بعض كوجهي الورقة الواحدة.
 - ٣- الرابط الذي يجمع الدال والمدلول هو اعتباطي، ففكرة (أخت) مثلاً لا ترتبط بأي

(١) دور الكلمة في اللغة : ٢٣ - ٢٤

(٢) اللغة : ٤٠

(٣) ينظر علم اللغة العام : ٨٦ - ٨٧

صلةٍ داخليةٍ مع تعاقب الأصوات (أ. خ. ت) تلك التي تقوم مقام الدال بالنسبة لها .

عدت أفكار دي سوسير هذه وغيرها ثورة في الفكر اللغوي الغربي قد عُرِفَتْ بـ (الثورة الكوبرنيكية (١)) (٢). وقد وصف دوره في إثراء الدراسة اللغوية بأنه يشابه دور غاليلو (٣) في تطور العلوم (٤). وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً.

ومما قيل أيضاً في مشكلة المعنى ما ذهب إليه الدكتور نجاح العبيدي من أن إحدى مشكلات المعنى تكمن في التعددية اللغوية التي يمكن أن يشغلها في اللغة فهناك (٥):

أ / (معنى) يقابل (لفظاً)

ب / (معنى) يقابل (تركيباً)

ج / (معنى) يقابل (أسلوباً)

د / (معنى) يقابل (نصاً)

هـ / (معنى) يقابل (خطاباً)

في حين ذهب بعضهم إلى أن أنواع المعنى تجعله غير محدد ضمن زاويةٍ واحدة ، و هو لذلك يختلف تبعاً لأشكاله التي منها : (٦)

١- المعنى التصوري : ويقصد به ما يتقاسمه أصحاب اللغة الواحدة ليكون العامل الأول للاتصال اللغوي ، وهو يمثل الوظيفة الأساسية للغة (٧) .

(١) الثورة الكوبرنيكية: نسبة للفلكي البولندي كوبرنيكوس (١٤٧٣م - ١٥٤٣م) القائل: بأن الشمس هي مركز المجموعة الشمسية ، والأرض مجرد تابع لها ، وليست المركز كما كان يعتقد. ينظر: موسوعة العلماء والمخترعين: ٢٢٤.

(٢) ينظر أعلام الفكر اللغوي : ٢٥٦

(٣) غاليلو: رياضي وفلكي إيطالي (١٥٦٤ م - ١٦٤٢ م) اضطهد وسجن بسبب آراءه العلمية التي قطع بصحتها ، ثم عارض بها نظرة الكنيسة الدينية للكون. ينظر موسوعة العلماء والمخترعين : ١٦٦

(٤) سوسير رائد علم اللغة الحديث : ٦

(٥) محاضرات كتاب نحوي قديم : مدونتي

(٦) ينظر علم الدلالة (أحمد مختار) : ٣٦

(٧) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٣٤

٢- المعنى الإضافي أو العرضي :- وهو المعنى الزائد على المعنى الأساسي ، وليس له صفة الثبوت والشمول ، وإنما يتغير بتغير الثقافة أو الزمن. ويمكن التمثيل لذلك بلفظ (شجرة)) (فضلا عن قيمتها المعجمية فإنها تثير أمثلة من الأحاسيس المختلفة باختلاف الناس، فقد تثير في نفسك البهجة والسرور ، وقد تثير في نفسي الأحزان والآلام ، في حين ترتبط في نفس إنسان آخر بالآمال والرغبات ... كل ذلك يمثل لنا القيم التعبيرية للفظ (شجرة)، وهي قيم لانهاية لها، متجددة متغيرة مختلفة بين الأفراد والأجيال ((١).

٣ - المعنى الأسلوبي :- هو ذلك النوع من المعنى الذي تحمله قطعة من اللغة بالنسبة للظروف الاجتماعية لمستعمليها، والمنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها، كما يتقيد بالعلاقة بين المتكلم والسامع، وبرتبة اللغة المستعملة ،أدبية كانت أم رسمية أم عامية ، فقد تتفق كلمتان في معنيهما الأساسي مثل (والد، بابا) وتختلفان على المستوى الشخصي . (٢)

٤- المعنى النفسي :- وهو ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد ، وقد ذهب النفسانيون إلى أن : (اللغة شكل خارجي وآخر داخلي، وأن الشكل الداخلي هو الذي يستطيع فتح نافذة واضحة يمكن الإطلال من خلالها على التفكير)) (٣).

٥- المعنى الإيحائي :- ويقصد به المعنى الذي يتعلق بالكلمات ذات المقدرة الخاصة على الإيحاء لشفافيتها ، وقد يكون الإيحاء عبر التأثير الصوتي مثل لفظ (صليل) التي توحى إلى (السيوف) ولفظ (خرير) الذي يستدعي (صوت الماء) (٤).

ولعل هذه الجوانب المتشعبة من المعنى جعلت ((كثيراً من اللغويين يشككون في الوقت الحالي على الأقل بإمكانية دراسة المعنى بنفس الموضوعية والدقة التي

(١) منهج البحث اللغوي : ٩٢

(٢) ينظر الدلالة الإيحائية : ٦

(٣) علم اللغة النفسي : ١٧١

(٤) علم الدلالة (أحمد مختار): ٣٩

يدرس فيها النحو والصوت (((١).

وعلى الرغم من التقدم الذي أحرزه علم الدلالة بفضل جهود اللغويين ، قديماً وحديثاً ، لكن البحث عن نظرية متكاملة لعلم الدلالة لا يزال قائماً، إذ يرى غير واحد من اللغويين أنه ((لم يقدم أحد لحد الآن حتى الخطوط العامة لنظرية مقنعة وشاملة في علم الدلالة)) (٢).

(١) علم الدلالة (لاينز) : ٩ - ١٠

(٢) المصدر نفسه : ١٢-١٣

الإشارة اللغوية عند دي سوسير

جرت العادة بأن يفترض أن أنواع الدلالة تشير بالضرورة إلى علاقة بين شيئين مرتبطين. (١)

وعلى هذا الافتراض قامت ثنائية اللفظ والمعنى التي مر ذكرها في مبحث (مشكلة المعنى في الدرس الدلالي)، وفي هذا المبحث ستكون هذه الثنائية المنطلق الذي بدأ منه دي سوسير رؤيته حول المعنى اللغوي؛ لأنه لا وجود للكيان اللساني مالم توجد فكرة اللفظ والمعنى (٢).

يبدأ دي سوسير نظريته عن المعنى اللغوي بنقد الرأي السائد في هذا المجال الذي مفاده : أن اللغة في أسها الأول هي : قائمة من الألفاظ توافق عددا مماثلاً من الأشياء مثل : شجرة و فرس وغيرهما (٣).

وهذا التصور السطحي يقضي على كل إمكانية البحث عن طبيعتها الحقيقية. (٤)

لم يذهب دي سوسير مع هذا التصور، الذي يجعلنا نعتقد أن تسمية الأشياء عملية بسيطة (٥) ، وأن الوحدة اللغوية شيء مزدوج يتكون من تقريب عنصرين (٦). هذا الاعتقاد كان يمثل مشكلةً عنده ، فهو يراه تصوراً لا ينم عن بعد معرفي، لذلك فقد وجه له مجموعة من الانتقادات : (٧)

١- يفترض هذا الرأي أن هناك أفكاراً جاهزة وسابقة في الوجود على الكلمات .

٢- لا يوضح هذا الرأي أكان الاسم ذا طبيعة صوتية أم ذا طبيعة نفسية .

٣- إن ذلك يجعلنا نعتقد أن عملية الجمع بين الاسم ومسماه عملية بسيطة.

(١) ينظر المرجع والدلالة: ٢٣.

(٢) ينظر مدخل إلى لسانيات سوسير : ٤٠

(٣) ينظر دروس في الألسنية العامة : ١٠٩ .

(٤) ينظر المصدر نفسه : ٣٨ .

(٥) ينظر علم اللغة العام : ٨٤ .

(٦) ينظر دروس في الألسنية العامة : ١١٠

(٧) ينظر مدخل إلى لسانيات سوسير : ٤١

قامت أفكار دي سوسير لفهم المعنى اللغوي على الأسس التي وضعها في مقابل كل واحدٍ من هذه الانتقادات .

وإذا كان لا يوافق مبدأ الأفكار الجاهزة السابقة للكلمات ، فما البديل عنده ؟.

ولنا أن نسأل بعبارة أخرى : كيف كانت فكرة الأشياء في ذهن الإنسان قبل تسميتها الأولى ؟ .

يتفق الفلاسفة وعلماء اللغة دائماً على ((أنه لولا الإشارات اللغوية لما استطعنا أن نميز تمييزاً واضحاً ثابتاً بين فكرتين)) (١) ؛لأن الفكر قبل وضع الوحدات اللغوية ودلالاتها على المعاني هو أشبه ((بالسديم (٢) حيث لا شيء معين الحدود بالضرورة ، فلا أفكار موجودة سلفاً ولا وجود لأي شيء مميز قبل ظهور اللغة)) (٣).

فلا يمكن للفكر أن يرسم ملمحاً واضحاً للفظ غريبة عن حقله اللغوي، كلفظة (ضبون) (٤) مثلاً ، أو أية لفظة أخرى لم تستعمل في المجتمع اللغوي .

كذلك الحال فيما يتعلق بالأصوات ؛لأنها في حد ذاتها لا يمكن أن تمثل كيانات معينة الحدود سلفاً ، فهي - في هذه المرحلة - كالأفكار، إذ هي ليست قالباً يصب فيه الفكر بالضرورة، بل هي مادة مرنة تنقسم في كل حالةٍ إلى أجزاء متميزة لتوفر الدوال التي يحتاج إليها الفكر (٥). وهذه الفكرة تضطرننا إلى وصف الواقعة الألسنية برمتها ، أي اللغة كفئة من التقسيمات الفرعية متعاقدة، ومرتسمة في آنٍ

(١) علم اللغة العام : ١٣١

(٢) (السديم) مصطلح فلكي يطلق على السحابة البعيدة من التراب والغاز والنجوم ،وتظهر كأنها سحابة رقيقة. ينظر تكملة المعاجم العربية : ١٦٩ / ٨ .

(٣) ينظر دروس في الألسنية العامة : ١٧٢

(٤) (ضبون) : اختيار عشوائي من الباحث قائم على مبدأ عدم استعمالها في المعجم اللغوي ، لذلك فهي لا تثير في أذهاننا غير ضبابية غامضة .

(٥) ينظر مدخل إلى لسانيات سوسير : ٤٢ .

واحدٍ على مستويين : (١).

١- الأفكار الغامضة اللامحدودة

٢- الأصوات اللامحدودة أيضاً

قرر دي سوسير توظيف هذين المستويين ودمجهما في مفهوم واحدٍ سماه (الإشارة اللغوية)، واللغة كلها عبارة عن مجموعة من الإشارات التي تعبر عن أفكار (٢).

ويوضح معنى الفكرة بأنها: التصور المدرك ذهنياً حينما ننطق به (٣).

في حين أن الصورة الصوتية: ((ليست الصوت المادي الذي هو شيء فيزيائي صرف، بل هي الدفع النفسي لهذا الصوت أو التمثيل الذي تهبنا إياه شهادة حواسنا)) (٤) . وهو بنفسه فيزيائية الصوت الدال على المسمى ، يقرر أن كلا جانبي الإشارة اللغوية هو ((كيان نفسي مركب من وجهين نفسيين)) (٥).

والسؤال المفترض هنا : كيف أبعد دي سوسير المادية الصوتية لأحد وجهي الإشارة اللغوية ؟ وقد تبدو المسألة واضحة وملتبسة بفيزياء الصوت عندما نلفظ كلمة (قلم) على سبيل الفرض ، وهو بدوره يجيب عن هذا السؤال بقوله :

((إن الطبيعة السايكولوجية للصورة الصوتية تصبح واضحة عند ملاحظتنا للساننا، فنحن نستطيع أن نتكلم إلى أنفسنا أو نتلو في أذهاننا قصيدة من غير أن نحرك شفاهنا)) (٦). وفق تلك الرؤية فإن الإشارة اللغوية كيان سايكولوجي محض له

(١) ينظر محاضرات في الألسنية العامة : ١٣٧.

(٢) ينظر علم اللغة العام : ٣٤

(٣) ينظر المصدر نفسه : ٨٤- ٨٥

(٤) المدخل إلى لسانيات سوسير :

(٥) محاضرات في الألسنية العامة : ٨٨.

(٦) المدخل إلى لسانيات سوسير : ٤٥.

وجهان: أحدهما الفكرة ،والآخر الصورة الصوتية ،كما يوضحه الرسم الآتي(١).



يؤكد دي سوسير أهمية القول بتلازمية وجهي الإشارة اللغوية ،فهُما شديدا الارتباط ،ويستلزم أحدهما الآخر .(٢)

ويشبه دي سوسير هذه الوحدة بمركب الماء الكيميائي: ((فإن الماء يتألف من الهيدروجين والأكسجين .أما إذا اخذنا كل عنصر على حدة، فإن كُلاً منهما لا تتوفر فيه وَحدةٌ أية خاصية من خاصيات الماء)) (٣).

كل ذلك يجعلنا ندرك أن تسمية الأشياء هي مسألة في غاية الصعوبة والتعقيد، إذا مارُدت إلى أساسها الأول ، أما الآن فقد اكتسبت بساطتها بفضل النظام اللغوي الذي استوت قوانينه وفهمت من مجتمعه اللغوي

ويرى دي سوسير أن للإشارة اللغوية صفتين جوهريتين هما (٤):

١- الاعتباطية .

٢- الصفة الخطية للدال .

(١) علم اللغة العام : ٨٤

(٢) ينظر مدخل إلى لسانيات سوسير: ٤٢

(٣) المصدر نفسه : ٧٣

(٤) ينظر علم اللغة العام : ٨٧

١- الاعتباطية

حينما فَصَّلَ دي سوسير القول في مفهوم الإشارة اللغوية التي تتمثل بـ(الدال والمدلول) (١). بيّن أن طبيعة العلاقة بين هذين المكونين هي علاقة اعتباطية ، أي غير مسوغة ، أي أن: ((فكرة الأخت sister مثلا ، لا ترتبط بأية علاقة داخلية بتعاقب الأصوات s o k التي تقوم بوظيفة الدال في اللغة الفرنسية ، فهذه الفكرة يمكن التعبير عنها باستخدام أي تعاقب صوتي آخر)) (٢). وبتعبير أكثر وضوحاً أنه ليس ((ثمة سبب جوهري يفسر لنا لماذا اختير هذا الدال بعينه ولم يختَر دالٌّ آخر ليشير إلى الشيء نفسه)) (٣).

وللتدليل على صحة هذا الرأي يمثل دي سوسير باختلاف الدال بين اللغات لمدلول واحدٍ، ففي العربية مثلاً يشار لمدلول (بقرة) بـ(ب، ق، ر، ة) في حين في الفرنسية bocuf (بوف) ، أما في الألمانية فيقال : ochs (او كس) (٤). فلو كان المدلول يفرض الدال بحكم طبيعة معينة بين الاثنين لكانت لغات البشر واحدة (٥).

إن فكرة الاعتباطية ومفهومها قد يفهم منها أن المتكلم يستطيع أن يختار بحرية تامة قطعة صوتية معينة (الدال) على فكرة محددة (مدلول) بسبب انعدام العلاقة السببية بينهما ، ويسمى مثلاً (القلم) في المجتمع اللغوي العربي (علماً).

يرفض دي سوسير هذه الفكرة رفضاً قاطعاً، ويصرح بأنه ((ليس للفرد القدرة على تغيير أي شيء في علامة ما، وذلك عند ثبوتها وتمكنها في مجموعة لغوية)) (٦) فالاعتباطية لا تعني الفوضى في التلاعب بالأفكار أو المفاهيم أو المدلول، بعدما تم

(١) ينظر : علم اللغة العام : ٨٤

(٢) نفسه : ٨٧

(٣) سوسير رائد علم اللغة الحديث : ٣٠

(٤) ينظر درس في الألسنية العامة : ١١٢

(٥) ينظر سوسير رائد علم اللغة الحديث : ٣٠

(٦) محاضرات في الألسنية العامة : ٩١

التعارف عليه في المجتمع اللغوي بسلسلة تاريخية تمتد إلى نشأة اللغة في ذلك المجتمع ، فالعربية مثلاً في أقدم النصوص التي وصلتنا منها تسمى (السيف) (سيفاً) بفكرته الحاضرة في ذهن كل عربي ، ومن ثم لا يمكن على وفق مبدأ الاعتباطية الخطأ أن نسميه مثلاً (سهماً) .

فدي سوسير يريد أن يقودنا إلى حقيقة أخرى هي أنه: ((ما دام كل تصور مخصوصاً بلفظ معين على سبيل الاتفاق والاصطلاح فإن اللفظ ينبغي أن يختلف عن الألفاظ الأخرى الموضوعية لتصورات أخرى، وبذلك يصبح الاختلاف والاعتباطية وجهين لعملة واحدة، بحيث لا يمكن تصور أحدهما دون تصور الآخر)). (١)، أي أن آلية الاعتباطية تستمد قوتها أساساً من مبدأ الاختلاف.

هل للاعتباطية استثناءات أو حدود ؟

تكشف لنا محاضرات دي سوسير عبارة : ((أن الدليل اللغوي اعتباطي)) (٢) وهي عبارة توحى بمعنى الإطلاق في عموم الإشارة اللغوية ، في حين أن دي سوسير يورد بعض الاعتراضات التي تقلل من كلية الموضوع، وتستثني منه بعض الإشارات اللغوية التي لا يمكن أن يقال عنها إنها اعتباطية .

وهذه الاعتراضات هي:

- ١- يبدو أن هناك كلمات كأنها مرتبطة بالمدلول برابط غير اعتباطي، كأنه معل مثل قولنا في العربية: قهقهة ، وهي حكاية لصوت الضحك .(٣) أو الكلمات ((تك تك ، بق بق ... الخ)) (٤). وكذلك صيغ التعجب، إذ أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكلمات

(١) مدخل إلى لسانيات سوسير: ٩٥

(٢) ينظر فصول في علم اللغة العام ١٢٤ :

(٣) ينظر سوسير رائد علم اللغة الحديث : ٣٠

(٤) دروس في الألسنية العامة : ١١٣

التي توحى أصواتها بمعانيها . (١)

ويرد دي سوسير على هذين الاعتراضين مقدراً أنهذه الكلمات ((لا تمثل عناصر عضوية في النظام اللغوي بالإضافة إلى أن عدد مثل هذه الكلمات أقل بكثير مما هو مفترض، ولهذا فهي لا تمثل ظاهرة لغوية تفسد القاعدة العامة)) . (٢)

٢- هناك رموز في كل لغة تستعمل بمثابة الدال الصوتي، وهذا الدال لا يتفق في كثير من الأحيان مع مبدأ الاعتباطية، فهناك جذور رابطة طبيعية بين الدال والمدلول، فرمز العدالة (الميزان) لا يمكن استبداله برمز آخر كالعربة مثلاً . (٣) ومن هنا بدأ معيار كلية الاعتباطية بالانخفاض نسبياً؛ لأن الرمز المستعمل كدال ((يتميز بكونه ليس دائماً اعتباطياً تماماً فهو ليس خاوياً بل نجد فيه شيئاً طفيفاً من الربط بين الدال والمدلول)) (٤).

لقد أظهرت إحدى مخطوطات دي سير العنوان الآتي ((الاعتباطية المطلقة والاعتباطية النسبية في اللسان)) (٥). وهذا يعني أن هناك درجات من الاعتباطية فيما يخص الإشارات اللغوية، والمثال الآتي يوضح فكرة دي سوسير في هذا الجانب : إن كلمة (عشرين) هي اعتباطية كلياً إذ لا رابط بين دالها ومدلولها، في حين أن كلمة (تسعة عشر) هي اعتباطية نسبية؛ لأن أجزاء (تسعة عشر) تدل على جزء منها .

(تسعة) : تدل على جزء من (تسعة عشر)

(عشر) : تدل على جز من (تسعة عشر)، وكذلك قولهم شجرة الاجاص (٦).

(١) ينظر علم اللغة العام : ٨٨

(٢) سوسير رائد علم اللغة الحديث : ٣٠

(٣) ينظر علم اللغة العام : ٨٧ .

(٤) دروس في الألسنية العامة : ١١٣

(٥) ينظر فهم فردينان سوسير : ١٥٣

(٦) ينظر المصدر نفسه : ١٥٣-١٥٤

وفي العربية تظهر نسبية الاعتبارية واضحة في المعاجم العربية ولا سيما معجم (مقاييس اللغة) الذي حاول أن يربط اشتقاق الكلمات بجذرها الأول، عبر الموازنة بين المعنيين وإيجاد المشترك بينهما، فعلى سبيل المثال يقول ابن فارس في الجذر (بدو) : ((الباء والذال والواو أصل واحد وهو ظهور الشيء . يقال : بدا الشيء يبدو : إذا ظهر فهو بادٍ ، وسمي خلاف الحضر بدواً من هذا ؛ لأنهم في برازٍ من الأرض ، وليسوا في قرى تسترهم أبنيتها)) (١).

بمعنى أن لفظ (البدو) الذي يدل على خلاف الحضر ليس اعتبارياً، ومثله قوله في الجذر (رَمَضَ) : ((الراء والميم والضاد أصل مطرد يدل على حدة في الشيء من حرٍّ وغيره ، فالرمض حر الحجارة من شدة حر الشمس ... وذكر قوم أن رمضان اشتقاق من شدة الحر)) (٢). فيكون لفظ (رمضان) معلل وغير اعتباري .

هل هناك تناقض ؟

كلا . لا تناقض في آراء دي سوسير !

فمخطوطاته تبين أن هناك نوعين من الاعتبارية . (٣)

الأولى : الاعتبارية الكلية غير المعللة بين الدال والمدلول تكون في الأصل الأول للكلمات .

الثانية : الاعتبارية النسبية أو الجزئية ، وعرفها دي سوسير بأنها الاعتبارية المخففة عبر (التسوية) أي الدوال مسوغة في إطلاقها على المدلولات، وتكمن أهمية الاعتبارية النسبية في أنها تصل العناصر المختلفة للسان في ما بينها ولولاها لكان اللسان مجرد لائحة لتسمية الأشياء .

(١) مقاييس اللغة : ٢١٢ / ١

(٢) المصدر نفسه : ٤٤٠ / ٢

(٣) ينظر فهم فرديناند دو سوسور : ١٥٣-١٥٦

٢- الصفة الخطية للدال

هذا هو المبدأ الثاني الذي يحكم الإشارة اللغوية في نظر دي سوسير ، فالعلاقة اللغوية كما مر هي كتلة واحدة من (الدال والمدلول) لكن بهدف توضيح بعض المفاهيم اللسانية ، يحاول دي سوسير تجزئة بعضها من أجل ضبط الأسس التي تقوم عليها اللسانيات الحديثة ، لكن في الوقت نفسه يجد المتأمل في محاضراته أشبه وأقرب إلى شيء من التناقض ! .

ذلك أن ترابط الدال والمدلول من دعائم نظرية دي سوسير اللسانية، ومن ركائزها الثابتة فلا ((يوجد الكيان اللساني إلا بترابط الدال بالمدلول، لكننا كلما اقتصرنا على عنصر واحد من هذين العنصرين ، فإن الكيان اللساني يصير منعدم الوجود)) .(١) وبالرجوع حيث بدأنا في عنوان هذا المبحث (الصفة الخطية للدال)، فإنه يقتصر وجه واحد للورقة من دون قطع الوجه الآخر ، وهو وجه الدال.

وربما جاز له تجزئة الواحد من أجل تركيز الدراسة ودقتها ، فهو يرى أن الدال شيء مسموعٌ ((فهو يظهر إلى الوجود في حيز زمني فقط وتستمد منه هاتين الصفتين :

أ- أنه يمثل حقبة زمنية .

ب- وتقاس هذه الفترة ببعد واحدٍ فقط : فهو على هيئة خط)) (٢).

فلو نطق أي شخص مثلاً بكلمة : (رجل) فإنه يستغرق في نطقها زمناً يمتد بصوت الرءاء بدءاً وبصوت اللام انتهاءً ، وهذه هي المدة الزمنية التي يستغرقها الدال في التمثيل الصوتي .

ويمكن أن يصبح هذا ((التصور واضحاً عندما نمثله بالكتابة والخط الخاص للعلاقات

(١) مدخل إلى لسانيات سوسير : ١٠٤

(٢) علم اللغة العام : ٨٩

الكتابية التي تحل محل التتابع في الزمن ((١)). ففي المثال السابق: (رجل) توضح لنا كتابة الدال توالي حروفه التي تعني التتابع في زمن النطق، أي عند تعويض ((التتابع في خط الزمان بالتتابع في خط المكان بوساطة علاقات الكتابة)). (٢)

وهذا هو جوهر الاختلاف بين الدوال السمعية والدوال البصرية الأخرى، كالإشارات البحرية التي يمكن أن يكون فيها لوان متجاوران. (٣)

لكن لا يمكن أن ننطق بصوتين في آن واحدٍ مع الدوال السمعية .

(١) فصول في علم اللغة العام :١٢٩

(٢) دروس في الألسنية العامة : ١١٥

(٣) ينظر البحث عن سوسير : ١٠٥

مفهوم القيمة :

خصص دي سوسير مجموعة مباحث تحدث فيها عن مفهوم القيمة ؛لأنه يرى أن اللغة ليست إلا نظاماً للقيم. (١) وقراءة هذه المباحث يتضح فيها أمران هما:

١- إكمال فكرة الإشارة اللغوية لارتباطهما بمفهوم القيمة .

٢- تأسيس ثنائية جديدة هي ثنائية (القيمة والدلالة)، لوجود مشتركات دلالية بينهما، لاسيما أنه صرح أن بين هذين المفهومين توافقات واختلافات .

يؤكد دي سوسير في أولى سطورهِ عن القيمة ضرورة الفصل والتمييز بينها وبين الدلالة ، إذ إن وصف دال معين على مدلول محدد بأنه قيمة لذلك المدلول يبدو شيئاً مضللاً. (٢)

فمثلاً لفظة (شمس) ذات المدلول المتعارف في أذهاننا، لا يمكن أن يقال إن لها قيمة - بالمفهوم الديسوسييري - على الرغم من أنها تمتلك قيمة معجمية ، لكنها غير تلك التي أرادها دي سوسير ، فمفهوم القيمة عنده يمكن أن يفهم عبر ثلاثة جوانب :-

الأول:- قدرة الكلمة وطاققتها اللغوية على تمثيل فكرة ما. ؟ . وهذا جانب مهم في تمثيل القيمة لكلمة ما ، ويمكن توضيح ذلك عبر ما تجسده لفظة (أحد) في قوله تعالى: **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}** (٣) ، التي عبرت عن فكرة مفادها : أن ((ربي الذي أعبد هو الله يعني فرداً لا نظير له ولا شبيه له ، ولا شريك له ولا معين له)) (٤).

وهي قيمة تختلف عنها في سبحانه: **{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ}** (٥)، فإن قيمة (أحد) هنا لا تعني أكثر من : أحد من المشركين (٦).

(١) ينظر علم اللغة العام : ١٣ ١

(٢) ينظر المصدر نفسه :

(٣) سورة الاخلاص : ١

(٤) بحر العلوم : ٦٣٤ / ٣

(٥) سورة التوبة : من الآية ٦

(٦) ينظر الكشف و البيان : ١٣ / ٥ ، الهداية في بلوغ النهاية : ٢٩٣٢ / ٤

وعبر مقارنة القيمة بين هذين النصين يتضح معنى قول دي سوسير : أن ((قيمة الكلمة غير ثابتة طالما أن ليس بوسع المرء أن يفعل أكثر من ملاحظة أن الكلمة يمكن استبدالها بفكرة ما)) (١).

الثاني:- أن قيمة الكلمة تبرز عبر استبدالها بما يختلف عنها (٢). هذا المبدأ ضرورة لبيان القيمة ، وهو مشابه إلى حد ما بما نفعله لتحديد قطعة نقدية ذات خمسة فرنكات عند استبدالها بشيء مختلف عنها كالخبز مثلاً (٣) ، فلا يمكن أن أبادل هذه القطعة مقابل قطعة الخبز إلا باسم القيمة (٤).

ذلك يعني أن قيمة الكلمة لا تقتصر على اختلاف دلالتها لكن بمقابلتها بكلمات تتعارض معها ، لتكون قيمتها مرتبطة بتلك القيم ، فيكون مضمونها ليس محدداً في الحقيقة إلا بمساعدة ما يوجد خارجها (٥).

كيف يمكن ترجمة هذه القطعة من فكر دي سوسير عملياً ؟

قال تعالى : {وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} (٦).

فالنص القرآني المبارك يبين لنا القيمة لكلمة (الكفر) بأخرى تتعارض معها ، وتختلف عنها (دلالياً) وهي كلمة (الإيمان) ؛ لأن الإيمان : ((كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل)) (٧)، في حين أن الكفر إنكار الله والتكذيب بكل ما جاء به الأنبياء والمرسلون من البعث والحساب والجنة والنار وغيرها (٨) والكفر أيضاً ستر وجود الله أي إنكاره وعدم الإقرار به (٩) والستر

(١) أعلام الفكر من سقراط إلى سوسير : ٢٦٩

(٢) ينظر علم اللغة العام : ١٣٤ .

(٣) ينظر المصدر نفسه والصفحة نفسها :

(٤) ينظر فهم فرديناند دي سوسير : ٢٣ .

(٥) ينظر مدخل إلى لسانيات سوسير : ٨٧ .

(٦) سورة البقرة من الآية : ١٠٨ .

(٧) جامع البيان : ١ / ٢٣٥ .

(٨) ينظر التفسير الوسيط للواحدى : ٨٣ / ١

(٩) ينظر تفسير الشعراوي : ١٣٧ / ١

يقضي مستوراً ، فكان الأصل أن الله موجود ، لكن الكافر يستتر هذا الوجود ،
وهكذا

يكون الكفر نفسه دليلاً على الإيمان، فالإيمان هو الأصل والكفر طارئ عليه)). (١)

الثالث :- أن قيمة الكلمة تتضح عبر استبدالها بما يشابهها (٢). والمشابهة اللغوية هنا فسرت بالتشابه الدلالي أو الاشتراك في المعنى بعمومه (٣). والقيمة تقوم على الفوارق الدقيقة بين هذه المشتركات الدلالية ، فقد ثبت أنه : حتى إذا أشارت كلمتان إلى الأشياء أو الأحداث نفسها فإنهما لا بد أن يحملا فوارق دقيقة تميزهما (٤).

وهذا المبدأ له صدى كبير وتمثيل واضح في القرآن الكريم، ومنه التشابه في قوله سبحانه: {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكَبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا} (٥)، وقوله تعالى شأنه: {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا} (٦)

والاستبدال واضح في الآيتين الكريمتين عند لفظتي (إمرا ، نكرا) اللتين جائتا بعد تركيب واحد هو (لقد جئت شيئا).

إن هذا الاستبدال ضرورة لبيان القيمة لكلا اللفظين (إمرا ، نكرا) ، لأن ((كل الكلمات التي تعبر عن افكار متجاوزة داخل اللسان نفسه تحدد بعضها بعضا : فالمترادفات (خشي ، خاف) ، (رهب ، خشع) ليست لها قيمة إلا بتعارضها فيما بينها فإذا كانت (خاف) غير موجودة فإن كل مضمونها يذهب إلى الكلمات المنافسة لها)). (٧) والسياق العام للآيتين المباركتين يشير إلى أن هناك تشابها دلاليا بين

(١) تفسير الشعراوي: ١٨ / ١٩٧٤

(٢) ينظر علم اللغة العام : ١٣٤

(٣) ينظر معرفة اللغة: ١٣٠

(٤) ينظر أساسيات اللغة : ٦٠

(٥) سورة الكف : ٧١

(٦) السورة نفسها : ٧٤

(٧) مدخل إلى لسانيات سوسير : ٨٨

لفظتي (إمرا، نكرا) حتى عدّهما بعض المفسرين بمعنى واحد وهو (منكرا) (١).

لكن على وفق ما مر في هذا الجانب الذي يحدد القيمة عبر المتشابه الدلالي بين الألفاظ ، فإن الفارق يتجلى في قولهم : إن (النكر) أبلغ وأعظم من (الإمر) ؛ لأنه مع السفينة لم يكن قد قتل أهلها ، وقد يتداركون الغرق، لكنه مع الغلام صار القتل واقعاً فعلاً ، فحسن أن يكون الأعظم (نكرا) مع العظيم (القتل)، واحتمال الغرق أقل منه فوافقه (إمرا). (٢)

لا يمكن القول :إن القيمة تنتهي عند هذه الجوانب ، على الرغم من أنها خلاصة ما ترجم عن دي سوسير في محاضراته ، فقد وجدَ في بعض مخطوطاته التي كتبها عام (١٩١١ م) مقطعاً مهماً عن القيمة قال فيه: إن ((القيمة تترادف في كل لحظة مع مصطلح موجود ضمن نظام مصطلحات متشابهة)) (٣)، وقد قام بدراسة تلك المخطوطات (لويك دوبيكير)، وعبر مقارنة هذا المقطع مع ما كتبه دي سوسير عن القيمة، توصل (لويك دوبيكير) إلى أنه يعني بذلك المقطع أن القيمة يمكن أن تكون. (٤):

- ١- المعنى الذي تتخذه عناصر نظام لغوي ما بالنسبة إلى بعضها البعض .
- ٢- المعنى الذي أعطيه أنا - بشكل نفسي - لإشارات اللسان الذي أتكلّمه .
- ٣- المعنى الذي تعطيه جماعة ما لإشارات اللسان ولتحقيقها في الكلام (قيمة اجتماعية) .

(١) ينظر إعراب القرآن للنحاس : ٢: ٣٠٢

(٢) ينظر التحرير والتنوير: ٢٢ / ٣٣٧ - ٣٣٨

(٣) فهم فرديناند دو سوسير: ٢٢ .

(٤) ينظر المصدر نفسه : ٢٤ .

القيمة بعد دي سوسير

تناول اللغويون بعد دي سوسير مفهوم القيمة ، بوصفها محورا من محاور الدراسة الدلالية الحديثة ، ولإسهامها الفاعل في تفسير الحدث الكلامي.

فيرى (فندريس) ، أن ((الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة ، بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية)) (١).

وذهب (ميشال أريفيه): إلى أن القيمة تدخل في ثلاثة موضوعات متميزة هي:

وجهي العلامة اللغوية (الدال والمدلول)، ومن ثم العلامة في كليتها.

وفي اللغة الواحدة يمكن أن تتقارب كلمتان في دلالتها إلى حد قريب من الترادف ، لكن لا يمكن أن تكون لهما القيمة نفسها، فهي على هذا تعطي الوظيفة الحقيقية للوحدات اللغوية ، أكثر مما يشكلها اشتراك الدال والمدلول. (٢)

وعرفها (لويك دوبيكير) بأنها: ((المعنى الذي يأخذه عنصر ما ضمن نظام الإشارات ، وهي التي تحدد المعنى العام)) (٣)

وأكد (لويك) على أن مفهوم القيمة يبقى متصلا بالنظام ؛ لأننا لا يمكن أن نعرف العلامة تعريفا جيّدا، إلا بتحديد مكانها من ذلك النظام، فهو يتيح لنا دراسة علاقة العلامة بغيرها من العلامات ، على محوري التركيب والاقتران ، وهذا ما يعرف بالقيمة. (٤)

(١) ينظر اللغة : ٢٢٦

(٢) ينظر البحث عن فرديناند دوسوسير: ١١٢-١١٣

(٣) فهم فرديناند دوسوسور: ٩١

(٤) المصدر نفسه : ١٢٠-١٢١

واشترطت (شفيفة العلوي) لتحقيق القيمة شرطا بقولها إن : ((الوحدات اللسانية لا تكتسب قيمتها إلا إذا أمكن استبدالها بأخرى ، ولا يتحقق هذا الأمر إلا إذا اكتسبت كل لفظة مجموعة من الصفات تقابل بها كل واحدة من الألفاظ الأخرى)).(١)

وفي هذا تأكيد على العلاقة التلازمية بين القيمة والاستبدال، فلا يمكن إدراك قيمة الألفاظ إلا عبر إمكانية استبدالها بمتشابه ، أو مختلف ، في البيئة اللغوية.

أما (ديفيد كريستال) فقد أشار إلى أن هذا المفهوم هو من ابتكارات دي سوسير اللغوية ، وقال في شرحه له: إن ((القيمة مصطلح استحدثه في علم اللغة دي سوسير، للتعبير عن الهوية الوظيفية لكيان ما ، حين يظهر في النص ضمن نظام محكوم بالقواعد ، ومن وجهة نظر اللغة إنما هي نظام من المفردات المستقلة التي تنتج القيمة فيها فقط من الحضور الفوري للمفردات الأخرى المجاورة ، وتكون عائدة لمفاهيم الارتباطات التركيبية والاقترانية، وقد أدى هذا المفهوم دورا مركزيا في التطور الأخير في علم اللغة البنيوي)).(٢).

فالقيمة تعنى بوظائف الوحدات اللغوية ، المرتبطة بالمحور التركيبي وما يمثله من تجاور تلك الوحدات فيما بينها من جانب ، وبالمحور الاقتراني الذي يمثل المخزون اللغوي الفكري لمنشئ اللغة من جانب آخر . ، ومن ثم فإن القيمة هي حصيلة حضور وتقاطع بين هذين المحورين .

وقد مثل (جفري سامسون) لجانب من جوانب القيمة (إدراكها عبر المتشابه) بقوله : ((إن مدلول (الكلمة) (التكبر) يعتمد إلى حد كبير على الكلمات المضادة لها، وكان من الممكن أن يستعمل الكاتب كلمة (التعالي) لكنه لم يفعل، وكان من الممكن كذلك أن يكتب (العنجهية) ، لكنه لم يفعل ذلك أيضا وهكذا ، وعلى افتراض أن الكاتب هو

(١) محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة : ١٥

شخص يختار كلماته بعناية، فإن الفكرة التي يعبر عنها بكلمة (التكبر) تشبه الأفكار التي تحملها كلمتا (التعالي و العنجهية)، ولكن دون أن تكون مطابقة لأي منهما)). (١).

وهل نعتقد أن هناك عناية في اختيار الكلمات في تراكيبها ، أكثر من عناية القرآن الكريم لها؟ على مختلف مستويات القول الصوتية والصرفية والدلالية وغيرها.

وانطلاقاً من تمثيل (جفري سامسون) فإن لهذا التمثيل (الألفاظ المتقاربة دلالية) مصاديق كثيرة في القرآن الكريم ، يمر عليها الدارسون كأنها لمدلول واحد، في حين أن معطيات القيمة تشير إلى عكس ذلك، فمثلاً في لفظي (إبليس والشيطان) و(النار وجهنم) وغيرهما من الألفاظ .

الفرق بين القيمة والدلالة

تتشترك القيمة والدلالة في أن كل منهما يمثل فكرة ما . (١) وهذه الصفة لكليهما جعلت ((من السهل الخلط بينهما ؛ لأن الخلط لا يتحقق فقط من تشابههما بقدر ما يتحقق من دقة الفارق الذي تشيران إليه)) (٢). ويمكن أن تفرز نصوص دي سوسير المترجمة ، أو ما كُتب عن لسانياته مجموعة من الفوارق بين هذين المفهومين ، يختصرها الباحث بالآتي :

١- كثيرا ما تكون دلالة الكلمة بمعزل عن التركيب، في حين أن قيمتها لا تكون إلا بمكانها منه.

قال تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} (٣).

والصدع الشق في شيء له صلابة ، والصدع نبات الأرض لأنه يشققها ، (٤) وعلى هذا المعنى جاء قوله عز من قائل: {وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ} (٥) أي ذات الشق ، وهو ما يشقه النبات في الأرض فيصدعها (٦). وهذا مجمل ما يمكن أن يقال عن دلالة لفظ (صدع) ، أما القيمة في الآية المباركة فتتجلى في أن ((الصدع بالأمر لا بد له من تأثير كتأثير صدع الزجاج ، والتبليغ قد يصعب حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع ، والمعنى الذي يجمعهما الإيصال إلا أن الذي له تأثير كصدع الزجاجه أبلغ)) (٧).

٢- إن ((قيمة أي عبارة هي محددة بمحيطها)) (٨).

(١) ينظر علم اللغة العام : ١٣٣ .

(٢) فصول علم اللغة العام : ١٩٨ .

(٣) سورة الحجر : ٩٤ .

(٤) ينظر العين : ٢٩٢/١ صدع

(٥) سورة الطارق : ١٢

(٦) ينظر مفاتيح الغيب : ٣١ / ١٢٣

(٧) النكت في إعجاز القرآن : ٨٧

(٨) محاضرات في الألسنية العامة: ١٤١

فسؤال أحدهم لآخر : كم الساعة الآن ؟ يولد مجموعة من القيم لكلمة (الساعة)
تختلف تبعاً لظروف السائل ، فقد يعني السؤال عن الوقت لمعرفة موعد العمل ، أو
ربما يسأل عن ساعة اللقاء المهم الذي حدده مسبقاً، وربما كان لتنبيه المتلقي عن
تأخر الوقت، وهكذا.

٣- القيمة ((ليست سوى عنصر واحدٍ من عناصر الدلالة)) (١).

٤- لا يمكن أن تتساوى القيمة مع الدلالة على الرغم من المائز الدقيق بينهما ، وإذا
ما افترضنا تساويهما فإن ذلك لك يعني أن اللغة بعمومها عملية لتسمية الأشياء
فحسب (٢).

(١) علم اللغة العام: ١٣٣

(٢) ينظر المصدر نفسه والصفحة نفسها .

العلاقات التركيبية والاقترانية

- كأن المباحث المتعلقة بالقيمة لم تستوفِ المفهوم كله، ولم تحط به من كل جوانبه ، لذلك أراد دي سوسير في مبحث العلاقات أن يحدد تحديداً دقيقاً ماهية القيمة ، أو لنُقَلَّ: بياناً أشمل لما تعنيه (١) أما كيفية تأثير القيمة بلعبة العلاقات فيأتي من تصويره:
- ١- أن العقل البشري يقيم نوعين من العلاقات بين الكلمات، وهذه العلاقات متداخلة ومتقاطعة في محورين (٢).
 - ٢- أن القيمة لها وظيفة مزدوجة مع كل محور من هذين المحورين (٣).
 - ٣- أن للكلمة طريقتين في تجاورها مع الكلمات الأخر، تجاوراً أفقياً وآخر عمودياً ، ولكل تجاورٍ نظام مخصوص من القيم (٤). أما هذا المحوران فهما :
 - ١- المحور التركيبي : ويقصد به العلاقة التي تجمع بين عنصرين أو أكثر في ضمن السلسلة الكلامية (٥)، ويمكن إيجاز خصائص هذا المحور بالآتي :
 - أ - إن الكلمات المترابطة في هذا المحور ذات صفة خطية ، تقضي باستحالة النطق بعنصرين في الوقت نفسه (٦).
 - ب - العلاقات الموجودة على هذا المحور هي علاقات حضور، أي أنها علاقات حاضرة فعلياً في السلسلة الكلامية المنطوقة (٧).
 - ج - عدد العناصر الموجودة على هذا المحور محددة، فلا يمكن أن نستعمل تركيباً غير متناهٍ من العناصر (٨).

(١) ينظر مدخل إلى لسانيات سوسير : ١٠٩.

(٢) ينظر علم اللغة العام : ١٤٢.

(٣) ينظر مدخل إلى لسانيات سوسير : ١٠٩.

(٤) ينظر المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٥) ينظر دروس في الألسنية العامة : ١٨٦.

(٦) ينظر مدخل إلى لسانيات سوسير : ١٠٧.

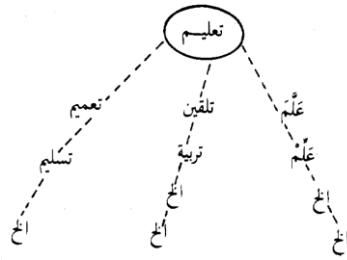
(٧) ينظر علم اللغة العام : ١٤٣ .

(٨) ينظر النظريات اللسانية الكبرى : ١٣٥ .

د - القيمة لكلمات هذا المحور تقوم على مقابلتها مع ما قبلها، أو ما بعدها أو كليهما معاً (١).

٢ - المحور الاقتراضي :- وهو ما يتشكل عبر مجموعة الارتباطات التي يحدثها الذهن بين مفردات مخزونه اللغوي ، ليكوّن مجاميع لغوية تشترك في صفةٍ ما ، فمثلاً كلمة (تعليم) قد ترتبط معها كلمات آخر ذات مشترك في المادة المعجمية (علم ، معلم ، عالم ...)، وقد يكون الاقتران عبر تشابه المدلولات (تلقين، تربية ، تدريس...) . وقد تكون صفة الاشتراك صيغة الكلمة (تفعيل) التي تستدعي : (تعميم ، تسليم ، تحرير...) ،

فالكلمة في هذا المحور اشبه بمركز المجرة التي تلتقي حوله أطراف أخر منسقة ، وذات عدد غير محدد (٢)



ويمكن ايجاز أهم خصائص هذا المحور بالآتي :

آ - إنها علاقات غياب ، مركزها الذهن فلا تظهر في الاستعمال . (٣)

ب- الكلمات في هذا المحور يكون ترتيبها غير معلوم وعددها غير محدد . (٤)

(١) ينظر دروس في الألسنية العامة : ١٩٠

(٢) ينظر المصدر نفسه والصفحة نفسها :

(٣) ينظر المصدر نفسه والصفحة نفسها :

(٤) ينظر المصدر نفسه والصفحة نفسها :

ج- الكلمات في هذا المحور ((في الأغلب قابلة لاستبدال بعضها من البعض الآخر...بمعنى أن العلاقة اللغوية الموجودة في الكلام تمتلك امكانية الاستبدال بعلامة أخرى من غير أن يختل البناء))(١).

وإذا نظرنا إلى المحورين مجتمعين يتبين لنا الآتي: (٢)

١- أنهما من ابتكار دي سوسير فلم يذكرهما أحد قبله .

٢- لا يمكن أن فصلهما عن بعض فهما متلازمان .

٣- لهما مصطلحات مختلفة بحسب المعنى والوظيفة الذي تنظر إليه المدرسة اللغوية .

٤- لا يمكن فصلهما عن الدلالة .

(١) الاتجار الوصفي (بحث) : ٥

(٢) ينظر : الخط العمودي والخط الافقي: ٩

المقاربات الفكرية للمفسرين عن مفهوم القيمة وعلاقتها بالمعنى التركيبي

نزل القرآن الكريم من عليائه ، فأمن به المصطفى (ﷺ) واطمأن قلبه بآياته المباركة ... وتلقفته أسماعٌ واعيةٌ فخالط الإيمان قلوبهم فأمنوا ، وهذه النزعة الإيمانية لم تكن الهبة الوحيدة من فيض القرآن الكريم، فقد تأثر العرب عامةً ببلاغته وفصاحته ، وهم أربابها فسحروا به وعرفوا أن ((بلاغة القرآن لا تدانيها بلاغة وكل كلام وإن علا ينحط دونه)) (١) وهم على ما نشأوا عليه في أسواق اللغة وميادينها كانوا ((يفهون القرآن ، ويدركون معانيه ومراميها ، بمقتضى سليقتهم العربية فهماً لا تعكره عجمة ، ولا يشوبه تكرير ، ولا يشوهه شيء من قبح الابتداع ... وكان للقوم وقفات أمام بعض النصوص القرآنية التي دقت مراميها وخفيت معانيها)) (٢).

فانبرى قوم لكشف معانيه ، والوقوف على شيء من أسرارها ، يقيناً منهم بصدق قول المصطفى (ﷺ) فيه : ((كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ... ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء)) (٣). ومن بحر أولئك المفسرين استقى الباحث مجموعة من آثارهم التي بينت رؤيتهم في استيضاح قيمه اللغوية ، ويمكن اختصار ذلك بالآتي:

١- بيان القيمة عبر نكاته الإعرابية: من ذلك ما جاء في قوله تعالى: **{لَكِنَّ الرَّاٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُوْتِيْهِمْ أَجْرًا عَظِيْمًا}** (٤)

(١) شرح ديوان الحماسة : ١ / ٧٨٧

(٢) التفسير والمفسرون : ١ / ٦

(٣) سنن الترمذي : ٥ / ٢٣

(٤) سورة النساء : ١٦٢

فاختلاف الإعراب في (المقيمين) كان للمدح.(١). ومثله قول الخرنق(٢) :

لا يبعدن قومي الذين هم سُمُّ العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معتركٍ والطيبين معاهد الازر

وإنما خص المقيمين للصلاة ((لما للصلاة من التخصيص من بين العبادات؛ لأنها تالية للإيمان في أكثر المواضع في القرآن ؛ ولأن الله سبحانه - أمر الرسول(ﷺ) بها ليلة المعراج بغير واسطة جبريل))(عليه السلام)(٣). فالقيمة لـ(المقيمين)انعكست على الآية بأجمعها .

ومما جاء على شاكلة ذلك أيضاً قوله عز من قائل:﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤) فالقياس يقتضي النصب في (كلمة الله) عطفاً على الأولى (٥) وبه قرأ بعضهم (٦) لكن الرفع أجود؛ لأنها لم تزل كذلك، والنصب يدل على أنها جعلت كذلك بعد أن لم تكن عليا (٧).

٢ - بيان القيمة عبر دلالتها الصرفية ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَّلَيْكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (٨). فإن اختيار لفظة (يسارعون) كان لقيمة لغوية

لاتجدها في (يسرعون)؛ لأن ((يسارعون مضارع أسرع ، يقال أسرع إلى الشيء وسرعت إليه بمعنى واحد ، وأما المسارعة ، فالمسابقة ، أي يسارعون غيرهم قال الزجاج(٩) يسارعون أبلغ من يسرعون ... وجهة المبالغة أن المفاعلة تكون

(١) ينظر الكشف والبيان: ٢/

(٢) البيتان من الكامل وهما للخرنق بنت بدر هفان كما في ديوانها : ٤٣

(٣) لطائف الإشارات : ٣٩٠ / ١ .

(٤) سورة الأنفال : من الآية ٤٠

(٥) ينظر معالم التنزيل: ٣٥٣/٢ .

(٦) ينظر شرح طيبة النشر في القراءات : ٢٤٥ .

(٧) ينظر الهداية بلوغ النهاية : ٣٠٠٣/٤ .

(٨) سورة المؤمنون : ٦١ .

(٩) ينظر معاني القرآن للزجاج : ١٧ / ٤ .

من اثنين، فتقتضي حث النفس على سبق ؛ لأن من عارضك في الشيء تشتهي أن تغلبه فيه)) . (١) ومما جاء على هذا النحو أيضاً قوله تعالى : {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} (٢) فقد قرأت (يذبحون) بتخفيف الباء (٣) ، لكن القيمة لقراءة المصحف (بتشديد الباء في يذبحون) هي للدلالة على المبالغة الدالة على تكرار الذبح (٤) أي يذبح بعضهم أثر بعض . (٥)

٣- بيان القيمة للكلمة عبر دلالتها الصوتية :

وهي الدلالة المستمدة من طبيعة أصوات الكلمة ونغمها وجرسها ليتأثر بها التركيب كله (٦) كما في قوله تعالى : {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (٧) .

وقف المفسرون على كلمة (متشاكسون)، للتعبير عن معنى ((التمانع بالتنازع ، تشاكسوا في الأمر تشاكساً)) (٨).

فالشكس هو الرجل سيء الخلق، ومخالفاً للناس لا يرضى بالإنصاف (٩). ومنه قيل

(١) البحر المحيط : ٧ / ٥٧٠ .

(٢) سورة البقرة : ٤٩ .

(٣) ينظر الكشف : ١٣٨/١، المحرر الوجيز : ١٤٠/١ ، أنوار التنزيل : ٧٩/١

(٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٣٨٦ .

(٥) ينظر المفردات في غريب القرآن : ٣٢٦ .

(٦) ينظر دلالة الألفاظ : ٤٦

(٧) سورة الزمر : ٢٩

(٨) تفسير ابن فورك : ٣١٨/٢

(٩) ينظر معالم التنزيل : ٨٧ / ٤

الليل والنهار متشاكسان ، أي أنهما متضادان إذا جاء أحدهما ذهب الآخر (١).

وهذه المعاني لا تعكس قيمة صوتية للكلمة ، بل إننا نجد ذلك في قول أحد المحدثين : ((الدلالة الصوتية لـ(متشاكسون) أعطت معنى النزاع المستمر لما جمعته من حروف التفشي، والصغير، والسين والشين(٢) ، تعاقباً تتخللهما الكاف من وسط الحلق والنون للمد والترنم والتأثير بالحالة، فأعطت هذه الاحرف مجتمعة نغماً موسيقياً خاصاً، حملها أكثر من معنى الخصومة والنقاش، بما أكسبها أزيزاً في الأذن يبلغ به السامع أن الخصام ذو خصوصية بلغت درجة الفورة والعنف والفرع، من جهة كما أحيط السمع بجرس مهموس معين ذي نبرات تؤثر بالحس الوجداني من جهة أخرى)) (٣).

ومثله ما جاء في أسماء يوم القيمة، وهي كثيرة في القرآن الكريم تجد في معظمها أن اختيار الحق سبحانه وتعالى لهذه الألفاظ لا يخلو من التأثير الصوتي النفسي فضلاً عن المعاني الآخر . ومن تلك الأسماء مثلاً(الحاقة) في قوله عز من قائل {الْحَاقَّةُ} {مَا الْحَاقَّةُ} {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ} (٤) قال المفسرون : إن الحاقة التي تحقق فيها الأمور ويجب فيه الجزاء على الأعمال وهي مأخوذة من قول العرب حق عليه الشيء إذا وجب فهو يحق حقوقاً. (٥)

وقال آخر: إن القيامة حاقة لأنها تحقق كل محاق في دين الله بالباطل، أي كل مخاصم ، وحاقه أي خاصمه ، ومنه قول العرب ماله من حق ولا حقاق أي خصومة (٦). أما دلالاتها الصوتية فيرأى المحدثون: أن لفظة (الحاقة) ((بلفظها وجرسها ومعناها تلقي في الحس معنى الجد والصرامة، والحق، و الاستقرار، وإيقاع اللفظ

(١) ينظر مفاتيح الغيب : ٢٦ / ٤٥٠.

(٢) حرف التفشي هو الشين، وحروف الصغير هي(السين، والصاد، و الزاي)، ينظر القول السديد: ١٧٠، ١٧٥

(٣) ينظر الصوت اللغوي في القرآن : ١٦٧

(٤) سورة الحاقة : ٣-١.

(٥) ينظر جامع البيان: ١٨ / ٥٦٦

(٦) ينظر الجامع لأحكام القرآن : ١٨ / ٢٥٧

بذاته أشبه برفع الثقل طويلاً ثم استقراره مكيفاً، ورفع مده الحاء بالألف، وجدده في تشديد القاف بعدها، واستقراره بالانتهاء بالتاء المربوطة التي تنطق هاء ساكنة)) (١). وهذا التناغم بين صوت اللفظ والانعكاس النفسي له، هو شكل من أشكال القيمة، وهذا يؤيده أحد الباحثين بقوله : ((تأليف أصوات الحروف والحركات له دور هام في إثارة الانفعال المناسب ، فالإيقاع الداخلي للألفاظ والجو الموسيقي الذي يحدثه عند النطق يعد من أهم المنبهات المثيرة للانفعالات الخاصة المناسبة)) (٢).

٤- بيان القيمة عبر دلالتها المعجمية :

قال تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} (٣).

لفظة (تجأرون) جاءت على معنى ترفعون أصواتكم بالاستغاثة ليكشف ذلك عنكم (٤). وأصله من جوار الثور يقال: جأر الثور يجأر جواراً ، وذلك إذا رفع صوتاً شديداً من جوع وغيره (٥)، بمعنى تضجون أو تستغيثون أو تتضرعون بالدعاء (٦)، لكن هناك قيمة لغوية للفظ (تجأرون) لا يمكن أن تقف عند معنى الضجيج أو الاستغاثة ! فهذه الكلمة تستمد قيمتها من معناها المعجمي ، وهو أن جوار الثور يهدأ بعد أن يُطعم ويُسقى، كذلك الإنسان فإنه يهدأ بمجرد زوال الضر والبلاء عنه، ويعود إذا عاد ؛ لأن التضرع بالدعاء لم يك تضرعاً إيمانياً خالصاً، بقدر ما كان حاجة من حوائج الإنسان الدنيوية .

ومثله قوله تعالى: {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا

(١) في ظلال القرآن : ٣٦٧٤/٦

(٢) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية : ١٤

(٣) سورة النحل : ٥٣

(٤) ينظر جامع البيان: ١٧ / ٢٢٤

(٥) ينظر لسان العرب : ٤ / ١١٢

(٦) ينظر النكت و العيون : ٣ / ١٩٣

قَلِيلًا مِنْهُمْ}. (٢)

والملاحظ أن سياق الآية المباركة يوضح أن لفظة (يطعمه) تعطي التركيب معنى : من لم يشرب من النهر فإنه مني ، وكانوا شكوا العطش لجالوت (٢). والتأمل في

الآية الكريمة يسفر عن دقة في المعنى العام لها ، فالجذر اللغوي (طَعَمَ) هو ((أصل مطرد منقاس في تذوق الشيء يقال طعمت الشيء طعماً)) (٣). وهذه القيمة حولت المعنى إلى ((ومن لم يذقه: من طعم الشيء إذا ذاقه ، ومنه طعم الشيء لمذاقه ، قال (٤):

وإن شئت لم أطعم نقاخاً (٥) ولا برداً)) (٦).

فكأن قوله عز من قال (ومن لم يطعمه) : ((سد للذرائع ؛ لأن أدنى الذوق يدخل في لفظ الطعم ، فإذا وقع النهي عن الطعم فلا سبيل إلى وقوع الشرب ممن يتجنب الطعم ولهذه المبالغات لم يأت الكلام بصيغة : (ومن لم يشرب منه) ((. (٧)

(١) سورة البقرة : من الآية ٢٤٩

(٢) ينظر جامع البيان: ٥ / ٣٤١ ، بحر العلوم : ١ / ١٦٣

(٣) مقاييس اللغة : ٣ / ٤١٠

(٤) هذا عجز بيت من الطويل للعرجي و صدره : فإن شئت حرمت النساء سواكم كما في ديوانه : ١٠٩

(٥) (النقاخ) الماء العذب ، و(البردُ) النوم . ينظر تهذيب اللغة : ١٤ / ٧٥

(٦) الكشف: ١ / ٢٩٤

(٧) المحرر الوجيز: ١ / ٣٣٥

المقاربات الفكرية لمفهوم القيمة عند علماء الإعجاز القرآني

اهتم مجموعة من العلماء العرب بدراسة النظم في القرآن الكريم ، والتفتيش عن السر الذي يكمن وراء تفرد هذا النوع من الصياغة اللغوية، وتذكر المصادر أن القرن الثاني للهجرة شهد باكورة المؤلفات التي حملت عنوان (نظم القرآن) (١) وفيها شرع مؤلفوها ببيان الوجه الإعجازي البلاغي للقرآن الكريم.

واستمرت دائرة التأليف تتسع بعد تلك الحقبة ، فنضجت الرؤى وهُدّبت الأفكار حتى وصلت إلينا تلك الآثار القيّمة التي تعكس العمق اللغوي لأصحابها.

وما يعنينا في هذا المبحث هو أن كل الذين كتبوا في هذا الشأن اتفقوا على أن :

أ- النص القرآني هو أعلى النصوص الأدبية قيمة بلاغية ، لا يمكن أن يصل إليها أي نص آخر .

ب - الكلمة المفردة لا قيمة لها خارج السياق ، فهو الذي يكسبها قيمتها الحقيقية ، بالنظر إليها مع باقي كلمات التركيب ، وهي رؤيا لسانية الحديثة .

ج- التفتيش عن سر الإعجاز في ذلك الكتاب المقدس ، هدف عقائدي وغاية تعبدية ، تعمق الإيمان الحقيقي في النفوس ، وتدفع التهم التي تدعي نسبته لغير الله جل وعلا ، فضلا عن الأغراض اللغوية الآخر .

وسيقف الباحث على مجموعة من العلماء الذين كتبوا في إعجاز القرآن مع بيان ماله علاقة بمفهوم القيمة موضوع البحث.

(١) ذكر الدكتور حاتم الضامن أن الجاحظ قد ألف كتابا أسماه (نظم القرآن) ، وقد ذكره في بعض مؤلفاته ، كذلك وردت إشارات للعلماء حول هذا الكتاب ما بين ممدح له وقادح به ، لكنه فُقِدَ ولم يصل إلينا ، وهو الأنموذج الأول للمؤلفات في هذا الفن لهذا القرن . ينظر نظرية النظم : ١٠ - ١٢ .

١- المقاربات الفكرية لمفهوم القيمة عند علي بن عيسى الرماني:

كتب الرماني كتاباً أسماه (النكت في إعجاز القرآن)، وفيه يرى أن القيمة للقرآن الكريم تكمن في بلاغته، فهو بداية يعرف البلاغة بأنها: ((إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ)). (١)

فالقيمة عند الرماني مرتبطة بالبلاغة، وهي موضع التفاضل بين صنوف الكلام، وعلى هذا المبدأ يقسم الرماني البلاغة على ثلاث طبقات (٢):

١- الطبقة العليا: وهي طبقة الكلام المعجز الذي لا يصل إليه كلام، والقرآن الكريم كله ينتمي إلى هذه الطبقة.

٢- الطبقة الدنيا: وتشمل الكلام المستهجن، من الألفاظ المستكرهة القبيحة.

٣- الطبقة الوسطى، وهي بين العليا والدنيا.

ويقسم الرماني البلاغة على عشرة أقسام هي: ((الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان)) (٣).

ويجعل محتوى كتابه في بيان القيمة للقرآن الكريم وفق أقسام البلاغة هذه، إذ يفرد لكل قسم باباً، فيعرفه، ويمثل له من كتاب الله عز وجل، مع بيان مواطن النكات البلاغية، فيما مثّل له، وأحياناً يعقد مقارنة بينه وبين كلام العرب، ويبين الوجوه البلاغية التي جعلت كلام الله جل وعلا أبلغ.

ومما جاء في كتابه في بيان القيمة في قوله عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٤). (فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع

(١) النكت في إعجاز القرآن : ٧٦

(٢) النكت في إعجاز القرآن: ٧٥

(٣) المصدر نفسه : ٧٦

(٤) سورة النور : ٣٩

عليه الحاسة إلى ما تقع عليه ، وقد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة ، ولو قيل يحسبه الرائي ماء ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر لكان بليغا ، وأبلغ منه لفظ القرآن ، لأن الظمان أشد حرصا عليه وتعلق قلب به. ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار - نعوذ بالله من هذه الحال - وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه ، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة ، وصحة الدلالة)).(١)

ومثله ما جاء في قوله تعالى: {فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} (٢) على معنى: ((أجاعها الله وأخافها والاستعارة أبلغ ، لدلالاتها على استمرار ذلك بهم كاستمرار لباس الجلد وما أشبهه. وإنما قيل ذاقوه لأنه كما يجد الذائق مرارة الشيء فهم في الاستمرار كتلك الشدة في المذاقة.)).(٣).

يفهم من كلام الرماني أن القيمة للقرآن الكريم تتعلق بالبلاغة العربية ، وقد فهم العربي بذائفته اللغوية التفاوت الجلي الظاهر بين كلام الله جلّ وعلا وغيره من الكلام .

(١) النكت في إعجاز القرآن : ٨٢

(٢) سورة النحل : من الآية ١١٢

(٣) النكت في إعجاز القرآن : ٩٠

٢- المقاربات الفكرية لمفهوم القيمة عند أحمد بن محمد الخطابي:

نظر الخطابي في إعجاز القرآن ،وتدبر في آياته ،وفي معانيه ،فخرج بالقول: إن القرآن(إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني)) (١)،ومنه يفهم أن سر الإعجاز عنده قائم على :

١- لفظ فصيح .

٢- في أحسن أشكال النظم .

٣- في أصح المعاني.

فالألفاظ عنده تمثل ركنا من أركان الإعجاز البياني في القرآن الكريم ،وعليها يدور كلامه كثيرا ،ومن ثم موقع هذه الألفاظ من التركيب ، مع ما تنسجيه من المعنى .

وقال في موضع آخر،مؤكدًا صحة رأيه إن ((عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات، هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به ، الذي إذا أُبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ، ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب ؛كالعلم والمعرفة ، والحمد و الشكر ، والبخل والشح ، وكانعت والصفة ، وكقولك: اقعد والجلس ، وبلى ونعم ، وذلك وذاك ، ومن وعن ، ونحوهما)) (٢).

على معنى أن الألفاظ المتقاربة دلاليا - كالتى مثل لها الخطابي- يوضح أحدها القيمة للآخر، وقد مر ذلك في مبحث القيمة عند دي سوسير.

ثم ينتقل بعد الألفاظ إلى طريقة نظمها في الكلام ،ورصفها في السياق؛ لأن الألفاظ وحدها لا يمكن أن تتفاضل من دون التراكيب اللغوية ،فهى التي تثير في النفس

صورة العبارة ،وتحفز الفكر لعناق المعنى الرائق،يقول الخطابي مؤكدا أهمية

(١) بيان إعجاز القرآن : ٢٧

(٢) المصدر نفسه : ٢٩

تناسق الألفاظ: ((أما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحدق فيها أكثر؛ لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام ، ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان)) (١).

ثم يلخص الخطابي تصوره عن القيمة للقرآن الكريم بأنها عبارة عن: ((لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم. وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه. وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها. والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها.)) (٢).

ومن ثم فالقيمة عنده تقوم على :

١- اللفظ الحامل .

٢- المعنى القائم .

٣- الرباط الناظم .

ومما جاء في كتابه في بيانه لإعجاز القرآن القائم على الأسس آنفة الذكر ، كلامه في قوله تعالى : **{هَٰكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ}** (٣) ، فزعموا أن الهلاك لا يكون إلا في الأعيان كقوله: هلك زيد ، وهلك مال عمرو ونحوهما ، ولوقال قائل: هلك عن فلان علمه ، أو هلك جاهه ، على معنى ذهب علمه وجاهه ، لكان مستقبلاً غير مستحسن، وجواب ذلك: أن الذهاب قد يكون على مرادة العودة ، وتأمل الرجوع ، وليس مع الهلاك بقيا ولا رجعى . (٤)

(١) بيان إعجاز القرآن : ٣٦

(٢) المصدر نفسه : ٢٧

(٣) سورة الحاقة : ٢٩

(٤) ينظر بيان إعجاز القرآن : ٣٨ ، ٤٤

ومنه أيضا ما جاء في قوله عز من قائل: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} (١) فقال في القيمة للحذف في هذه الآية: ((وإنما جاز حذف الجواب في ذلك وحسن لأن المذكور منه يدل على المحذوف والمسكوت عنه من جوابه... كأنه قيل: لما دخلوها حصلوا على النعيم المقيم الذي لا انقطاع له ولا تكدير فيه)). (٢)

٣- المقاربات الفكرية لمفهوم القيمة عند أبي بكر الباقلاني

إن النقطة التي انطلق منها الباقلاني لبيان الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم ، هي النظم الذي انماز به هذا اللون من الكلام ، فقد ثبت عنده ((أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه)) (٣) ، وأن قيمته اللغوية البلاغية واحدة في كل آياته ، إذ لا تمايز بينها ، ((إنما هو على حد واحد في حسن النظم، وبديع التأليف والرصف، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا.)) (٤).

فالركيزة التي يستند إليها الباقلاني في معظم صفحات كتابه، هي قوله إن نظمه خارج عما عرفه البشر من فنون القول، واطلاعه الواسع على فنون البلاغة العربية، جعله يدرك مؤمنا أن الآيات القرآنية هي الغاية القصوى في فن الكلام ، فأحكام الباقلاني في بيان القيمة في كتاب الله متأتية من إدراكه لتناسب الألفاظ مع معانيها وتراكيبها، فعلى سبيل التمثيل يقول في قوله تعالى :

{ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ } (٥) : ((هل يحسن أحد أن يأتي بمثل هذا الوعيد؟ وأن ينظم مثل هذا النظم، وأن يجد مثل هذه النظائر السابقة؟ ويصادف

(١) سورة الزمر: ٧٣

(٢) بيان إعجاز القرآن : ٥٢

(٣) إعجاز القرآن: ٦٩

(٤) المصدر نفسه : ٧٠

(٥) سورة الشعراء من الآية ٢٢٧

مثل هذه الكلمات المتقدمة؟ ولولا كراهة الإملال، لجئت إلى كل فصل، فاستقرت على الترتيب كلماته، وبيّنت لك ما في كل واحدة منها من البراعة، وعجيب البلاغة)). (١)

وفي معرض حديثه عن قوله عز من قائل: {وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ} (٢) ((وهل تقع في الحسن موقع قوله: ليأخذوه كلمة؟ وهل تقوم مقامه في الجزالة لفظة؟ وهل يسد مسده في الأصالة نكتة؟ لو وضع موضع ذلك ليقتلوه ، أو ليرجموه أو ، لينفوه ، أو ليطرده أو ليهلكوه أو ليزلوه ، ونحو هذا)). (٣) على معنى أن قيمة المفردة تتحدد تبعاً لتناسقها مع باقي مفردات التركيب .

(١) إعجاز القرآن : ١٩٦

(٢) سورة غافر من الآية ٥

(٣) إعجاز القرآن : ١٩٧

٤- المقاربات الفكرية لمفهوم القيمة عند القاضي عبد الجبار المعتزلي

ماهي السمات التي إنماز بها النص القرآني عن غيره من النصوص حتى صار ما عليه من القداسة والإعجاز ؟

ظل هذا السؤال جديداً على الرغم من أن أساسه كان مع أول آية مباركة وقف العرب عاجزين عن الآتيان بمثلها .

فهم بما لديهم من ملكة لغوية فذة قد عرفوا أن القرآن الكريم ((بديع النظم عجيب التأليف متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه ... أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة والحكم الكثيرة وتناسب البلاغة والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر)) (١).

وكان القاضي عبد الجبار المعتزلي من العلماء الذين أولوا النص القرآني اهتماماً كبيراً في بيان إعجازه، والوقوف على أسرار ذلك الإعجاز، وإيضاحها عبر مقارنتها مع النصوص العربية العالية لشعراء العرب وبلغائها (٢).

وقد ذكر القاضي عبد الجبار مجموعة من الأسس التي صار القرآن بها معجزاً لا يمكن مجاراته ، وسيقف الباحث على بعض تلك الأسس التي يحسب أنها تتلقي مع ما جاء به دي سوسير في موضوع القيمة، ويمكن اختصار ذلك بالآتي :

١- جمع الكلمات وضمها على طريقة مخصوصة :-

يرى القاضي عبد الجبار أن ركناً من أركان الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم كان في التركيب وليس في الكلمات المفردة فإن ((الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام ، وإنما تظهر في الكلام الضم على طريقة مخصوصة)) (٣). ثم يقترح لضم الكلمات

(١) إعجاز القرآن : ٦٩.

(٢) خصص القاضي عبد الجبار الجزء السادس عشر من كتابه (المغني في أبواب التوحيد والعدل) لبيان إعجاز القرآن و دلالاته التي تثبت ذلك ودافع فيه أيضاً عنه ورد بعض الشبهات التي تشكك فيه .

(٣) المغني: ١٦ / ١٩٩

في التركيب قوانين تستقيم معها عملية الضم ،وتحقق كنتيجة نهائية القيمة للنص،وهذه القوانين تدرك في قوله: ((ولابد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة ،وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم،وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه. وقد تكون بالموقع ... وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع ،لأنه إما أن تعتبر فيه الكلمة ،أو حركاتها ،أو موقعها ،ولابد من هذا الاعتبار في كل كلمة ،ثم لابد من اعتبار مثله في الكلمات إذا انضم بعضها إلى بعض)) (١).

وهذا التصور صيغ بقلم اللسانين المحدثين حين قرروا أن ((كل كلمة في اللسان لها علاقة بكلمات أخرى أو بالأحرى لا وجود لهذه الكلمة إلا بعلاقتها مع الكلمات الأخرى وبموجب ما يوجد حولها)) (٢) .

يمكن أن نستخلص من النص المذكور آنفاً للقاضي عبد الجبار أن القيمة عنده تكون حصيلة ثلاثة أركان هي :

١- المواضعة (الإبدال) :- وهو اختيار المتكلم كلمة معينة من بين كلمات أخر يمكن أن تصلح للاستعمال في السياق الخاص (٣).

٢- الموقع : - ويقصد به وضع الكلمة حيث تأخذ مكاناً خاصاً في الكلام، فتقدم وتؤخر وترتبط بأختها في السياق ويكون بينهما نوعٌ من التقارب والتجانس (٤).

٣- الإعراب :- وهو ما يختص بالموقع النحوي أي كون الكلمة في موقع فاعلٍ أو مفعول أو حالاً أو نحو ذلك . (٥)

فالقيمة عند القاضي عبد الجبار هي المحصلة النهائية لثلاث خطوات :

(١) . المغني: ١٦ / ١٩٩ - ٢٠٠.

(٢) فهم فرديناند دوسوسير: ١١٨.

(٣) ينظر نظرية القصد : ١٠٩.

(٤) ينظر قراءات في النظم القرآني: ٤٦.

(٥) ينظر نظرية القصد: ١٠٩ .

١- اختيار الكلمة

٢- تحديد مكانها في التركيب

٣ - إبراز وظيفتها به

وبها يتحقق الهدف اللغوي (التواصل) ،مع زيادة في الاحسان من بلاغة الكلام.

فهو يرى أن القيمة لاتقف عند المعنى فالمعاني ((وإن كان لابد منها فلا تظهر فيها

المزية وإن كانت تظهر في الكلام لأجلها - أي لأجل المعاني)) (١).

(١) ينظر قراءات في النظم القرآني :٤٧.

٥- المقاربات الفكرية لمفهوم القيمة عندالإمام عبدالقاهرالجرجاني في نظرية النظم

يعدالإمام عبد القاهر الجرجاني واحد من أهم من كتبوا في إعجاز القرآن الكريم ،وكانت نظرية النظم هي خلاصة فكرة المتأمل لآيات الكتاب العزيز ، فقد وضح بداية أن العرب عجزوا عن الآتيان بمثله بعدما ((أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمهم ،وخصائص صادفوها في سياق لفظه ،وبدائع راعَتهُم من مبادئ آيه ومقاطعها ،ومجاري ألفاظها ومواقعها ،وفي مضرب كلِّ مثلٍ، ومساق كلِّ خبرٍ)) (١).

ولم يكن حكمهم في ذلك جزافاً أو غير قائم على دليل علمي بل ((أنَّهم تأملوه سورةً سورةً، وعَشْراً عَشْراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة يُنبو بها مكانها، ولفظةً يُنكرُ شأنها، أو يُرى أنَّ غيرَها أصلحُ هناك أو أشبهه، أو أخرى وأخلق، بل وجدوا اتِّساقاً بَهْرَ العقولِ، وأعجزَ الجمهورِ، ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً، لم يدعُ في نفسٍ بليغٍ منهم، ولو حكَّ بيافوخه السَّماء، موضعَ طمعٍ، حتى خرستِ الألسنُ عن أن تدعي وتقول، وخذيت القروم فلم تملك أن تقول)) (٢).

كل تلك الشهادات وغيرها ممن أقرت بمعجزة الكلمات في سفر المقدس جعلت عبد القاهر الجرجاني يفتش عن سر ذلك الاعجاز ؟ وما يهم الباحث هنا هو الوقوف على المقاربات اللغوية الفكرية بين نظرية النظم ومفهوم القيمة .

لعل أقرب نقطة تجتمع فيها هاتان النظريتان هي أن الكلمة مختلفة القيمة بحسب موقعها من الكلام ،(٣) وفي ذلك يقول الجرجاني: ((إنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضعٍ ثم تراها بعينها تنقل عليك في موضعٍ آخر كلفظة (أ د ع) في بيت

(١) دلائل الاعجاز : ٣٩/١

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها :

(٣) ينظر: علم اللغة العام : ١٣٤

الحماسة (١):

تلفتُ نحو الحي حتى وجدتني وجعتُ من الأصغاء ليتاً وأخدعا

وبيت البحتري (٢) :

وإني وأن بلغتني شرف الغنى وأعتقت من رق المطامع أخدعي

فإن في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن، ثم أنك تتأملها في بيت أبي تمام (٣):

يا دهر قوم من أخدعك فقد أضجبت هذا الأنام من خرقك

فتجد لها من الثقل على النفس ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة والإيناس والبهجة (((٤).

يقوم النص في أعلاه على اختلاف القيمة للكلمة في موضعٍ من دون آخر ، ويمثل الجرجاني لذلك بلفظة (أخدع) فهي في غاية الحسن اللغوي في بيتي: الصمة والبحتري ، على عكسها في بيت أبي تمام .

فأبو تمام أراد يا دهر أعدل ولا تجر وأنصف؛ لأن الميل والإعراض إنما يكون بانحراف الأخدع وازورار المنكب فجعل له أخدعاً ثم أمره بتقويمه، وفي ذلك خروجٌ على طريقة الشعر وفسادٌ في اللغة. (٥)

وكان الأحسن لو قال قوم من اعوجاجك أو قوم ما تعوج من صنعك، أي: يا دهر أحسن بنا الصنيع (٦).

-
- (١) البيت من الطويل وهو للصمة بن عبد الله القشيري كما في الصحاح تاج اللغة : ١٢٩٥ / ٣ (وجع (ولسان العرب : ٨ / ١٣٨٠ (وجع) والمعجم المفصل في شواهد العربية : ٤ / ٢٠٣ و(البيت) صفحة العنق و(الاخدع) عرق في العنق. ينظر جمهرة اللغة : ١ / ٤٢٣
- (٢) البيت من الطويل وهو في ديوانه : ١٢٤١ / ٢ ، وفيه (العلا) بدل (المنى) .
- (٣) البيت من المنسرح وهو في ديوانه : ١٢٢ / ١
- (٤) دلالة إيجاز : ٤٧ / ١
- (٥) ينظر سر الفصاحة : ١٢٩ .
- (٦) ينظر الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : ١ / ٢٧١

بمعنى أن اللفظة ذاتها اختلفت قيمتها اللغوية بين نص وآخر ،فحسنت في الأول وقبحت في الثاني ؛لأن قيمة الكلمة تقوم على الصفة التي تجعلها تمثل فكرة ما، ومن ثم فإن قيمتها قد تتغير بين موضع وآخر من دون أن يتأثر معناها أو صوتها (١).

ومن روى الجرجاني أيضا فيما يخص الإعجاز القرآني ما يقوم على موقعية الألفاظ وترتيبها في السلسلة الكلامية وعلاقة كل لفظ بما يجاوره، وهذا يمثله قوله : ((وهل يقع في وهمٍ وإن جُهد أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكانٍ تقعان فيه من التأليف والنظم بأكثر من أن تكون مألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية أو أن تكون حروف هذه أخف وامتزاجها أحسن ومما يكد اللسان أبعد))(٢).

فالجرجاني يصرح أن قيمة الكلمة تتحدد عبر موقعها من النظم ، الذي هو عبارة عن ما تشغله تلك الكلمة من مكان في خط السلسلة الكلامية ، فاللغة ((نظام من العناصر المعتمد بعضها على بعض تنتج قيمة كل عنصر من وجود العناصر الأخرى في وقت واحد)) (٣) .

فألفاظ الكلام تتسق فيما بينها لتشكل قيما لكل لفظة من ألفاظه ، وهذه القيم – بحسب نص الجرجاني- قد تكون بحسب أمور منها :

- أ- مكانها من التركيب (الموقع والوظيفة)، وهذا هو أساس التفاضل عنده .
- ب- كثرة الاستعمال أو ندرته.
- ت- خفة حروفها أو ثقلها ، وغيرهما من الأمور الثانوية في تفاضل وتمايز الألفاظ في التراكيب.

وهذا المعنى كرره في أكثر من موضع في دلائله كقوله: ((وهل تجد أحدا يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعاني

(١) ينظر علم اللغة العام : ١٣٩

(٢) دلائل الاعجاز : ٤٤ / ١

(٣) علم اللغة العام : ١٣٤

جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها وهل قالوا لفظة متمكنة ومقبولة، وفي خلافه قلقة ونابية ومستكرهة، إلا ورضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معنهما وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم (((١).

وهذا تصور واضح يعكس تأثير الكلمة في نسقها الكلامي ((فلكل رمز صوتي وظيفته في الكلمة، ولكل كلمة وظيفتها في العبارة أو الجملة، وينبغي الالتزام بالنسق المتفق عليه في البيئة اللغوية الواحدة، وإلا فقد الرمز قدرته على النقل والإيحاء. وهذا النسق اللغوي يتضمن ترتيب الأصوات داخل الكلمة وترتيب الكلمات داخل الجملة)) (٢).

والجرجاني عرف ذلك وأكد عليه في أكثر من موضع، فقال في موضع آخر من دلائله : ((واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشد ارتباط ثان منها بأول وأن تحتاج الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك)) (٢).

(١) دلائل الإعجاز : ٤٥ / ١

(٢) علم اللغة العربية : ١٣

(٣) دلائل الإعجاز : ٦٨

فيما انماز به عبد القاهر الجرجاني عن دي سوسير في مفهوم القيمة .

بيّن الباحث فيما مر من هذا المبحث الاتفاق المنهجي في جزئية من مفهوم القيمة، تلك التي عبر عنها دي سوسير بأنها: قدرة الكلمة على تمثيلها لفكرة ما (١) ، في حين أن الجرجاني قصد بها: النظر إلى المفردة وإلى مكانها من النظم ، وحسنَ مُلائمة معناها لمعاني جاراتها (٢) ، وقد مر التمثيل لذلك في الجانب النظري التطبيقي في الصفحات السابقة .

وفي هذا الموضع من الدراسة يسعى الباحث إلى بيان العمق اللغوي الذي جاء به الجرجاني ، وقدرته على سبر أغوار اللغة ، واستيعاب أسرارها ، حتى قدم تفسيراً ونظرية لفهم اللغز الإعجازي للقرآن الكريم ، والوقوف على خفيات النظم وعجائب التأليف في هذا الكتاب المقدس.

فمما انفرد به الجرجاني في مسألة الإعجاز القرآني، هو تأكيده على العلاقة التلازمية بين النظم وعلم النحو، بمعنى أن صلاح النظم وفساده، مرتبط بحسن التوافق بين كلمات التركيب على أسس وقواعد النحو، وفي ذلك يقول: ((اعلم أن ليسَ النظم إلا أن تضعَ كلامكَ الوضعَ الذي يقتضيه علمُ النحو ، وتعملَ على قوانينه وأصوله ، وتعرفَ مناهجه التي تُهَجَّتْ فلا تزيغَ عنها وتحفظَ الرسومَ التي رُسمَتْ لك ، فلا تُخلَّ بشيء منها)) (٣). وقوله في موضع آخر : ((النظم هو توخي معاني النحو ، وهو معدن البلاغة)) (٤).

وفي محاولة للوقوف على أهم ماقدمه الجرجاني في نظرية النظم ، التي هي في الحقيقة قيمة لكلمات التركيب، مرتبة وفق معاني النحو وقواعده، يفترض الباحث أن القيمة عند الجرجاني لها جانبان ، بحسب مراعاة هذه المعاني والأصول ، وهذان

(١) ينظر علم اللغة العام:

(٢) ينظر دلائل الإعجاز:

(٣) المصدر نفسه : ٨١/١ .

(٤) المصدر نفسه : ٥٢٥/١

الجانبان هما :

١- الجانب السلبي للقيمة اللغوية: وفيه يقرر أن الكلمة لاقيمة لها متى :

أ- ما كانت مفردة ، بل ينبغي أن يُنظر إليها داخل التركيب ((فلو كانت الكلمة إذا حَسُنَتْ حَسُنَتْ من حيث هي لفظاً، وإذا اسْتَحَقَّت المزية والشرف استَحَقَّت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم، لما اختلف بها الحال، ولكانت غما أن تحسن أبداً، ولا تحسن أبداً.)) (١) .

ب- ماجاءت مع تركيب لم يراع في ترتيبه معاني النحو وأحكامه، ((فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً وخطؤه إن كان خطأ، إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له،)) (٢).

وحين يمثل الجرجاني لذلك فإنه يستشهد بما عُرف عند النقاد بأنه فاسد وقبيح ،من غير أن يبينوا وجه الفساد ،وعلة القبح ،فمثلا في قول الفرزدق : (٣)
وما مثله في الناس إلا مُملَكاً أبو أمه حيُّ أبوه يقاربُه
معناه: ((ما مثل هذا الممدوح في الناس إلا الخليفة الذي هو خاله، فقال :أبو أمه حيُّ أبوه يقاربه، فبعد المعنى القريب، ووعر الطريق السهل، ولبس المعنى بتوعر اللفظ وقبح البنية حتى ما يكاد يفهم)) (٤) .

لكن الجرجاني بيّن أن الفساد اللغوي كان لمخالفة القواعد التي تحكم الكلمة المفردة ،مع الوظيفة التي تؤديها في الكلام (قواعد النحو) ،وهذه المخالفة كانت من الشاعر حينما ((فصل بين المبتدأ والخبر، اللذين هما أبو أمه أبوه بحي، وهو أجنبي منهما، وفصل بين الصفة والموصوف اللذين هما حي يقاربه، بقوله: أبوه)) (٥).

(١) دلائل الإعجاز : ٤٨/١

(٢) المصدر نفسه : ٨٣/١

(٣) البيت من الطويل وهو في ديوانه : ٤٤

(٤) العقد الفريد : ٢٣٨/٦

(٥) شرح الأبيات المشككة: ٢٦٧

أي أن التعقيد اللفظي في البيت الشعري ،كان لوضع بعض كلماته في غير مواضعها الوظيفية، ومن ثم لم يكن التواصل بين المتكلم والمخاطب على الدرجة المطلوبة من الإفهام.

ويمثل الجرجاني أيضا للخروج على معاني النحو بقول المتنبي: (١)

يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ لَمْ يَذُقْ جَرَعاً مِنْ رَاحَتِكَ دَرَى مَا الصَّابُ وَالْعَسَلُ

فالشاعر لم يتوخ معاني النحو ؛لأنه حذف ((عمدة الكلام، وأخلّ بالنظم؛ وإنما أراد: يدي لمن شاء رهن، إن كان لم يذق. فحذف إن كان من الكلام، فأفسد الترتيب، وأحال الكلام عن وجهه)). (٢)

فالشاعر قد وضع بعض الكلمات في غير مواضعها المقبولة وظيفيا فارتبك السياق اللغوي، ومن ثم لم يسهم في تحقيق السمة الفنية للنص. (٣)

فالعلاقات الوظيفية لكلمات التركيب تؤثر في القيمة له ، والإخلال بتلك العلاقات لابد أن يقود إلى إخلال بقيمة التركيب كله .

٢- الجانب الإيجابي للقيمة اللغوية: وفيه تكون الكلمة في ضمن تركيب لغوي محكوم بقوانين وقواعد علم النحو، والتفاوت البلاغي فيما بين التراكيب يعتمد على قدرة منشئ اللغة على استعمال فنون القول لتلك القواعد، ((فلا ترى كلاماً قد وُصف بصحةٍ نظمٍ أو فسادٍ، أو وُصف بمزيةٍ وفضلٍ فيه، إلا وأنت تجدُ مرجعَ تلك الصحةِ وذلك الفسادِ وتلك المزيةِ وذلك الفضلِ، إلى معاني

النحو وأحكامه)) (٤).

(١) البيت من البسيط وهو في ديوانه : ٢١٢ / ٢

(٢) الوساطة : ٧٩

(٣) ينظر البنية والدلالة : ٦٨

(٤) دلائل الإعجاز : ٨٣/١

ويستشهد الجرجاني لذلك مثلاً بقول بشار (١):

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ

فر((هل يتصوّر أن يكون بشار قد أخطر معاني هذه الكلم بباله أفردا عارية من معاني النحو التي تراها فيها، وأن يكون قد وقع (كأنّ) في نفسه من غير أن يكون قصد إيقاع التشبيه منه على شيء، وأن يكون فكّر في (مثار النقع) من غير أن يكون أراد إضافة الأول إلى الثاني، وفكّر في (فوق رؤوسنا)، من غير أن يكون قد أراد أن يضيف (فوق) إلى (الرؤوس) وفي (الأسياف) من دون أن يكون أراد عطفها بالواو على (مثار) وفي (الواو) من دون أن يكون أراد العطف بها وأن يكون كذلك فكّر في (الليل) من دون أن يكون أراد أن يجعله خبراً (لكأنّ) وفي (تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ)، من دون أن يكون أراد أن يجعل (تَهَاوَى) فعلاً للكواكب، ثم يجعل الجملة صفة لليل، ليتّم الذي أراد من التشبيه؟ أم لم يخطر هذه الأشياء بباله إلّا مراداً منها هذه الأحكام والمعاني التي تراها فيها؟)). (٢)

ونص الجرجاني في أعلاه يحيلنا على أساسين لتحقيق القيمة الإيجابية للنص اللغوي، وهذان الأساسان هما :

الأول : عملية انتقائية، يميز فيها منشئ اللغة مجموعة من الاختيارات النحوية التي يمكن أن تنشأ بينها علاقات معينة. وهي في بيت بشار (التشبيه، والإضافة، والعطف، الوصف).

الآخر: عملية تركيبية فنية واعية، تعمل في الاختيارات المتاحة، وتستمد قوتها من الذائقة الفنية القائمة على الإلمام والمعرفة بكلام العرب وطريقتهم في القول (معاني النحو). وفي بيت بشار كانت :

- تقديم التشبيه (كأن).

(١) البيت من الطويل وهو في ديوانه : ٥٤

(٢) دلالات الإعجاز : ٤١٢/١

- تتالي الإضافة (مثار النقع ، فوق رؤوسنا)
- العطف بالواو (وأسيافنا).
- تأخير خبر التشبيه (ليل) .
- وصف الخبر بجملة فعلية (تهاوى كواكبه) .

وفي تحليله لآيات من كتاب الله يستشهد بقول الحق سبحانه :{وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ}.

فقيمة الكلمة (باسط) استمدت من المعنى النحوي في عمليتي الاختيار والتركيب اللذين مر ذكرهما ،وفي ذلك قال الجرجاني: ((إِنَّ أَحَدًا لَا يَشْكُ فِي امْتِنَاعِ الْفِعْلِ ههنا، وَأَنَّ قَوْلَنَا: كَلْبُهُمْ يَبْسُطُ ذِرَاعَيْهِ، لَا يُؤَدِّي الْغَرَضَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ الْفِعْلَ يَقْتَضِي مَزَاوَلَةً وَتَجَدُّدَ الصِّفَةِ فِي الْوَقْتِ، وَيَقْتَضِي الْأِسْمُ ثُبُوتَ الصِّفَةِ وَحُصُولَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَزَاوَلَةٌ وَتَرْجِيئةُ فِعْلٍ)).(٢)

بمعنى أن الآية المباركة لم تأت بالفعل لأنه؛ ((قيل: (يَبْسُطُ) لَمْ يُؤَدِّ الْغَرَضَ لِأَنَّهُ يُؤْذِنُ بِمَزَاوَلَةِ الْكَلْبِ الْبَسْطَ وَأَنَّهُ يَتَجَدَّدُ لَهُ شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ فَبَاسِطٌ أَشْعَرَ بِثُبُوتِ الصِّفَةِ ((٣)).

(١) سورة الكهف من الآية :١٨

(٢) دلائل الإعجاز : ١٧٥/١

(٣) معترك الأقران : ٤٩٥/٣ .

الاستبدال في اللغة من استبدل ((الشَّيْءَ بِغَيْرِهِ وَتَبَدَّلَهُ بِهِ إِذَا أَخَذَهُ مَكَانَهُ، والمُبَادَلَةُ: التَّبَادُلُ، والأصل في التَّبْدِيلِ تَغْيِيرُ الشَّيْءِ عَنْ حَالِهِ)) (١)

أما في الاصطلاح فهناك تعريفات كثيرة لهذا المفهوم، سيقف الباحث على بعض منها لبيان علاقته بمفهوم القيمة ، فقد عرف (بلومفيلد) البديل بأنه: ((شكل linguistic form أو ملمح نحوي بحيث يمكنه أن يحل محل أي شكل من أشكال الأقسام اللغوية، إذا ما تحققت ظروف معينة)) (٢) .

وقوله: (ظروف معينة) نقطة جوهرية في مفهوم الاستبدال، فهو يعني القوانين، والقواعد اللغوية ،التي تحكم عملية الاستبدال . وعرفه (روبنز) بأنه: ((إحلال مجاميع من الكلمات محل مجاميع أخرى أو محل كلمة واحدة)) (٣)، ووضح من هذا التعريف أنه نشاط لغوي مقصود ،ويشير (روبنز) أيضا إلى أنه يكون على مستوى الكلمة الواحدة أو على مستوى التركيب.

ويعرفه عبد السلام المسدي بأنه: ((مجموعة الألفاظ التي يمكن للمتكلم أن يأتي بأحد منها في كل نقطة من نقاط سلسلة الكلام، ومجموعة تلك الألفاظ القائمة على الرصيد المعجمي للمتكلم، التي لها طوعية الاستبدال فيما بينها، وتقوم بينها علاقات قابلة للاستعاضة تسمى العلاقات الاستبدالية reports paradigmatices)) (٤)

وهذا التعريف يوضح مجموعة من الأسس التي يقوم عليها الاستبدال منها :

١- لا يقتصر الاستبدال على وحدة لغوية معينة من التركيب ،بل يمكن أن يكون في أية وحدة من وحداته .

(١) لسان العرب : ٤٨/١١

(٢) نقلاً عن الأنماط الشكلية لكلام العرب : ١٨١ / ١

(٣) ينظر المصدر نفسه : ١٨٤ / ١

(٤) الأسلوبية والأسلوب : ١٣٩

٢- أن الألفاظ التي تكون محور الاستبدال ،لابد أن تنتمي للمعجم اللغوي نفسه؛ لأن اللبس في الكلام قد يتحقق حينما لاتنتمي الألفاظ المتبادلة للمعجم نفسه، كتبادلها على سبيل المثال بين لهجات اللغة الواحدة .

٣- أن تكون للألفاظ المتبادلة إمكانية إحلال أحدها محل الآخر، كاستبدال (المتشابه، المختلف، المتقابل ،...)، أو استبدال(اسمي ، فعلي ،قولي)،وهذا الأخير ما نهجته الباحثة سميرة قاسمي في بحثها (الاستبدال في القرآن الكريم)(١)، وعرفه الدكتور محمود أحمد نحلة بأنه :((إحلال عنصر لغوي محل عنصر آخر في سياق لغوي واحد)) (٢).

فهو عملية موجهة تتم وفق معايير وحدود لغوية ، وعلى ذلك عرف بعضهم الاستبدال بأنه ((خروج التركيب النحوي على أصل الوضع ومقتضى الظاهر للغة، خروجاً واعياً، ومقصوداً، من لدن المنتج اللغوي، عبر التبادل بين أقسام الكلام، لملمح دلالي أو بلاغي، يقصده وينبه عليه، مع الحرص على أمن اللبس، وسلامة التركيب، بموافقته لقواعد اللغة وقوانينها))(٣).

أما علاقته بالقيمة فتكمن في أنها تتضح عبر الاستبدال بشكليته (المتشابه، والمختلف)،ومن ثم فالغاية الحقيقية له هي لبيان قيمة ما، فاستبدال (خمسة فرنكات) بالدولار تارة ،وبالخبز تارة أخرى ،هي عملية بيان القيمة الحقيقية لهذه الفئة النقدية .

وهذا المثال يشبه كثيرا عمل الباحث في هذا الفصل ،فقد وجد الباحث عبر الإحصاء

أن هناك آيات مباركة تكاد تتفق في محورها التركيبي وتختلف في كلمة واحدة من بين مثيلاتها وهي الآيات التي تشكل عينة البحث في هذا الفصل، بدءً بالاستبدال في محور اقتراني وحيد وانتهاءً بـ (الاستبدال الرباعي).

(١) ينظر الاستبدال في القرآن الكريم : ١٨

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٠٦

(٣) البدائل النحوية في كتاب سيويوه(رسالة ماجستير) : ١٠

إن عمل الباحث في هذا المبحث هو محاولة تحليل الآيات المباركة ذات المتشابه الدلالي، والاجتهاد في استيضاح القيمة ، عبر المختلف بين الآيات في كل أنموذج ، مع خلق تواشج بين آراء القدماء والمحدثين وتوظيف ذلك في عملية التحليل.

أما طريقة تحليل الآيات المباركة فستكون بالترتيب الآتي :

١ - كتابة الآيات ذات المقاربات الدلالية على ما سماه دي سوسير بالمحور التركيبي وهو محور يتكون من كلمتين أو أكثر. (١)

٢ - رسم المحور الآخر وهو المحور الاقتراني.

٣ - البحث في كتب التفسير وعلوم القرآن وغيرهما عن دلالة الآيات المباركة قبل جعلها في ضمن دائرة تقاطع المحورين ، إذ إن ما ورد في تلك الكتب إنما يعكس (قيمة) العلامة اللغوية في أذهان المفسرين.

٤ - البحث في دلالة تلك الآيات الكريمة بما تفرز تقاطعات المحاور من قيم ناتجة عن الاختلافات والتشابهات التي برزت صورتها واتضحت عبر المقابلة فيما بين الوحدات اللغوية في الآيات المباركة في الأنموذج الواحد؛ لأن تغير صيغة ما في التركيب يفرض جملة من التقابلات التي هي ضرورة لإظهار قيمة أخرى (٢).

أما أنواع الاستبدال بحسب منهجية البحث فيمكن تقسيمها على :

١- الاستبدال الأحادي: وهو على شكلين :

أ- الاستبدال الافتراضي في محور اقتراني وحيد.

ب- الاستبدال الافتراضي في محاور اقترانية متعددة.

ويمكن التمثيل لكل شكل منهما بالآتي:

(١) ينظر محاضرات في الألسنية العامة : ١٤٩

(٢) ينظر النظريات الدلالية الحديثة وأحكام النحو العربي : ٣٠٢

أ- الاستبدال الافتراضي في محور اقتراني وحيد :

أثبت المشتغلون بعلوم القرآن الكريم منذ زمن نزوله حتى يومنا هذا، أن الفاظه قد اتسقت مع معانيه لدرجة لا يمكن أن يكون هناك أي اختيار أفضل، أو أنسب سواء على مستوى اللفظ أم المعنى فكل ((كلمة في القرآن الكريم جاءت لمقتضى حالٍ يحتم أن يكون في هذا الموضع)) على نحو ما ذهب الشعراوي. (١)

وقطعاً لم يدرك المفسرون عموم الفوائد اللغوية لهذا الاختيار، فضلاً عن الفوائد الأخر، لكنهم يقيناً أدركوا أن ((كل كلمة من كلمات القرآن كنزٌ معانٍ، وبحر حقائق)) (٢) ذلك ؛ لأن القرآن الكريم إذ هو كلام الله ((في أعلى درجات البيان من حيث لفظه، ومن حيث نغماته، ومن حيث مغازيه، ومن حيث صورته البيانية التي تكون في ألفاظه وعباراته ، حتى أن كل عبارة تُلقى في الفكر والخيال بصورة بيانية كاملة في روعتها ودقة تصويرها)) (٣).

لقد قرر العلماء بفنون اللغة العربية أن ((مما يمتاز به القرآن: الرباط القائم بين اللفظ والمعنى)) (٤)، وهذا قد يبدو أكثر وضوحاً في حال افتراض كلمات قريبة المعنى من كلمات الآيات المباركة، والمقارنة بين الموضعين بحسب ما رآه المفسرون لكتاب الله عز وجل، و هذه الآلية إحدى إفرازات فكر دي سوسير ؛لأنه قام ((شيئاً فشيئاً بالتعمق في فرضيته أنه يجب إدراك الشكل والمعنى ، إذ إن إدراك الواحد دون الآخر لن يوصل إلى إدراك أي واقع لغوي)) (٥).

ويمكن الاستشهاد لهذا الشكل من الاستبدال بالآتي :

(١) تفسير الشعراوي : ٢٠٨١ / ١

(٢) بصائر ذوي التمييز: ٧١ / ١

(٣) المعجزة الكبرى القرآن : ٤٩

(٤) الأعلان في علوم القرآن: ١٧٦/١

(٥) فهم سوسير وفقاً لمخطوطاته : ٩١

الأنموذج الأول :

قال تعالى { وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاَحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ } (١)

تصف الآية المباركة زوال الانفعال النفسي عند موسى (عليه السلام) (٢) باستعمال
لفظة (سكت) ، ولا شك أن هناك دقة في اختيار هذه اللفظة لهذه المناسبة، وقد تعددت
آراء المفسرين حول دلالة لفظة (سكت) ، فقال بعضهم : إنها بمعنى: (سكن) (٣) وقيل
إنها بمعنى (هدأ) (٤) ، كف (٥) ، طفي (٦) ، ذهب (٧) ، زال (٨) ، فتر (٩) ...).

إن هذه الأفعال اقترنت في أذهان المفسرين وهم يوضحون دلالة (سكت) في الآية
المباركة ، بمعنى آخر استعمال آلية معرفة الكلمات عبر اقتران مثيلاتها في الذهن
(١٠) ، وهذه الكلمات هي التي تشكل المحور الاقتراني ، ويبقى هذا المحور مفتوحاً قابلاً
لاستقبال كل الكلمات التي يمكن أن تتسق دلالياً مع الآية المباركة ؛ لأن الوحدات في
المحور الاقتراني – على وفق رؤية دي سوسير - غير محددة في العدد أو بترتيب
خاص. (١١) ، ويمكن تمثيل دلالات لفظة (سكت) التي ذكرها المفسرون على
محور الاقتران ، لبيان القيمة لاختيار القران الكريم عبر مقارنتها بمجموعة من الألفاظ
على محور نفسه ، بالآتي :

(١) سورة الأعراف : ١٥٤

(٢) ينظر تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٣٠

(٣) ينظر مدارك التنزيل : ١ / ٦٠٨

(٤) ينظر نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية : ١١٥

(٥) ينظر نظم الدرر : ٨ / ٩٢

(٦) ينظر الكشاف : ٢ / ١٦٣

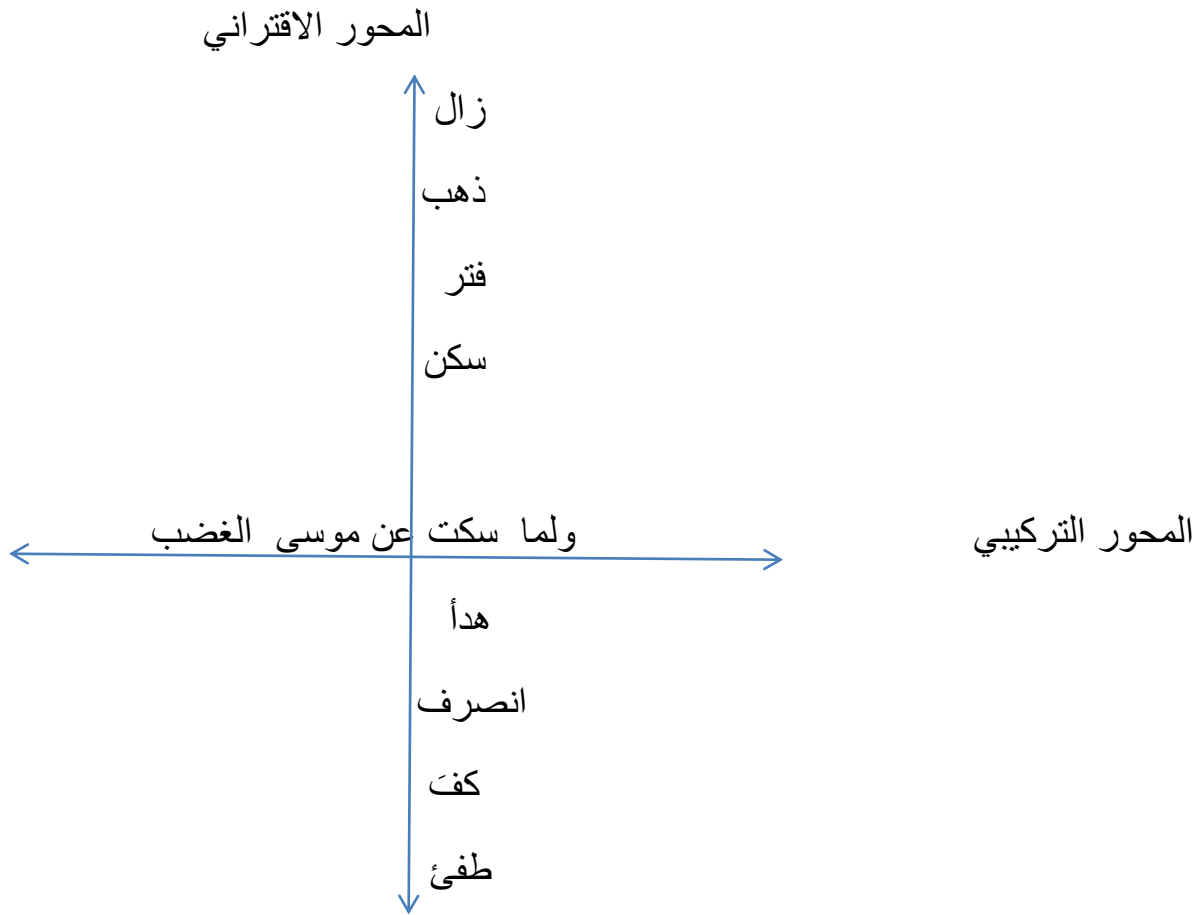
(٧) ينظر الفواتح الإلهية : ١ / ٢٦٩

(٨) ينظر مفاتيح الغيب : ١٥ / ٣٧٤

(٩) ينظر المحكم والمحيط الأعظم : ٦ / ٧٠

(١٠) ينظر مدخل إلى علم الدلالة (بالمز) : ٣٧

(١١) ينظر سوسير رائد علم اللغة الحديث : ٣



يتقاطع المحوران عند لفظة (سكت) ،وهي تمثل قيمة لا تمثلها كل الألفاظ الواردة على محور الاقتران . ومن هذه القيم :

١ - أن لفظة (سكت) تعبر عن انطفاء الغضب عند موسى (عليه السلام) ،ولو أبدلت بـ(سكن) فإن النفس لا تجد عندها شيئاً من تلك الهزة وطرفاً من تلك الروعة (١).

٢- أنها شبهت خمود الغضب بانقطاع كلام المتكلم وهو سكوته ،وهذا المعنى لا نجده في الألفاظ الأخر. (٢)

(١) ينظر الكشاف : ١٦٣ / ٢

(٢) ينظر المحرر الوجيز : ٤٥٩ / ٢

٣- توحى لفظة (سكت) بأن ((الغضب كان يقوّيه على ما فعل ويقول له قل لقومك: كذا وكذا، وألق الألواح وخذ برأس أخيك، فلما زال الغضب صار كأنه سكت)) (١)، فكأن ((الغضب إنسان يقول ويسكت ويُغري ويصمت)) (٢)، وكأنما هو ((مسلطٌ على موسى (عليه السلام) يدفعه ويحركه حتى إذا (سكت) عنه وتركه لشأنه ، عاد موسى (عليه السلام) إلى نفسه)) (٣).

٤- أن معنى (سكت) في الآية الكريمة (ذهب)، ((والسكت أبلغ لأن؛ فيه دليلاً على موقع العودة في الغضب، إذا تُؤمل الحال ونظر فيما يعود به عبادة العجل من ضرر في الدين ، كما أن الساكت يُتوقع كلامه)) (٤).

(١) مفاتيح الغيب : ٣٧٤ / ١٥

(٢) التصوير الفني في القرآن : ٢٨ / ١

(٣) في ظلال القرآن : ١٣٧٦ / ٣

(٤) الصناعتين: ٢٧٢

الأنموذج الثاني :

ومثله قول الحق سبحانه : { وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ } (١)

في الشطر الأخير من الآية المباركة سيقف الباحث على لفظة (عريض)، والبحث عن قيمتها اللغوية عبر ما افترضه بعض من المفسرين من مناسبتها للمعنى الذي تؤديه من دون كل الألفاظ على محور الاقتران .

ذكر المفسرون أن (عريض) معناه : (كبير) (٢) ، كثير (٣) ، تام (٤) ، مستمر (٥) ، واسع (٦) ، طويل (٧) ، كثير دائم (٨) ، كثير ممتد (٩) ، كثير ملح (١٠) كثير مستمر (١١) .

إن مثل هذه المقاربات الفكرية لدى المفسرين هي نفسها التي أشار إليها دي سوسير في مفهوم المحور الاقتراني إذ ((إن الارتباطات الفكرية تخلق مجاميع أخرى فضلاً عن المجاميع التي تستند إلى المقارنة بين العناصر التي تشترك في صفة أو أكثر)) (١٢) ، والمتأمل في ألفاظ المفسرين حول لفظة (عريض) في الآية المباركة يجدها مترابطة ويجد الكلمة ((تستطيع أن تثير أو تستدعي كل شيء يمكن أن يتوافق معها بطريقة أو بأخرى)) . (١٣)

(١) سورة فصلت: ٥١

(٢) ينظر معاني القرآن للنحاس : ٦ / ، ٢٨٥ النكت في إعراب القرآن : ٩٠

(٣) ينظر غريب القرآن لابن قتيبة : ٣٩٠

(٤) ينظر الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري : ٣٥٤

(٥) ينظر روح المعاني : ٦ / ١٣

(٦) ينظر الموسوعة القرآنية : ٨ / ٥٢

(٧) ينظر بحر العلوم : ٢٣٣ / ٣

(٨) ينظر تفسير الأيجي : ٤ / ٥٢

(٩) ينظر الفواتح الإلهية : ٢ / ٢٨٣

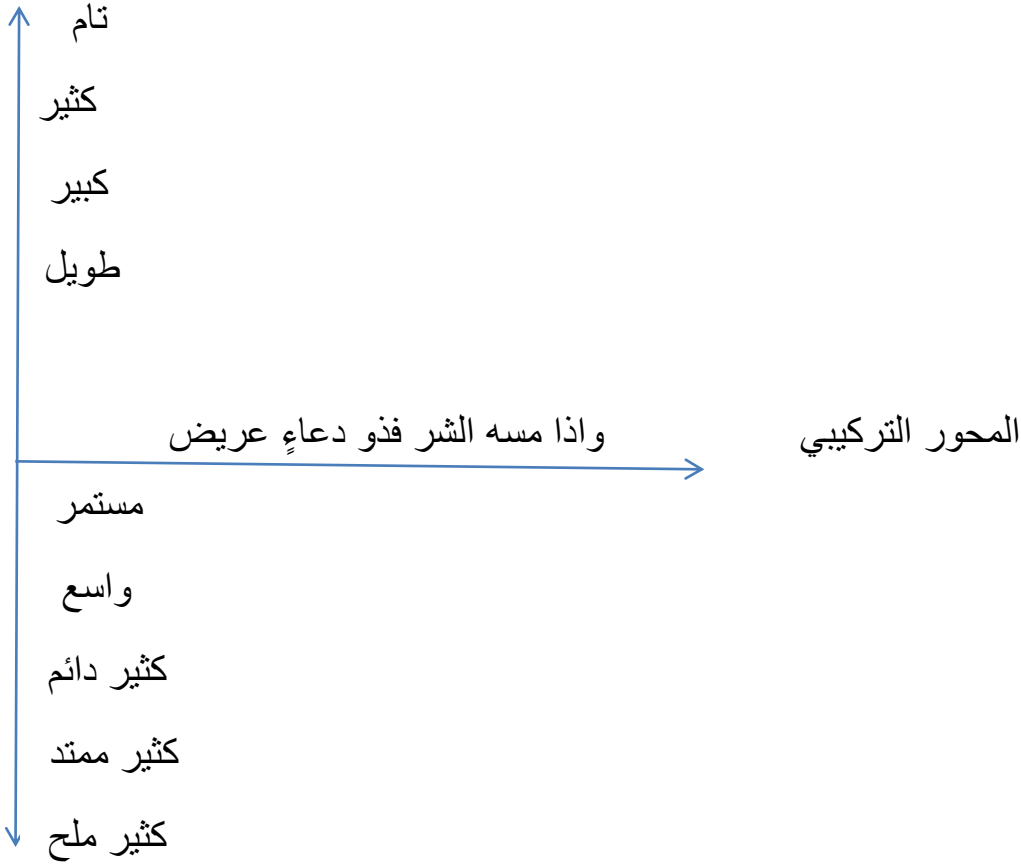
(١٠) ينظر التحرير والتنوير : ١٧ / ٣٠٢

(١١) ينظر التفسير المنير : ٢٥ / ١٠

(١٢) علم اللغة العام : ١٤٤

(١٣) فصول في علم اللغة : ٢١٨

وبهذه التوافقات يتشكل المحور الاقتراني بالمفردات التي تتقارب دلاليًا مع لفظة (عريض) كما مبين في المخطط الآتي :



إن نقطة التقاطع بين المحورين تمثل قيمة ؛ لأن ((وصف اللغة وصفاً لغوياً دقيقاً ينبغي أن يتم في إطار العلاقات الأفقية والرأسية وأن محصلة هذا الوصف هو ما يسمى بالقيمة)) (١) ، والقيمة لللفظة (عريض) يمكن أن تتلخص بالآتي :

١- ((الوصف بالعرض أبلغ من الوصف بالطول؛ لأن الشيء إذا كان عريضاً فهو طويل ،وقد يكون الشيء طويلاً في قليل من العرض كالحبل والخيط وقد يكون طويلاً لا عرضاً له البتة)) (٢) ، بمعنى أن العرض أدل على الطول والتمام. (٣)

(١) سوسير رائد علم اللغة الحديث: ٣٧ .

(٢) غرائب التفسير: ١٠٤٦ / ٢ ، وينظر المحرر الوجيز : ٢٣ / ٥

(٣) ينظر الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري : ٣٥٤ ، النكت والعيون : ١٨٩ / ٥

٢- وصف الحق سبحانه وتعالى دعاءهم بالعريض؛ لأنه ((كثير ممتد عرضاً وطولاً وهو كناية عن إلحاحهم ولجاجهم في طلب الكشف ، والتفريج من عند الله عند نزول البلاء وإمام المصيبة)) (١).

٣- إنها للمبالغة ((فإذا وصف العرض بالبسطة عُرف أن الطول أبسط وأمد)) (٢).

٤- قيل إن ((الكلام العريض ما طال لفظه وقل معناه والوجيز عكسه)) (٣) ، ومنه يفهم أن خلاصة دعاء الإنسان في هذا الابتلاء : ربي اكشف عني هذا الشر ، وهذا سيُبعد التقابلات الموجودة في المحور الاقتراني كالطويل والكثير والكبير وغيرها ، وهذا الفهم يؤكد مذهب دي سوسير في أنه من المستحيل التحديد التام لقيمة كلمة ما من قبل أن تأخذ بالحسبان أولاً ما يحيط بها . (٤)

(١) الفواتح الإلهية: ٢٨٣ / ٢

(٢) البحر المحيط: ١١١ / ١٠

(٣) تفسير ابن كثير : ٧ / ١٧٠

(٤) ينظر فصول في علم اللغة العام : ٢٠٢

ب - الاستبدال الافتراضي في محاور اقترانية متعددة :

يتناول الباحث في هذا المبحث ما افترضه المفسرون في الألفاظ الواردة في الآية الواحدة ، من مبدأ ملائمتها للسياق الوارد فيها، واختيارها من دون مثيلاتها الدلالية التي جاء بها المفسرون لتوضيح معاني هذه الألفاظ.

النموذج الأول:

قال تعالى: {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءَ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (١).

في هذه الآية المباركة يمكن تكوين محاور اقترانية متعددة عبر ما تجلبه كلماتها المباركة من ألفاظ تشترك معها في شيء من الدلالة بحسب ما يراه المفسرون ، ومن ثم فإن هذا التنوع في العلاقات الاقترانية سيسمح بإجراء تحليل منتظم للتركيب ككل (٢).

فقد فسروا (ابلعي) بمعنى : (اشربي (٣) ، اقبضي ما نبع منك (٤) ، انشفي (٥) ، غيبي ماءك (٦) .

وقيل في معنى (أقلي) : (احبسي (٧) ، لا تمطري (٨) ، كفي عنه (٩) ، اتركي (١٠)

(١) سورة هود : ٤٤

(٢) ينظر البحث في سوسير : ١٢٠

(٣) ينظر جامع البيان : ٣٣٤/١٥

(٤) الفواتح الإلهية : ٣٥٤ / ١

(٥) ينظر مدارك التنزيل : ٦١ / ٢

(٦) ينظر تفسير السمعاني ٤٣٢/٢

(٧) ينظر بحر العلوم : ١٥٢ / ٢

(٨) ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية : ٣٤٠١ / ٥

(٩) ينظر مفاتيح الغيب : ٣٥٣ / ١٧

(١٠) ينظر تفسير ابن عبد السلام : ٩٠ / ٢

أما لفظة (غيض) فقد قالوا إنها بمعنى : [غاب (١) ، نضب (٢) ، ذهب (٣) ، نقص (٤)] ، وقيل في معنى (قضي الأمر) : [فرغ منه (٥) ، أحكم (٦) أنجز ما وعد (٧)] .

و(استوت) في الآية المباركة هي بمعنى : [استقرت (٨) ، رست (٩) ، استقرت واعتدلت (١٠)] .

وقوله جل شأنه : (بُعداً) أي : [سحاً (١١) ، هلاكاً (١٢)]

وفسر آخرون (الظالمين) بمعنى [الكافرين (١٣) ، المشركين (١٤)] .

وبجمع هذه المتماثلات الدلالية للآية المباركة يمكن أن نستنتج أن العلاقات الاقترانية (الاستبدالية) ((تقوم على سمات مشتركة أو هي العلاقة بين الصيغة والوحدة اللغوية وما يربط بينهما من جهة المعنى)) . (١٥)

إن التقاطعات بين المحورين لكل كلمة ستحدد قيمتها طالما أن ((جميع القيم وضعت متقابلة أي بمقتضى الفروق القائمة بين العناصر الموجودة)) . (١٦)

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥٥ / ٣

(٢) ينظر معالم التنزيل ١٦٩ / ٤

(٣) ينظر السراج المنير ٦٠ / ٢

(٤) ينظر تفسير الوسيط للواحدي ٥٧٥ / ٢

(٥) ينظر معالم التنزيل ١٧٩ / ٤

(٦) ينظر الجامع لأحكام القرآن: ٤١ / ٩

(٧) ينظر السراج المنير ٦٠ / ٢

(٨) ينظر تفسير السمعاني ٤٣٢ / ٢

(٩) ينظر الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم: ٥٧

(١٠) ينظر نظم الدرر: ٢٩١ / ٩

(١١) ينظر بحر العلوم ١٥٣ / ٢

(١٢) ينظر تفسير الجلالين : ١٩١

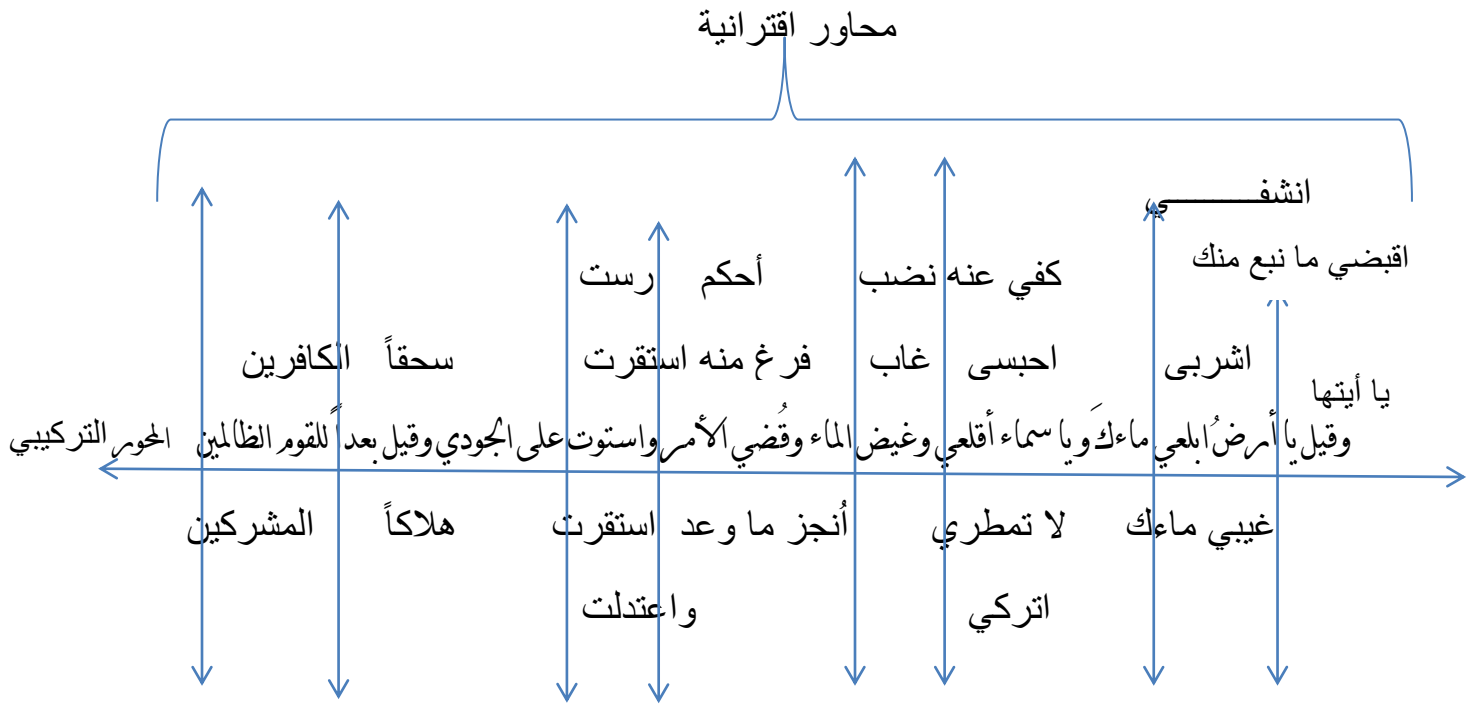
(١٣) ينظر زاد المسير : ٣٧٧ / ٢

(١٤) ينظر تفسير أبي حاتم: ٢٠٣٨ / ٦

(١٥) النظريات الدلالية الحديثة وأحكام النحو العربي : ٢٩٨

(١٦) أعلام الفكر اللغوي : ٢٧٤

ويمكن بيان تلك التقاطعات عبر المحاور الآتية :



أما القيم المتوافرة لألفاظ الآية المباركة فيمكن إيجازها بالآتي :

١- إن استعمال (يا) من دون (يا أيها) في (يا أرض) كان ((قصداً إلى الاختصار، والاحتراز عن تكلف التنبيه المشعر بالغفلة التي لا تنسب المقام)) (١).

٢- جاء في الآية المباركة لفظ (ابلي) من دون الاقترانات الآخر، للدلالة على سرعة غور الماء في الأرض، ورجوعه إليه ، كما أن بالغ الطعام يسقطه في جوفه من دون مضغ (٢).

وقد قيل فيه أيضاً إنه يصور ((لك بأن الأرض لما اتجهت إليها إرادة العزيز الخبير انقلبت مسامها وشقوقها إلى أفواهٍ فاعرةٍ تبتلع بها المياه ابتلاعاً)) (٣)؛ لأن البلع ((يطلق على القوة الجاذبية للمطعم لانعقاد الشبه بينهما وهو الذهاب إلى مقر خفي)) (٤).

٣- لقد اختار الحق سبحانه لانحدار الماء واحتباسه من السماء لفظة (أقلعي) التي تعني ((ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم التأني)) (٥)، وفيه دلالة على سرعة الامتثال للأمر وتنفيذه.

٤ - كشف لنا محور الاقتران للفظ (غيض) مجموعة من الأفعال [نضب ، غاب ، ذهب ، نقص...]، وإيثار الآية المباركة للفظ (غيض) من دون غيرها ؛ لأن جميع معاني نقصان الماء راجعة لهذه اللفظة (٦). التي فيها دلالة على الذهاب بأكثر الماء (٧).

(١) تفسير المنار : ٨٠ / ١٢

(٢) ينظر مفاتيح الغيب : ٣٥٣ / ١٧

(٣) من روائع القرآن : ٢٧٤

(٤) الطراز لأسرار البلاغة : ١٢٩ / ٣

(٥) مدارك التنزيل : ٦٢ / ٢

(٦) ينظر حاشية الشهاب على تفسير البضاوي : ١٠٠ / ٥

(٧) ينظر الفرق بين الضاد و الظاء في كتاب الله عز وجل : ٤٥

وقد زاد بعضهم أن في لفظة (غيض) دلالة على ((معانٍ كثيرة؛ لأن الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلغ الأرض ما يخرج منها من عيون الماء فينتقص الحاصل على وجه الأرض من الماء)) (١).

٥ - يرى المشتغلون بعلوم القرآن أن (قضي الأمر) تناسب أحداث الآية المباركة، فهو لفظ يدل على تمام العذاب، وبلوغ المراد منه . (٢)، وكذلك دل على تأكيد الأمور المتقدمة وتعزيزها (٣)؛ لأن قضاء الشيء يعني إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه . (٤)

٦ - إن في لفظة (استوت) دلالة على استقرار متكمن لا زيغ فيه ولا ميل (٥)، أي توحى بالثبات المستقر (٦)، وهذا ما لا تجده في باقي الاقترانات .

٧ - استعمل القرآن الكريم لفظة (بُعداً) من دون (هلاكاً) ((إنما قصد به إبعادهم عن الفساد في الأرض والسخرية بمن آمن وعمل صالحاً ... وأحس في كلمة (بعداً) دلالة على الراحة النفسية التي شعر بها من في الكون بعد أن تخلصوا من هؤلاء القوم الظالمين)) (٧) ، ومعنى (بعداً) هذا كان معروفاً عند العرب ((إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك وعدم العودة فإنهم يقولون بُعداً بُعداً ولذلك خصوها بالسوء)) (٨).

٨- أما وصف الهالكين بـ (الظالمين)؛ لأن الظلم ((شيء عاملوا به غيرهم ، وعاملوا به أنفسهم لتكذيبهم الرسل، وظلمهم لهم بنسبتهم إلى ما هم منزهون عنه ، ثم هم ظالمون لأنفسهم بأن منعوها ما عرضوا له من النعيم الأبدي والثواب السرمدى)) (٩).

(١) كشف اصطلاحات الفنون والعلوم : ٨٦/

(٢) ينظر الأشباه والنظائر: ٧٢

(٣) ينظر دلائل الإعجاز : ٤٦ / ١

(٤) ينظر النهاية في غريب الحديث : ٤ / ٧٨

(٥) ينظر معترك الأقران : ١ / ٢١٩

(٦) ينظر من بلاغة القرآن : ١ / ٥٠

(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها

(٨) بيان المعاني : ٣ / ١٢١

(٩) درة التنزيل: ٩٤٠

الأنموذج الثاني:

قال تعالى { حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } (١).

تصور الآية المباركة قصة سير نبي الله سليمان (عليه السلام) وجنوده في وادي النمل (٢).

وقد أفاض المفسرون في شرح هذه الآية وفي تفسيرها ، ويمكن بيان المحاور الاقترانية المتعددة التي تتقاطع والمحور التركيبي ، عبر آراء المفسرين مما يساعد على بيان القيم اللغوية في كل تقاطع ؛ لأن القيمة هي دائماً حصيلة تقاطع الإشارات اللغوية في المحور التركيبي مع الأفكار في المحور الاقتراني (٣).

ومما قيل في تفسير (أتوا على) إنها بمعنى :

[مروا على (٤) ، بلغوا (٥)، هبطوا إلى (٦) ، أشرفوا على (٧)، أقبلوا إلى (٨)...].

وقالوا: إن الأصل في ادخلوا (ادخلن) ؛ لأنها لغير العاقل وعلّة استعمال (ادخلوا) ؛ لأنه ((لما جعل لهم قولاً كالآدميين خوطبوا بخطاب الآدميين)) (٩).

(١) سورة النمل: ١٨

(٢) ينظر جامع البيان: ١٩ / ٤٣٩

(٣) ينظر فهم فرديناند دو سوسور: ٢٢

(٤) ينظر الكشف والبيان: ٧ / ١٩٧

(٥) ينظر مدارك التنزيل: ٢ / ٥٩٧

(٦) ينظر تفسير ابن باديس : ٢٦١

(٧) ينظر تفسير المراغي: ١٩ / ١٢٨

(٨) ينظر زهرة التفاسير : ١ / ٥٤٤٤

(٩) معالم التنزيل: ٦ / ١٥١

أما لفظة (مساكنكم) في الآية الكريمة فقد فُسرَت بالآتي :

[بيوتكم (١)، جحوركم (٢) ، مخابئكم (٣) ...] .

في حين فسروا (يحطمنكم) على معنى :

[يهلكنكم (٤) ، يكسرنكم (٥)، يطأنكم (٦) ، يهشمنكم (٧)، يدهسنكم (٨) ...] .

إن تحليل الآية القرآنية على هذا النحو سيسمح لنا بفهم الآية، عبر إيراد مثيلاتها الدلالية المتنوعة المختلفة التي ذكرت ، ومن جانب آخر فإن سوسير يرى أن ((أي وصف دقيق للغة ينبغي أن يعتمد على بيان العلاقات بين الوحدات اللغوية وبَيِّنَ كذلك طبيعة هذه العلاقة بأنها ليست سمات موجودة تتحدد بمضمونها أو بمحتواها بل تتحدد بعلاقاتها بالوحدات الأخرى في النظام ، وأدق سماتها ما يميزها عن غيرها أي عناصر الخلاف)). (٩)

ويمكن تمثيل التقاطعات بين محوري التركيب والاقتران للآية المباركة بالآتي :

(١) ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية : ٥٣٨٦ / ٨

(٢) ينظر مراح لبيد لشرح القرآن المجيد : ١٦٩ / ٢

(٣) ينظر الموسوعة القرآنية : ٤٥٩ / ١

(٤) ينظر بحر العلوم : ٥٧٦ / ٢

(٥) ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية : ٥٣٨٦ / ٨

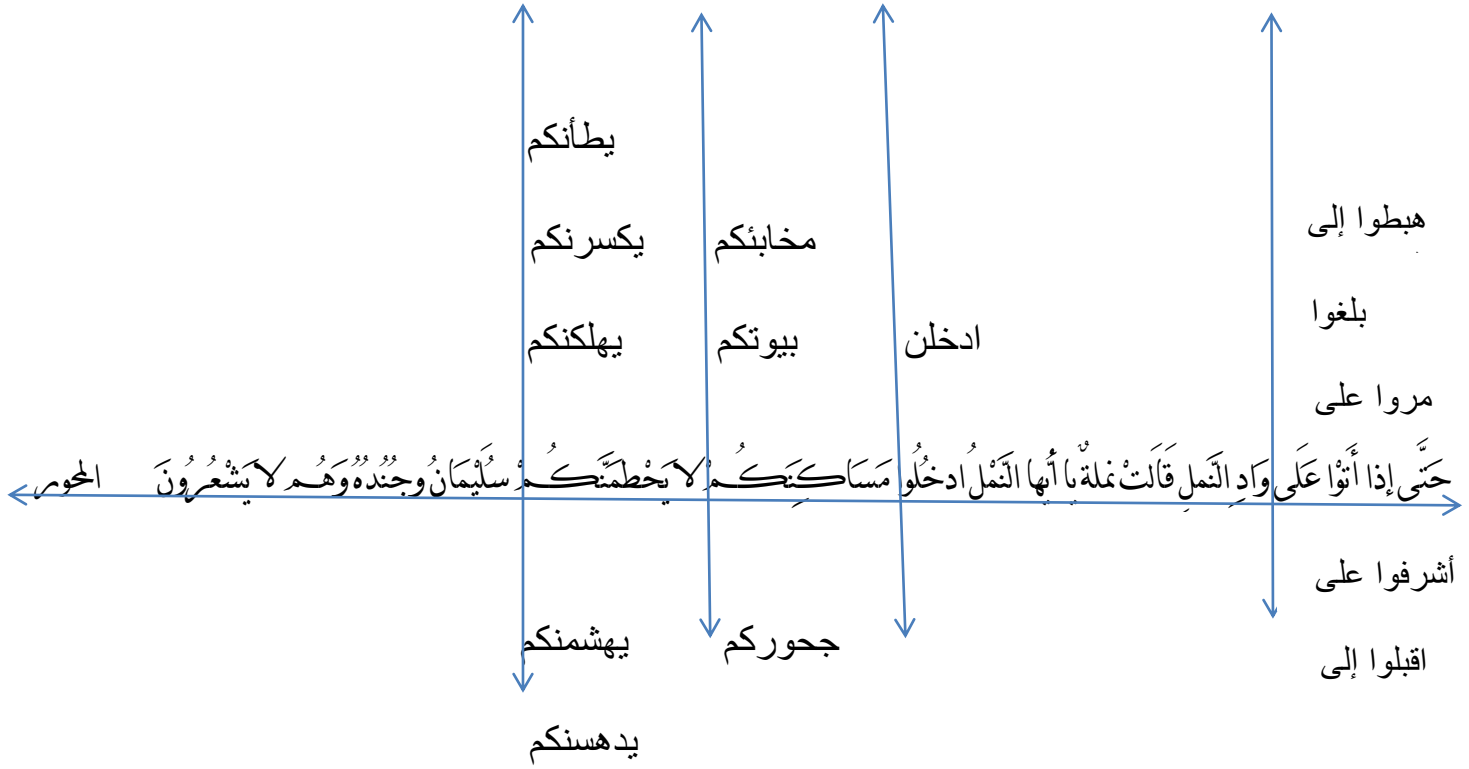
(٦) ينظر تفسير القرآن للسمعاني : ٨٥ / ٤

(٧) ينظر نظم الدرر : ١٤٣ / ١٤

(٨) الأساس في التفسير : ٣٩٩٩ / ٧

(٩) سوسير رائد علم اللغة الحديث : ١٤٣

محاور اقترانية



يمكن الوقوف على القيم وفق ما يحدده تقاطع المحاور بالآتي :

١. اختيار لفظة (أتوا على) من دون التماثلات الدلالية الواضحة في مخطط التقاطع ،
لأنه يحمل معنيين ((أحدهما أن إتيانهم كان من فوق، فأتى بحرف الاستعلاء
...والثاني أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره ، من قولهم أتى على الشيء إذا أنفذه وبلغ
آخره)) (١) ، وهذا المعنى لا يكون مع الألفاظ الاقتراعية الآخر.

٢. القياس في مخاطبة غير العاقل أن يقال (ادخلي)(٢)،أو(ادخلن)(٣) ، لكن الآية
المباركة جاءت بـ (ادخلوا) ؛لأنه ((لما أخبر عنهن بالخطاب الذي يختص بمن يعقل
جمعها بالواو المختصة بمن يعقل)) (٤)، ويذهب الدكتور غالب المطلبي إلى أن
استعمال الخطاب بصيغة العاقل ؛لأن المتكلم والمخاطب من جنس واحد(النمل)،فكل
منهما يرى أن أبناء جنسه من العقلاء، ولو أن الإنسان خاطب الحيوان بصيغة العاقل،
لكانت بنا حاجة إلى ما مر من الأقوال والآراء (٥).

٣. يرى المفسرون أن استعمال لفظ (مساكنكم) جاء لأكثر من قيمه لغوية ومنها:

أ- استعمال القرآن الكريم لفظ (مساكنكم) ((ولم يقل بيوتكم أو جحوركم لأنهم في حالة
حركة والحركة عكسها السكون فاخترت لفظ المساكن من السكون حتى يسكنوا فيها))
(٦).

ب- اختيار لفظ (مساكنكم) من دون المساكن أو الجحور ليبدل على أن للنمل مساكن
كثيرة ليس مسكنا واحداً. (٧)

ج- جاء ذكر لفظ (مساكنكم) بعد الفعل مباشرة من دون ذكر حرف جر على سبيل

(١) الكشف : ٣٥٥ / ٣

(٢) ينظر تفسير القرآن للسمعاني : ٨٥ / ٤

(٣) ينظر معالم التنزيل: ١٥١ / ٦

(٤) شرح المفصل: ٣٨٠ / ٣

(٥) لقاء مع الدكتور غالب المطلبي

(٦) لمسات بيانية : ٦٨٩

(٧) ينظر تفسير الشعراوي : ١٧ / ١٠٧٦٠

الفرض: (في مساكنكم) أو (لمساكنكم) أو (إلى مساكنكم) للدلالة على اقتراب الخطر، وكأنها لغة الإسراع اختصرت في اللفظ ليُختصر تنفيذ الأمر. (١)

د- اختار القرآن الكريم لفظ (يحطمنكم) من دون الألفاظ المذكورة لدى المفسرين ؛ لأنه ((ثبت علمياً أن جسم النمل يتركب معظمه من كمية كبيرة من السليكون الذي يدخل في صناعة الزجاج ، والتحطيم هو أنسب الأوصاف للفعل الدال على التكسير والتهشيم والشدة)). (٢).

(١) محاضرات الدكتوراه (كتاب نحوي قديم) : مدونتي

(٢) لمسات بيانية: ٦٨٩

٢- الاستبدال الثنائي :

يقصد بالاستبدال الثنائي ورود آيتين تقتربان في الدلالة العامة ويتقاطعان عند نقطة واحدة تظهر القيمة التي نحن بصدد بحثها.

الأنموذج الأول:

قال تعالى : { وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ } (١)

وقال تعالى شأنه : { وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ } (٢)

عند مراجعة الآيات التي تسبق هاتين الآيتين نجد أنها تتحدث عن طرد إبليس من رحمة الله والدعاء عليه باللعة إلى يوم القيامة . فقد سبقت الآية الأولى من الأنموذج بقوله سبحانه وتعالى: { قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ } { قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ } (٣)

في حين أن الآية الثانية منه سبقت بالآيتين المباركتين بقوله عز من قائل:

{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ } { قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } { قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ } (٤)

فظاهر الآيات المباركة توحى أنها متحدة المعنى في أنها تحكي قصة إبليس عليه اللعة وحواره الظاهر بالمعصية مع الله ﷻ .

وفي الآيتين الكريمتين (موضع البحث) يظهر واضحاً أن المحور التركيبي متساوٍ في عدد الوحدات ، اذ يتشكل كل منهما من ست وحدات، وتعين الوحدات أمر جوهري عند دي سوسير لفهم القيمة ؛ لأن الكلمة ((لا تكتسب قيمتها إلا

(١) سورة الحجر : ٣٥

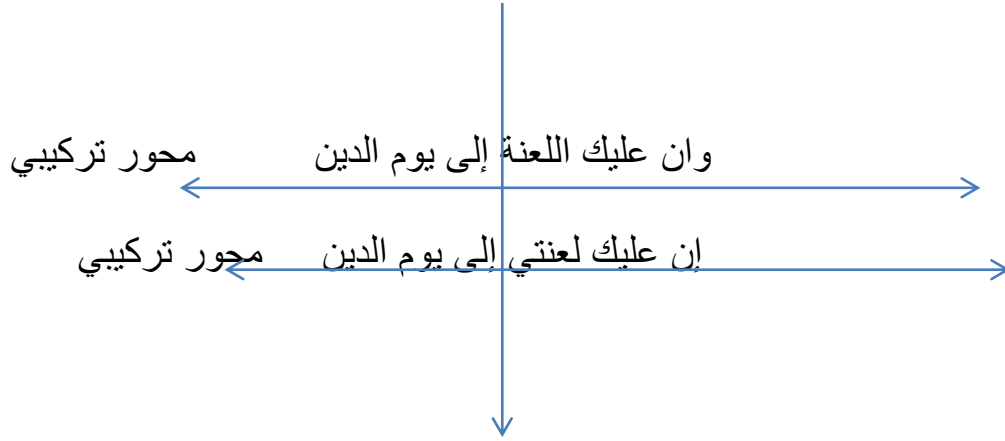
(٢) سورة ص: ٧٨

(٣) سورة الحجر : ٣٢ – ٣٤

(٤) سورة ص : ٧٥ - ٧٧

بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها، أو لكليهما معاً (((١).

نعود للآيتين المباركتين على محوري التركيب والاقتران :



محور الاقتران

إن عملية الاستبدال واضحة بين الآيتين المباركتين عند لفظتي (اللعنة ، لعنتي) ، ومن مبدأ أن ((النظام اللغوي عبارة عن سلسلة من الفروق الصوتية تقابل سلسلة من الفروق في المفاهيم)) (٢)، فإن هناك قيمة لغوية بينها الاستبدال بين الكلمتين في سورة (ص والحجر) اللتين مر ذكرهما .

إن (اللعنة) في سورة الحجر تعني الطرد والإبعاد من ثواب الله ورحمته (٣) ، وهي تمثل دلالة هذه اللفظة ، لكن القيمة ظهرت بالاستبدال مع متشابه (لعنتي) ، وهو ما يتفق مع مذهب دي سوسير القائل: إن قيمة الكلمة يمكن أن تتحدد عبر استبدالها بكلمة أخرى مشابه لها (٤) ، بمعنى أن الكلمة ما دامت ((جزءاً من نظام ما فهي لا تكتسي دلالةً فحسب بل تكتسي أيضاً وبالخصوص قيمة ، وهو أمر جد مختلف)). (٥)

(١) دروس في الألسنية العامة : ١٨٦

(٢) أعلام الفكر اللغوي : ٢٧٤

(٣) ينظر جامع البيان : ٢٥٤/٣

(٤) ينظر علم اللغة العام : ١٢٤

(٥) دروس في الألسنية العامة : ١٧٧

وقد يكون من هذه القيم اللغوية ما ذكره صاحب كتاب (درة التنزيل) من أن:

((القصة في سورة الحجر ابتدأت في المعتمد بالذكر وهو خلق الإنس والجن باسم الجنس المعرف بالآلف واللام بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾

{ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ } (١) ، ثم قال: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٢)، فكان ما استحقه إبليس بترك السجود من الجزاء ما أطلق عليه اللفظ الذي ابتدأت بمثله القصة وهو اسم الجنس المعرف بالآلف واللام (((٣).

أما التركيب الوارد في سورة (ص) فهو أيضا مناسب لما قبلها من الإضافة لياء

المتكلم في قوله عز من قائل { قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي } (٤) فجرت كل آية بما يناسب ويلئم الذي قبله. (٥) .

ويرى الباحث أن ذلك مما عهده العرب وعرفوه في لغتهم، ويمكن التمثيل لذلك بمعلقة امرئ القيس التي كانت كل لوحاتها الرئيسة متسمة بضمير المتكلم كقوله (٦) :

كأني غداة البين يومَ تحمّلوا لدى سمراتِ الحيّ ناقفُ حنظلٍ

وقوله (٧): وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي فيا عجباً من كورها الْمُتَحَمِّلِ

وقوله (٨): وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرَ فِي وُكْنَاتِهَا بِمُنْجَرِدِ قَيْدِ الْأَوَايِدِ هَيْكَلِ

(١) سورة الحجر : الآيتين ٢٦ ، ٢٧

(٢) السورة نفسها : ٣٢

(٣) درة التنزيل : ٨١٦ / ٢

(٤) سورة ص: ٧٥

(٥) ينظر ملاك التأويل : ٩٢

(٦) ديوانه : ٤٧

(٧) المصدر نفسه : ٤٨

(٨) المصدر نفسه : ٥٤

وهكذا بقية الأحداث الأساسية في المعلقة، في حين أثر عمرو بن كلثوم صيغة الجمع على المفرد ؛ لأنه يتكلم بلسان قومه فقال (١):

ألا هُبِّي، بِصَحْنِكَ، فاصْبَحِينَا ولا تُبْقِي حُمُورَ الْأَنْدَرِينَا

وقال (٢) : وَرَثْنَا الْمَجْدَ، قَدْ عَلِمْتُ مَعَدُّ، نُطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا

وقال (٣): لَنَا الدُّنْيَا، وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا، وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا

وهكذا فإن كلام البلغاء يجري آخره على أوله .

(١) ديوانه : ٨٨

(٢) المصدر نفسه : ٩٠

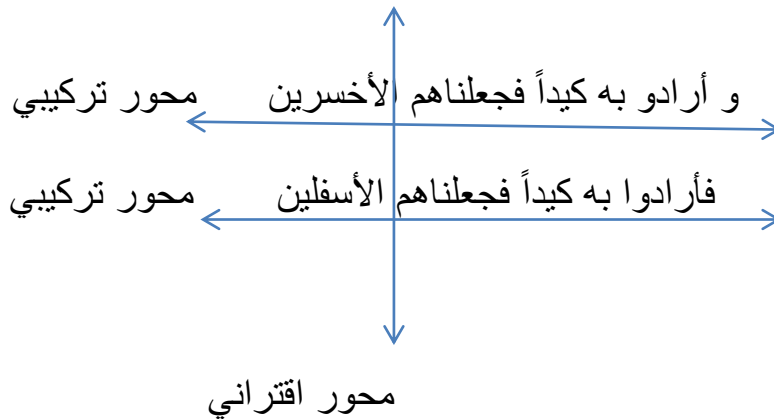
(٣) المصدر نفسه: ٩٢

الأنموذج الثاني:

ومثله قوله عز شأنه : { وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ } (١) ، وفي موضع

آخر من كتابه الكريم قال عز وجل : { فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ } . (٢)

تتحد الدلالة العامة في الآيتين المباركتين ، إذ إن المعني بهما هو النبي إبراهيم (عليه السلام) ، بلحاظ المتقدم من الآيات المباركة وهو قوله تقدست أسماؤه { قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ } (٦٩) (٣) ، وفي الصفات قوله عز وجل : وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٤) ، وفيهما تصوير لسعي قومه عبدة الأصنام بالكيد له والإيقاع به ، مع ذكر نتيجة المواجهة بينهما . ويمكن تمثيل الآيتين الكريمتين على محوري التركيب والاقتران بالآتي :



في كل مثالٍ يتقاطع فيه المحوران التركيبى والاقتراني لابد من ظهور قيمة لغوية للكلمات المتلاقية في نقطة التقاطع لهذين المحورين ؛ لأن الإشارة اللغوية – بحسب رأي دي سوسير تتحدد ((بمجموعة العلاقات الأفقية والترابطية التي تدخل فيها تلك الإشارة مع الإشارات اللغوية الأخرى في اللغة نفسها)) . (٥)

(١) سورة الأنبياء: ٧٠

(٢) سورة الصفات : ٩٨

(٣) سورة الانبياء : ٦٩

(٤) سورة الصفات : ٨٣

(٥) أعلام الفكر اللغوي : ٢٠٩

تعني لفظة (أخسرين) في الآية الأولى:

- المبالغة في الخسران وهو إبطال ما راموه من الفوز بالقضاء على إبراهيم ودعوته. (١)
- وقيل هو من خسران العمل والسعي ،اذ رد الله عملهم عليهم. (٢)
- في حين أن معنى لفظة (الأسفلين) :
- الأدلين. (٣)
- المقهورين. (٤)
- الأسفلين في دحض حجتهم. (٥)
- الأسفلين في أمرهم وعلو أمر إبراهيم (عليه السلام). (٦)

إن النظر في المعاني التي توحى إليها الكلمات لهو المنطلق الأساس لمفهوم القيمة ومن ثم الدلالة على وفق تلك القيمة ، والمعاني التي جاءت على لسان المفسرين للفظتي (الأخسرين) ، (الأسفلين) هي عبارة عن تمثيل هاتين اللفظتين لأكثر من فكرة – بحسب تصور دي سوسير – ((وهكذا فقيمة أي عبارة إنما هي محدد بمحيطها حتى أن كلمة شمس لا تحدد قيمتها إلا إذا نظرنا إليها في محيطها)) (٧).

وفي الآيتين المباركتين يتساوى المحيط اللغوي لكليهما مع استبدال لفظة واحدة بين السياقين ، وهذا الاستبدال سيوضح القيمة لكل منهما مع ماله من تأثير في الدلالة القرآنية .

(١) ينظر البحر المحيط : ٧/ ٤٥١

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن : ١١/ ٣٠٥

(٣) ينظر بحر العلوم : ٢/ ٤٣٢

(٤) ينظر الكشف والبيان : ٨/ ١٤٩

(٥) ينظر النكت والعيون : ٥/ ٥٨

(٦) ينظر تذكرة الأريب : ٣٢١

(٧) محاضرات في الألسنية العامة : ١٤١

وبتأمل في سورة الأنبياء تتضح لنا دلالة (الخسران) الواردة في آيتها المباركة:

{ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ } (١)، دلالتها: عزم إبراهيم (عليه السلام) بالنيل من أصنامهم.

- { وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ } (٢)، دلالتها: الموقف المقابل من جهة قومه.

- { قَالُوا فَاتُّوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ } (٣) دلالتها: جمهور الناس يشاهد الرابح والخاسر في هذه المعركة .

- { ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ } (٤) دلالتها: علامات خسران المعركة أمام الملائكة .

- { قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ } (٥) دلالتها: ردة فعل القوم لتدارك النصر.

{ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ } { وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ } (٦): دلالتها: التدخل الإلهي وحسم نتيجة المعركة بفوز إبراهيم (عليه السلام).

- ((فكادهم ولم يكيوه فخسرت تجارتهم وعادت عليهم مكايدهم لأنه كسر أصنامهم ولم يبلغوا من إحراقه مرادهم فذكر (الآخسرين)؛ لأنهم خسروا فيما عاملهم به وعاملوه من المكايده التي أضيفت إليهما)) (٧).

أما في سورة الصافات فإن لفظة (الأسفلين) ناسبت المقام الذي وردت فيه؛ لأن ((الله

(١) سورة الأنبياء : ٥٧

(٢) السورة نفسها : ٧٠

(٣) سورة الأنبياء : ٦١

(٤) السورة نفسها : ٦٥

(٥) السورة نفسها : ٦٨

(٦) السورة نفسها : ٦٩-٧٠

(٧) درة التنزيل: ١ / ٩٠٥

تعالى أخبر عن الكفار فيها . بما اقتضى من الأسفلين وهو أنه

قال: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (١) فبنوا بناءً عالياً ورفعوه فوقه ليرموا به من هناك إلى النار التي أججوها ، فلما علوا ذلك البناء وحطوه منه إلى الأسفل عادوا هم الأسفلين؛ لأن هم أهلكوا في الدنيا وسفل أمرهم في الآخرة.)) (٢) إن كلا اللفظين أعطى دلالة تتناسب مع الآية التي ورد فيها، لكن الاستبدال الوارد عند المقابلة بين الآيتين أعطى قيمة لغوية أخرى، أظهرها التقاطع بين المحورين وما جاد به من الدلالات آنفة الذكر عند مقابلة (الآخسرين والاسفلين) كما مر. وعموماً فإن المتكلم ما إن أراد أن يغير ((الفكرة المراد التعبير عنها ، حتى تصبح تقابلات أخرى ضرورية لإظهار قيمة أخرى)) (٣).

(١) سورة الصافات : ٩٧

(٢) درة التنزيل: ١ / ٩٠٦، وينظر معترك الأقران : ٣ / ٨٣

(٣) محاضرات في الألسنية العامة : ١٥٧

٣- الاستبدال الثلاثي:

كما مر في الاستبدال الثنائي فإن العنوان في أعلاه يوحي أن هناك ثلاث آيات مباركة تتفق اتفاقاً نسبياً فيما بينها وتختلف في لفظة واحدة (نقطة تقاطع المحورين)، مما سيتسنى للباحث محاولة الوقوف على دلالة هذه الآيات وما تفرزه من قيمة لغوية بعد مقابلتها ببعضها لأنها أي- القيمة -((تسمح خاصة بالتمييز بين الاختلافات والتقابلات والتغيرات والتبادلات في اللسان على شكل متغيرات))(١).

وهذه الاختلافات و التقابلات ... إنما هي في كلمة من الكلمات التركيب ؛((لأن الكلمة جزء من النسق فهي لا تكتسي دلالة فحسب بل تكتسي أيضاً على وجه الخصوص قيمة))(٢).

وعبر إحصاء الباحث لآيات متشابهة الدلالة، وجد أن هناك آيات مباركة قد وردت بثلاثة مواضع في القرآن الكريم بثلاثة تراكيب متماثلة في كل وحداتها اللغوية، باستثناء وحدة لغوية واحدة ، اختلفت بين هذه الآيات ، هذا الاختلاف شكل ملمحاً من ملامح الدلالة القرآنية(قيمة) .

ويمكن بيان ذلك بلآتي :

(١) فهم سوسير: ١١٥

(٢) مدخل إلى لسانيات سوسير : ٨٨

الأنموذج الأول:

قال تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} (١). وقال عز من قائل: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (٢).

وقال تعالى شأنه: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (٣).

قيل في تفسير الآية الأولى: إنه ((من كتم حكم الله الذي أنزله في كتابه وجعله حكماً بين عبادة فأخفاه وحكم بغيره فأولئك هم الكافرون)). (٤)

وقيل: من جحد حكم الله فقد كفر (٥)، والكافر بالله هو من ستر وجود الله وغطاه أي: نكره (٦).

في حين وصفه في الآية الثانية بـ(الظالم)؛ لأنه لم يعمل بما أنزل الله من الأحكام مستهيناً بها أو منكراً (٧)، وهو بذلك قد سار على خلاف الحق (٨)، بوصفه لم ينصف المظلوم من الظالم بالعدل (٩).

أما الآية الثالثة فقد ذكر المفسرون أنه من لم يعمل بما فرضه الله تعالى على عبادة فقد خرج عن الطاعة (١٠)، وقال آخر: فقد خرج عن أمر الله بارتكاب كبيرة (١١).

(١) سورة المائدة: من الآية ٤٤.

(٢) السورة نفسها: من الآية ٤٥.

(٣) السورة نفسها: من الآية ٤٧.

(٤) التبيان للطوسي: ٥٣٢ / ٣.

(٥) ينظر تفسير الثعلبي: ٧٠ / ٤.

(٦) ينظر تفسير الشعراوي: ١٨ / ١٠٩٧٤.

(٧) ينظر إرشاد العقل السليم: ٤٢ / ٣.

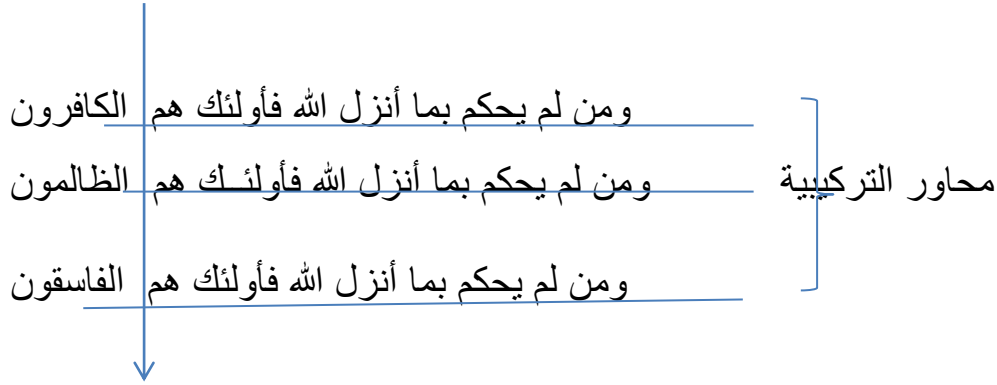
(٨) ينظر التحرير والتنوير: ٢٠٠ / ٧.

(٩) ينظر تفسير الأيجي: ٢٦٥ / ١.

(١٠) ينظر بحر العلوم: ٣٩٧ / ١.

(١١) ينظر الكشاف: ١١٩.

أما على محوري التركيب والاقتران فيمكن التمثيل لذلك بالآتي :



محور اقتراني

على الرغم من تشابه صدر الآيات الثلاث، إلا أن الدلالة اختلفت باختلاف الخبر في كل منها ((فما يهم في الكلمة ليس هو الصوت نفسه بل الاختلافات الصوتية التي تسمح بتمييز هذه الكلمة عن الكلمات الأخرى وذلك؛ لأن هذه الاختلافات الصوتية هي التي تنقل الدلالة)) (١).

هناك دلالة أخرى تظهر في إعمال الفكر في الاختلافات التي ظهرت في نهاية كل نص مع اتحاد المعنى في أوله ، وهو ما سماه دي سوسير بـ(القيمة) لأنه يرى أن قيمة ((أي عبارة إنما هي محددة بمحيطها، حتى أن كلمة شمس لا تحدد قيمتها إلا إذا نظرنا إليه في محيطها)) (٢) ، وقد يرى ذلك على أنه ازدواجية في الدلالة؟.

الأمر مختلف عند دي سوسير ؛ لأن الكلمة عنده ((تعرب إلى نظام معين لم تمنح المعنى وحسب بل أضيف عليها وبشكل خاص قيمة معينة وهذا يعني شيئاً آخر)) (٣).

إن نقطة تقاطع المحاور هي: (الكافرون)، (الظالمون)، (الفاسقون) وهذه النقطة

(١) مدخل إلى لسانيات سوسير : ٨٩

(٢) محاضرات في الألسنية العامة : ١٤١

(٣) أعلام الفكر اللغوي: ٢٦٩

تمثل قيمة لغوية قائمة على التقابل بين هذه الألفاظ كما سيبينه الآتي :

أ- قيل إن ((الكافر و الفاسق والظالم واحد وهو الكفر عبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب صورة التكرار)) (١).

ويخال الباحث أن هذا الرأي يخالف ما اجتمع عليه معظم دارسي القرآن ممن أنصفوا هذا الكتاب المقدس من أن ((كل لفظ في القرآن له معنى قائم بذاته ، وفيه إشعاع نوراني يتضافر مع جملته ، ويساعد بعضه بعضاً في المعاني العامة للإسلوب والعبارات الجامعة ، إن العبارات مجتمعة يساعد بعضها بعضاً)) (٢)، فلا يمكن أن تكون دلالة الألفاظ واحدة .

ب- يرى البعض أن صدر الآية الأولى يوضح دلالتها وهو قوله تعالى : { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } (٣)، وأن ((ارتكاب شيء مما نهوا عنه وعدم خشيته تعالى تقصير فيما يجب له سبحانه وجدد الواجب له وإنكار نعمه تعالى فأعقب بقوله.. فأولئك هم الكافرون)) (٤).

أما الآية الثانية فقد تقدمها قوله تعالى : { وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (٥)، ((فلم تتضمن الآية غير الحقوق المتعلقة بالنفوس والوقوع في شيء من ذلك يوجب إيلاها ودوام عقابها وذلك ظلم)) (٦) ، لذلك ذيلت بـ (الظالمين) إشعاراً لتلك الفائدة.

(١) أسرار التكرار في القرآن : ١٠٣

(٢) المعجزة الكبرى القرآن : ٧٩

(٣) سورة المائدة : ٤٤

(٤) ملاك التأويل : ١ / ١٢٩

(٥) سورة المائدة : ٤٥

(٦) ملاك التأويل : ١ / ١٣٠

أما الآية الثالثة فقد ناسب هنا ((ذكر الفسق لأنه خروج عن أمر الله تعالى (١)، إذ تقدم قوله : { وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (٢) وهو أمر كما قال تعالى : { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } (٣)، أي ((خرج عن طاعة ربه)). (٤)

فقد وصف الحق سبحانه وتعالى من خرج عن أمره وعصاه بالفسق في كلا الموضعين.

ج- يرى بعضهم أن الآية الثالثة قد سُيِّقَتْ أيضا بقوله عز من قائل : { وَفَقَيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ } (٥)، وهي ((في بيان هداية الإنجيل وأكثرها مواضع وآداب وترغيب في إقامة الشريعة على الوجه الذي يطابق مراد الشارع وحكمته ، فمن لم يحكم بهذه الهداية ممن خوطبوا فهم الفاسقون بالمعصية ، والخروج عن محيط تأديب الشريعة)) (٦).

إن كل ما مر في هذا الأنموذج القرآني يوضح بأن القيمة هي ((المعنى الذي تنزع العلامة اللغوية إلى التعبير عنه في أثناء وجودها في داخل الكلام)) (٧).

(١) لأن (الفسق في اللغة هو الميل عن الطاعة إلى المعصية ، بمعنى الخروج عن طاعة الله ، ينظر

: تهذيب اللغة : ٨ / ٣١٥ المحكم والمحيط الاعظم : ٦ / ٢٤٢

(٢) سورة المائدة : ٤٧

(٣) سورة الكهف : ٥٠

(٤) بحر العلوم : ٣٧/١

(٥) سورة المائدة : ٤٦

(٦) التفسير الوسيط للواحدى : ١٧٨ / ٤

(٧) الإتجاه الوصفي عند دوسوسير وعملية الدراسة اللغوية (بحث) : ٤

الأنموذج الثاني :

قال تعالى : {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (١)

وقال عز من قائل : {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} (٢)

وقال تعالى شأنه: {إِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} (٣)

جرباً على المنهجية المتبعة في هذا الفصل ، فإنه لابد من توافر نماذج تتشابه في وحدة الموصوف وتختلف فيما يليه ، وفي الآيات المباركة فإن اتحاد النماذج يتمثل في قوله عز وجل (ولكن أكثر الناس) ، أما الاختلاف الذي سيقوم عليه تحليل المحاور فيجسده التعقيب: (لا يعلمون ، لا يشكرون ، لا يؤمنون) .

قال المفسرون في الآية الأولى (سورة سبأ) : إن الله ((يوسع على من شاء في رزقه ويضيق على من يشاء)) (٤) ، ولا يدل بسط الرزق على رضا الله ولا يدل التضيق على سخطه جل وعلا (٥) ، فقد يوسع على الكافر وعلى العاصي ويضيق على المؤمن، (٦) من غير أن يعلم أكثر الناس لم فعل الله ذلك . (٧)

وقالوا في معنى الآية الثانية (سورة غافر): إن الله جعل الليل ((لتستريحوا فيه بأن خلقه بارداً مظلماً ليؤدي إلى ضعف الحركات وهدوء الحواس)) (٨).

(١) سورة سبأ: ٣٦

(٢) سورة غافر : ٦١

(٣) السورة نفسها : ٥٩

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية : ٩ / ٥٩٣٠

(٥) ينظر تفسير الوسيط للواحدى : ٣ / ٤٩٦

(٦) ينظر التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ١٦٨

(٧) ينظر تفسير ابن فورك : ٢ / ١٥٢

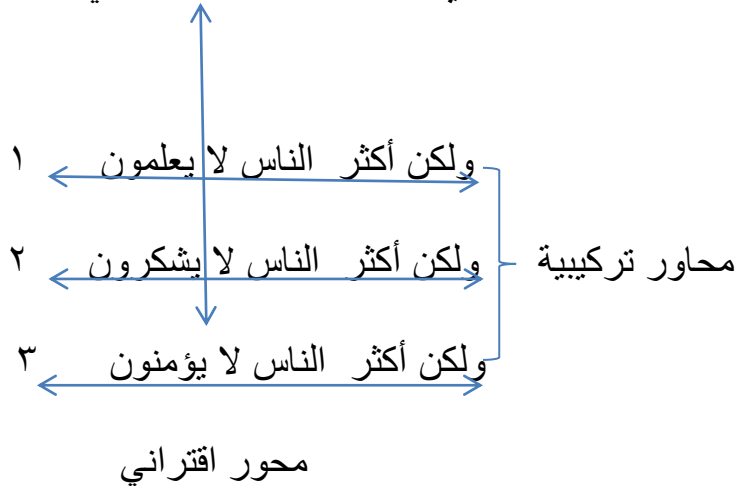
(٨) أنوار التنزيل: ٥ / ٦٢

وجعل ((النهار مبصراً مضيئاً ليتصرفوا بالأسفار وقطع الأقطار والتمكن من الصناعات))(١) .

، لكن أكثر الناس لا يشكرون ذلك ((لجهلهم بالمنعم وإغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم)).(٢)

واتفق كثير من المفسرين على أن دلالة الآية التي ذيلت بـ (لا يؤمنون) هي : أن وقت الحساب لكائن مهما طالت المدة بيننا وبين وقت حصوله ولا شك في ذلك (٣)، ولكن أكثر الناس لا يصدقون ، لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به (٤)، فجعل الحق سبحانه وتعالى قيام الساعة اختيار لإيمان المؤمنين وكفر الكافرين ، فمن صدقها واستيقن بها فهو مع المؤمنين ومن كفر بها ، فقد كفر بالله أو أشرك به .(٥)

ويمكن تمثيل الآيات المباركة على محوري التركيب و الاقتران بالآتي:



تتقاطع التركيبات الثلاثة عند (يعلمون ، يشكرون ، ويؤمنون) على الترتيب.

(١) تفسير ابن كثير : ١٤١ / ٧

(٢) إرشاد العقل السليم : ٢٨٢ / ٧

(٣) ينظر لطائف الإشارات : ٣١٢ / ٣

(٤) ينظر أنوار التنزيل : ٦١ / ٥

(٥) ينظر التفسير القرآني للقرآن : ١٢٥٥ / ١٢

والتقاطع يعني قيمة ، لأن القية هي حويلة نوعين من العلاقات هي العلاقات التركيبية والعلاقات الاقترانية (١)، إذ إن هناك استبدالات واضحة يوضحها اتحاد المعنى لكل تركيب قبل وصول المحور التركيبي لنقطة التقاطع وهو: (ولكن أكثر الناس)، والإشارات اللغوية بعد ذلك تتحد هويتها ((حسب مفهوم سوسير بمجموع العلاقات الأفقية والترابطية التي تدخل فيها تلك الإشارة مع الإشارات اللغوية الأخرى في اللغة نفسها)) (٢).

وفي اللغة نفسها أنه ناسب قوله (لا يعلمون) صدر الآية المباركة بلحاظ الآتي: إن بسط الرزق وتضييقه على من يشاء من عبادة إنما هو خيرٌ لهم (٣) فلو استبدلنا المحور (أ) بالمحور (ب) لكانت دلالته : أن أكثر الناس موقنون حكمة ذلك لكنهم لا يشكرون ، وهذا منافٍ للحقيقة ؛ لأن أكثر الناس يعترض على الله تعالى في البسط على أناس والتضييق على آخرين.(٤)

ولا تختلف دلالة (يشكرون) في مناسبتها لصدر الآية التي وردت بها ؛لأن

((من أجل نعم الله تعالى على عباده تعاقب الليل والنهار بما يتناسب مع حاجة الجسد من الراحة والسكن وحشد الطاقة وتجديدها في سكن الليل ... و تمتع الإنسان بما لذ وطاب من متاع الحياة الدنيا في النهار ؛ لذلك وجب أن يشكرون)) (٥) ، وأيضاً فإن من دلالات لفظة (يشكرون) في آخر الآية المباركة أنه جلّ وعلا نبه على تفرد القدرة الكاملة والنعمة الشاملة التي تستحق الشكر (٦)، فجاءت (يشكرون) في موطنها اللائق .

أما ما يخص دلالة (يؤمنون) في الآية المباركة فيوضحه الآتي :

(١) ينظر ثنائيات اللغة (بحث) : ٢

(٢) أعلام الفكر اللغوي: ٢٦٩

(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس : ٢٣٩ / ٣

(٤) ينظر بيان المعاني : ٥١٤ / ٣

(٥) التصوير القرآني للقيم: ١٣٠

(٦) بيان المعاني : ٥١٤ / ٣

إن ((من أنكر البعث فهو محتاج إلى الإيمان)) (١)، فكانت قضية الساعة، والبعث والنشور، من جملة المسائل التي يختبر بها إيمان المؤمنين، وكفر الكافرين، فمن تقبل هذه الحقيقة وصدقها واستيقن بها، فهو من الذين آمنوا، ومن كذب أو شك فيها فهو من الضالين المسيئين (٢).

وصفوة القول: إن القيمة للألفاظ الثلاثة إنما ((تعرفت تعريفاً جيداً بتحديد مكانها من النظام أو القائمة التي تنتمي إليها وهذا – بدوره- يتحدد بدراسة علاقاتها بغيرها من العلاقات على المحور الأفقي والرأسي)). (٣).

فعلى المحور التركيبي علاقة كل لفظة بسياقها التي وردت فيه، وبيان تلاؤم صدر الآية مع ختامها، وعلى المحور الاقتراضي تبرز القيمة عبر استحالة الاستبدال بين هذا الألفاظ مع وجود مشترك دلالي هو (ولكن أكثر الناس) . ظهر عبر الإحصاء للآيات المباركة التي ذيلت بـ (ولكن أكثر الناس) أنها وردت في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعاً (٤) توزعت كالاتي :

أ- أحد عشر موضعاً : (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . (٥)

ب- ثلاثة مواضع : (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) . (٦)

ج- ثلاثة مواضع : (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) . (٧)

ويمكن استنتاج قيمة لغوية أخرى لتوزيع هذه الألفاظ في القرآن الكريم :

(١) درة التنزيل: ١١٣٣/١

(٢) ينظر التفسير القرآني للقرآن : ١٢ / ١٢٥٥

(٣) سوسير رائد علم اللغة الحديث : ٣٨

(٤) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٨٩٦-٨٩٨ نوس.

(٥) وهي سورة الأعراف : ١٨٧، سورة يوسف : ٢١، ٤٠، ٦٨، سورة النحل : ٣٨، سورة الروم : ٦، ٣٠،

سورة سبأ : ٢٨، ٣٦ سورة غافر : ٥٧، سورة الجاثية : ٢٦ .

(٦) وهي : سورة هود : ١٧، سورة الرعد : ١، سورة غافر : ٥٩

(٧) وهي سورة البقرة : ٢٤٣، سورة يوسف : ٣٨، سورة غافر : ٦١

جاء وصف أكثر الناس بأنهم لا يعلمون ؛لأن : العلم أبلغ درجة من العقل (١)، وهو حياة القلوب من العمى، ونور الأبصار من الظلمة (٢) ،وعلى ذلك فالعلم أساس الإيمان والشكر ، ولا يكون من دونه.

أي أن ((المخاطبين ممن عقل لو نظروا واعتبروا لعلموا ولو علموا لآمنوا ولو آمنوا واستوضحوا النعم لشكروا)). (٣) .

فالصفة التي تسلب الإيمان هي الجهل، وهو يقود إلى زعزعته حتى يصل إلى حد الكفر كما قال تعالى : { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } (٤)، وبقينا لا يشكر نعم الله تبارك وتعالى ، ولا يؤمن بها من لا يعلم، فكان التأكيد بزيادة المواضع التي تحمل هذا الوصف لما تحمله من قيمة لغوية مؤداها: أن أكثر الناس إنكارا لنعم الله جل وعلا الذين يفتقرون إلى العلم الدال عليه سبحانه وتعالى .

(١) ينظر غرائب التفسير: ١ / ١٩٠ .

(٢) ينظر مفاتيح الغيب : ٢ / ٤٠٩ .

(٣) ملاك التأويل : ٢ / ٤٣٢ .

(٤) سورة الأنفال : ٥٥

٤- الاستبدال الرباعي :

يمكن القول إن في القرآن الكريم خطابين : خطابا عاما خاطب به الناس جميعاً من دون تمييز بينهم على أي أساس عرفه الانسان نفسه ،قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (١)، وخطابا خاصا خص به طائفة معينة يختارها جلّ وعلا بحسب ما يقتضيه أمره سبحانه ،كقوله تعالى مخاطباً المؤمنين: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } (٢)

وضرب الله الأمثال ،وجاء بالعبر والآيات، لكن الناس لم يستوعبوا ذلك على درجة واحدة من التفاعل الموجب للإيمان، بما أرسله الله تعالى ،فكانوا في ذلك على أقسام بينها الحق سبحانه في آيات مباركة ستكون (الأنموذج الأول) في هذا النوع من الاستبدال، قال تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ } .(٣)

وقال عز من قائل { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } .(٤)

وقال تقدست أسماؤه : { وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ

مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } .(٥)

وقال تعالى : { أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } .(٦)

(١) سورة البقرة : ٢١

(٢) السورة نفسها: ١٥٣

(٣) سورة الروم : ٢٣

(٤) السورة نفسها : ٢١

(٥) سورة النحل : ٢

(٦) سورة الزمر : ٥٢

كما مر في النماذج السابقة ، فإن الأمثلة الأربعة تشترك في اتحاد الدلالة في جزء من الآيات المباركة ، وهو قوله تعالى: { إن في ذلك لآيات لقومٍ } وتتقاطع عند (يسمعون، يتفكرون، يعقلون، يؤمنون). وهي أفعال ذات دلالات مختلفة تؤسس لقيمة لغوية، أذ تتكون من شيء مخالف يمكن إبداله مقابل الشيء الذي نريد تحديد قيمته. (١)

وفيما يأتي إيضاح لدلالة هذه الأفعال في نصوصها المقدسة، ومنه تتكشف قيمتها اللغوية عبر هذه المقابلة ، فدلالة (يسمعون) مع آياتها تتجلى في : أن من حجج الله وأدلتة على توحيده، وقدرته على إحياء الموتى أنه يقدر الساعات والأوقات ويخالف بين الليل والنهار، فجعل النهار تبتغون فيه الرزق، والمعاش، وجعل الليل سكناً لتسكنوا فيه ، و تناموا. (٢)

وفي ذلك آيات لمن ((يسمعون الحق فيتبعونه)) (٣) ، وهو سماع معتبرٍ مذكرٍ (٤) وقيل بل ((يسمعون ما يذكر لهم من هذه الآيات)) . (٥)

في حين ذكروا أن دلالة الفعل (يتفكرون) مع سياقه المبارك يتلخص في : أن من عجائب خلقه جلّ وعلا أن جعل لكم آ دميات مثلكم ، ولم يجعلهن من غير جنسكم (٦) ، لتسكنوا إليها، أي السكن القلبي، ولو قال: لتسكنوا عندها لكان المعنى للسكن الجسماني وهو من قولهم: سكن عنده فهي تختلف عن سكن إليه . (٧)

ثم جعل الحق سبحانه بينكم رقة التعطف إذ كل واحدٍ من الزوجين يرق على الآخر رافةً وعطفاً عليه ، بما جعله الله في قلبه ليتم سرور الآخر به. (٨)

(١) ينظر دروس في الألسنية العامة : ١٧٦

(٢) ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية : ٥٥٦٧٨ / ٩

(٣) النكت والعيون : ٣٠٧ / ٤

(٤) ينظر الكشف : ٣٥٧ / ٢

(٥) تفسير القرآن للسمعاني : ٢٠٥ / ٤

(٦) ينظر زاد المسير : ٤٢٠ / ٣

(٧) ينظر مفاتيح الغيب : ٩١ / ٢٥

(٨) ينظر التبيان للطوسي : ٢٣٠ / ٨

وقد فسروا الآية التي ذيلت بـ(يعقلون) من سورة (النحل) : بأن من نعم الله عليكم ((أيها الناس مع التي ذكرها قبل: أن سخر لكم الليل والنهار يتعاقبان عليكم هذا لتصرفكم في معاشكم ، وهذا لسكنكم فيه ، (والشمس والقمر) لمعرفة أوقات ازمنتكم، وشهوركم وسنينكم، وصلاح معاشكم. (والنجوم مسخرات) لكم بأمر الله تجري في فللكها لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر)) (١).

وفي ذلك آيات، وعلامات لقومٍ يعقلون عن الله حججه وأدلته (٢)، وقيل هم ((أهل الإيمان وهم أهل العقل الذين لم يجعلوا لله ندا)). (٣)

وقالوا في آية بسط الرزق من سورة الزمر : أولم يتبين لهم بعد أن الله يوسع الرزق على من يشاء ،ويقدر على من يشاء، وفي القبض والبسط علامات لوحدانيتها لقوم يصدقون بتوحيد الله. (٤)

إن تقديم آراء المفسرين للآيات آنفة الذكر، وبيان دلالتها، يؤلف محوراً مهماً من محاور القيمة، إذ إن التقاطعات ستعيد صياغة الدلالة مرة أخرى لتتضح- على وفق ما تفرضه الاختلافات، والتقابلات بين الكلمات- القيمة ، لأنها عبارة عن ذلك. (٥)

وعلى محوري التركيب والاقتران يمكن تمثيل الآيات المباركة بالآتي :

(١) جامع البيان: ١٧ / ١٧٩

(٢) ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية : ٥٦٧٩/٩

(٣) التفسير الوسيط للواحدى : ٥ / ٣

(٤) ينظر بحر العلوم : ١٩٠ / ٣

(٥) ينظر فهم فرديناند دو سوسير : ١١٨

محور اقتراني



ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون

ومن آياته خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون

وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون

اولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون

يوضح المحور الاقتراني اختلاف المعتبرين في كل آية من الآيات المباركة، وهذا الاختلاف إنما جاء لاختلاف القيم الآتية:

١- قال بعض المفسرين في معنى الآية التي ذيلت بـ(يسمعون) أي: ((يسمعون هذه الأدلة فيفهمونها ويتعظون بها)) (١)، وعلى هذا التفسير ، يمكن أن يقال (لقوم يتفكرون أو يعقلون) وعندها تتلاشى القيمة لتلاشي الاختلاف القائمة عليه (٢)، لكن الامر مختلف إذا ذهب القائل : لما كان صدر الآية المباركة خاصاً بآية (النوم) وجب أن يبين عزو جل ما يناسبها في ختامها ، إذ إن حاسة السمع فيها آلة الاستدعاء فهي لاتتعطل في أثناء النوم ، فالنائم لا يرى لكنه يسمع من يناديه ليوقطه، وبه يتناسب صدر الآية وختامها (٣).

ومما يؤيد ذلك قوله عز من قائل {فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا}(٤)

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية ، وينظر تفسير الوسيط للواحي : ٣ / ٤٣١ ، ومعالم التنزيل : ٤ / ١٤٢ ، الكشف

: ٢ / ٣٥٨ ، مفاتيح الغيب : ١٧ / ٢٨٠

(٢) ينظر علم اللغة العام : ١٣٤

(٣) ينظر تفسير الشعراوي : ٨ / ٤٥٩٥ - ٤٥٩٦ .

(٤) سورة الكهف: ١١

على معنى أن الله جلّ وعلا ألقى ((النوم عيّلهم ، وهذه من فصيحآت القرآن التي أقرت العرب بالقصور عن الاتيان بمثله. قال الزجاج(١) : أي منعناهم أن يسمعو ؛ لأن النائم إذا سمع انتبه)) (٢).

ف(يسمعون) وإن كان فيها معنى سماع المعتبر المتأمل في آيات الله - كما ذهب جملة من المفسرين - إلا أن اختيارها جاء ليتواشج مع نظام القرآن في تناسب صدر الآية مع ختامها .

ب - التفكير هو ((تصرف القلب في معاني الأشياء لإدراك المطلوب))(٣)، بدليل يدل عليه (٤) ، بمعنى أن الحق سبحانه وتعالى أمر الانسان أن يعمل فكره في المسائل التي أشار هو إليها ليصل إلى حقائقها التي تدلك على الحق و وحدانيته . (٥)

فقد ختمت الآية الثانية من هذا الأنموذج بـ (ينفكرون) حثاً على إعمال الفكر ليدركوا ((حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقاً للآخر ملبياً حاجاته الفطرية و نفسية وعقلية وجسدية بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء والمودة والرحمة)) (٦).

وقال بعضهم إن الآية الكريمة ختمت بما يوجب إعمال التفكير ليدركوا ((أن سعادة الحياة الزوجية إنما تبنى على هذه العناصر الثلاثة : السكن والمودة والرحمة)) (٧).

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج : ٢٧١ / ٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٣٦٣ / ١٠

(٣) التعريفات : ٦٣

(٤) التوقيف على مهام التعاريف : ٩٣ / ١

(٥) ينظر تفسير الشعراوي : ٧١٩٧ / ١٢

(٦) في ظلال القرآن : ٢٧٦٣ / ٥

(٧) القرآن ونقض مطاعن الرهبان : ٤٠٨ / ١

ج - لقد ختم الحق سبحانه وتعالى الآية التي مر ذكرها من سورة النحل بقوله تعالى شأنه: (لقومٍ يعقلون) وذلك؛ لأن ((متدبر ذلك أعلى من متدبر متقدماً ، إذ كانت المنافع المجعولة فيها أخفى وأغمض ، فمن استدرك الآيات استحق الوصف بما هو أعلى من مرتبة المتفكر المتدبر)). (١).

فالعاقل هو الذي ينظر في الأشياء، ويستنبط بحسب إدراكه لها ، وإذا جمعنا كلمتي (آيات ، يعقلون) صارت الدلالة: ((أنها عجائب لقوم يعقلون، وحين يقول الحق (لقوم يعقلون) ، فكانه ينبه الملكة المفكرة العاقلة في الإنسان، وحين يخاطبك مخاطب وينبه فيك الملكة العاقلة فاعلم أن ما يخبر به ينتهي عقلك إليه بمجرد أن تفكر...وإلا ما كانت هناك ضرورة أن يذكر كلمة العقل)). (٢)

وهذا يجعلنا نستنتج أن في اللغة الواحدة تستعمل كل الكلمات لتعبر عن أفكار مترابطة تحدد بعضها بعضاً بالتبادل . (٣)

ويختتم الله سبحانه وتعالى الآية الرابعة من النموذج بقوله: (لقوم يؤمنون) ؛لأن مسألة الرزق تحتاج إلى إيمان بحكمة الرازق سبحانه في الإعطاء، وفي المنع (٤) ، فاذا آمن، وطمأن قلبه بما كتبه الله له من الرزق لم يبطر إذا أصابته نعمة، ولم يحزن إذا قدر الله عليه رزقه . (٥)

إن إنعام النظر في الأرقام الإحصائية للتركيب (إن في ذلك لآياتٍ لقوم) ينبه أن هناك اختلافاً في نسبة استعمال القرآن الكريم للألفاظ الأربعة التي قام عليها هذا المبحث .

والاختلاف في نظر دي سوسير يولد قيمة إذ إن ((قيمة الكلمة لا تتحدد تماماً حين نقرر معناها بل ينبغي مقابلتها بقيم مماثلة أي بكلمات أخرى مخالفة لها)) . (٦)

(١) درة التنزيل : ٨٢٦/١

(٢) تفسير الشعراوي : ٦٩٢ / ٢

(٣) ينظر فصول في علم اللغة العام : ٢٠١

(٤) ينظر تفسير الشعراوي : ١٨ / ١١٤٤٩

(٥) ينظر التفسير القرآني للقرآن : ٥٢٣/١١

(٦) سوسير رائد علم اللغة الحديث : ٣٩

لقد استعمل القرآن الكريم التركيب (إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ) أربع عشرة مرة موزعة على الصورة الآتية:

- أ- {إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يسمعون } مرتين (١)
- ب- {إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون } ثلاث مرات (٢)
- ج - {إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون } أربع مرات (٣)
- د - {إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يؤمنون } خمس مرات (٤)

هذا الاختلاف يحثنا على استظهار القيمة لهذا التسلسل المتناسق بين هذه الألفاظ ، إذا علمنا أن ((في نطاق اللغة الواحدة تحدد جميع الكلمات المعبرة عن افكار متقاربة بعضها بعضاً من حيث القيمة)) (٥) ، ويرى الباحث أن التباين في نسبة استعمال هذه الألفاظ جاء لتباين القيمة الدلالية لكل لفظ منها. ومن هذه القيم :

أ - ختتمت آيتان بلفظ (يسمعون) وهي النسبة الأقل إذا ما قورنت باستعمال الألفاظ الآخر ، وهذا فيه دلالة مقتضاها: أن آيات الله طريق لمعرفة جلّ وعلا (٦) ، فلا يكن السمع وحده دليل الإنسان للعظمة الإلهية ، لأن الشيء العظيم لا يدرك بمجرد السمع ، إنما ينبغي إعمال كل الحواس التي أوجدها سبحانه وتعالى عند الإنسان للتفكر في كل آية من آياته جلّ وعلا بما ، يعمق الإيمان الموجب لتعظيم الخالق وشكر نعمائه وآلائه.

(١) في سورة يونس : ٦٧ وسورة الروم : ٢٣

(٢) في سورة الرعد : ٤ ،

(٣) في سورة الرعد : ٣ وسورة الروم : ٢١ ، وسورة الزمر : ٤٢ ، وسورة الجاثية : ١٣

(٤) في سورة النحل : ٧٩ ، وسورة النمل : ٨٦ ، وسورة العنكبوت : ٢٤ ، وسورة الروم : ٣٧ ، وسورة الزمر : ٥٢

(٥) دروس في الألسنية العامة : ١٧٧

(٦) ينظر التحرير والتنوير : ١١٧ / ١٩

ب – كأن الحق سبحانه وتعالى يريد أن ينبه إلى أن السمع ينبغي أن يتبعه العقل ، أي أن تأتي بالمقدمات لتصل إلى النتائج .(١)، قال تعالى: { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } (٢) فكأن السمع هنا لم يكن طريقاً لأعمال العقل فوصفهم بأنهم لا يعقلون.

وهذه المرحلة تشكل نسبة أعلى من سابقتها لأنها تحرك فينا خاصية العقل والتعقل ((فما من مخلوق إلا وقد هداه الله إلى معرفته تعالى بقدر عقله وروحه)). (٣)

ج – الذين (يتفكرون) كانت نسبتهم أعلى إذ إن ((السبيل إلى معرفته تعالى هو التفكير في مصنوعاته)) (٤)، وهذه الطريق تورث اليقين بعظمة الخالق وكمال الخضوع له .(٥)

فكأن مؤدى هذا المسلك يقود إلى الإيمان بالله، وتوحيده جلّ وعلا، أي أن زيادة التفكير توجب زيادة الإيمان .

د – لما كان الإيمان ((عبارة عن معرفة الله بالقلب)) (٦) ،كان المؤمنون أكثر الخلق تصديقا بآيات الله، واعترافا بقدرته سبحانه ،فكل ما في الكون في نظرهم آية من آيات الله، ودليل على عظيم صنعه، وبديع قدرته . فزيادة استعمال لفظة (يؤمنون) ناسب زيادتهم بوصفهم يعتبرون بآيات الله، ويقفون عندها وقوف المعتبر المستدل بها على عظيم صنعه وجليل قدرته .

(١) ينظر تفسير الشعراوي : ١٠ / ٥٨٦٧

(٢) سورة الأنفال : ٢٢

(٣) روح البيان : ٥ / ٣٩٤

(٤) البحر المحيط : ٦ / ١٠٩

(٥) المختصر في تفسير القرآن الكريم : ١ / ٧٥

(٦) مفاتيح الغيب : ٢ / ٢٧١

الأنموذج الثاني:

قال الله تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ } { أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ } (١)

وقال عز من قائل: { وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } (٢)

وقال تعالى: { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ } (٣)

وقال عزشأنه: { وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ } (٤).

تتفق الآيات الأربع المذكورة في أعلاه في التركيب (أخاف عليكم عذاب يوم) دلالة إلى يوم القيامة كما ذهب إلى ذلك معظم المفسرين (٥).

أما التقاطع الذي سيقوم عليه المبحث فهو عند الألفاظ (أليم ، عظيم ، محيط ، كبير) واختلاف هذه الأسماء يعني اختلاف القيمة ، لأننا في حدود الكلمات الاربع فإن كل ((كلمة تحيل إلى شيء مغاير لها وإذا كانت قيمتها لا تتأتى الا بتعارضها مع باقي الكلمات فإن دلالة تلك الكلمة لا تتحدد الا بتعارضها مع دلالات

(١) سورة هود: ٢٥-٢٦

(٢) سورة الأحقاف: ٢١

(٣) سورة هود: ٨٤

(٤) السورة نفسها: ٣

(٥) ينظر الجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٤، أنوار التنزيل: ٣/ ١٢٧، تفسير ابن كثير (٤/ ٢٦٣ ، الباب في

علوم الكتاب: ١٠/ ٤٣٣

الكلمات الاخرى (((١).

وهذا المعنى يجعل من اللغة سلسلة مترابطة متداخلة لا يمكن فصلها عن بعضها البعض أو على الأقل فهمها فهماً حقيقياً إذ إن ((لا قيمة لأي شيء في اللغة إلا من خلال علاقاته ببقية الأشياء وهذه السمة هي التي تجعل من اللغة جوهرًا زئبقياً ، إنها على الدوام في نقطة أخرى غير تلك التي نعتقد أننا لمحناها فيها)) (٢).

وقد جاءت صفة هذا اليوم في الآية الثالثة بأنه (أليم) : للدلالة على الغرق؛ لأن الآية المباركة تخص نبي الله نوح عليه السلام وقومه (٣) وذهب آخر إلى أنه مؤلم وموجع. (٤) قيل هو يوم القيامة لأنه شديد الألم على الكافرين والظالمين (٥) .

جاء في تفسير التبيان أن معنى يوم عظيم : ((انه شديد على العباد ، وعظيم في قلوبهم)) (٦) وقيل ((عظيم هوله وهو يوم القيامة)) (٧) .

وأما وصف يوم القيامة بأنه (محيط) في ما مر من الأنموذج فهو للدلالة على أنه: ((تعالى توعدهم بعذاب يحيط بهم بحيث لا يخرج منه أحد ... لإحاطة العذاب بالمعذبين)) (٨)، وقيل معنى محيط ((لا يشذ منه أحد منكم، وقيل عذاب مهلكم قوله و أحيط بثمره (٩))) (١٠).

(١) مدخل إلى لسانيات سوسير : ١٠٤

(٢) البحث عن فردينان دو سوسير: ٦٤

(٣) ينظر بحر العلوم : ١٤٦ / ٢ .

(٤) ينظر تفسير السمعي : ٤٢٣ / ٢

(٥) ينظر تفسير المنار : ٥٢ / ١٢

(٦) تفسير التبيان : ٨٩ / ٤

(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية : ٦٨٥٥ / ١١

(٨) ينظر مفاتيح الغيب : ٣٨٤ / ١٨

(٩) يعني قوله تعالى : { وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أُنْفِقَ فِيهَا وَهِيَ خَاطِبَةٌ عَلَى غُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا إِلَهِي لِمَ أَشْرَكَ بِرَبِّي أَحَدًا } سورة الكهف : ٤٢ .

(١٠) أنوار التنزيل : ١٤٤ / ٣ .

ومما قيل في دلالة (كبير) صفة لليوم في الآية الرابعة: إنه كبير لكبر الأمور التي فيه (١)، وذهب القرطبي أن هذا اليوم وُصف بالكبير لما فيه من الأهوال (٢).

ويوضح المخطط الآتي الآيات المباركة على محوري التركيب والاقتران:

محور اقتراني

أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ

وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ

تتفق معظم آراء المفسرين – كما مر – أن الألفاظ الأربعة التي وصفت اليوم في الآيات الكريمة هي لموصوف واحد وهو يوم القيامة ، لكن منهجية البحث القائمة على مفهوم القيمة تقتضي أن يكون هناك تباين دلالي نشأ عن تباين الألفاظ ؛ لأن ((المعنى اللغوي يختلف نتيجة لنوع الوحدات الداخلة في التراكيب ولمواقعها باختلاف البنيات التشكيلية والمواقع الوظيفية يتبعه اختلاف دلالي وفقا لحالات الاستعمال)). (٣)

وبالرجوع إلى الآيات المصاحبة للآيات (إنموذج المبحث) تكشففت للباحث القيم اللغوية الآتية:

(١) ينظر النكت والعيون : ٤٥٧ / ٢

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٩

(٣) عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني: ٢٣١

١- إن الآية المباركة التي ذكرت قوم نوح عليه السلام وذيلت بـ(أليم) كانت تتوافق مع الألم النفسي الذي سببه قومه له المتمثل بـ

أ - اتَّهَمَ المَلَأَ نوحاً بأنَّه ليسَ نبيّاً، وأنَّه بَشَرٌ مثْلهم.

ب - أن الذين اتبعوه هم أراذل الناس، و((الرذيل هو الرديء من كل شيء)) (١) وقد حكى ذلك الله تعالى بقوله: {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} (٢)

ج- السخرية والاستهزاء به، قال تعالى: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} (٣)

د- اتهامه بالجنون، فيروى ((أن نوحا عليه السلام كان يجيئه الرجل من قومه بابنه فيقول: احذر هذا الرجل فإن أبي حذرنى إياه ويقول له إنه مجنون.)) (٤)

هـ - مقابلة دعوته إلى عبادة الحق سبحانه بأشد الأفعال إيلا ما بما وصفه الله تعالى: {وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا} (٥) حَيْثُ كَانُوا يَجْعَلُونَ ((أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ لِئَلَّا يَسْمَعُوا الْحُجَّةَ وَالْبَيِّنَةَ... وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ أَيْ تَغَطَّوْا بِهَا، إِمَّا لِأَجْلِ أَنْ لَا يُبْصِرُوا وَجْهَهُ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُجَوِّزُوا أَنْ يَسْمَعُوا كَلَامَهُ، وَلَا أَنْ يَرَوْا وَجْهَهُ)) (٦).

٢- إن الآية المباركة التي جاء الوصف بها بـ (عظيم) كانت تحكي حال قوم عاد،

(١) لسان العرب ٢٨٠/١١

(٢) سورة هود: ٢٧

(٣) السورة نفسها : ٣٨

(٤) المحرر الوجيز: ٣٧٣/٥

(٥) سورة نوح: ٧

(٦) مفاتيح الغيب : ٦٥١/٣٠

ويخال الباحث أن ذلك كان لمجموعة من القيم منها :

أ- أن العظيم هو من قولهم عظم الشيء عظما إذا كبر فهو عظيم، وهذا

الوصف يتوافق مع سمات انماز بها هؤلاء القوم ، منها :

أ- أنهم بلغوا حدا عظيما من السطوة والتمكن ، قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ } { إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ } { الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ } (١) أي ((ذَاتُ أَنْبِيَةٍ مَرْفُوعَةٍ عَلَى الْعُمْدِ وَكَانُوا يُعَالِجُونَ الْأَعْمَدَةَ فَيَنْصِبُونَهَا وَيَنْتُونَ فَوْقَهَا الْقُصُورَ ، قَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِهِمْ : { أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ } (٢) أي عَلامَةً وَبِنَاءٍ رَفِيعًا ... فَلَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا أَيْ مِثْلُ عَادٍ فِي الْبِلَادِ فِي عِظَمِ الْجُنَّةِ وَشِدَّةِ الْقُوَّةِ)) (٣)

أ- أنهم كانوا أصحاب ((جثث طوال عظام)) (٤)، وقد وصفهم القرآن الكريم بقوله: { تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ } (٥)،

ب- أن الله اختار لهلاكهم ((ريحا عظيمة، من قوتها وشدتها، لها صوت مزعج، كالرعد القاصف)) (٦)

ت- أن مدة نزول البلاء والعقاب كانت مما يتناسب مع ما مر من طغيانهم وتماديهم في قوتهم ، قال تعالى: { وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ } { سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ } (٧)، فالعذاب اتصل كل هذه المدة من دون انقطاع حتى أهلكهم جميعا (٨).

(١) سورة الفجر: ٦-٨

(٢) سورة الشعراء: ١٢٨

(٣) مفاتيح الغيب : ١٥٣/٣١

(٤) الكشاف : ٤٣٦/٤

(٥) سورة القمر : ٢٠

(٦) تفسير السعدي : ٧٤٦

(٧) سورة الفجر : ٦-٧

(٨) ينظر النكت والعيون : ٧٧/٦

٣- عبر عن الوصف في الآية الثالثة بأنه (محيط) وهو يتوافق مع ما اتصف به قوم شعيب (عليه السلام) فقد كانوا ينقصون في الكيل والوزن (١)، وهو أمر يحدث بلحظة غفلة فقد ((يحاول بائع أن يستغل غفلة المشتري فيزيد من ثقل الميزان بإصبعه ويحاول المشتري أن يستغل غفلة البائع بأن يرفع كفة الميزان بإصبعه من غير أن يراه البائع، فيأخذ غير حقه))، فجاء اللفظ (محيط) لينبه على أن ما كنتم تحسبوه سرا سيكشف في يوم يحيط بكل الخفايا؛ لأن ((من أحرز شيئاً كله، وبلغ علمه أقصاه فقد أحاط به)) (٢)، والمحيط العالم بالاشياء من جميع وجوها (٣).

(١) ينظر بحر العلوم: ٥٦٦/٢

(٢) العين: ٢٧٧/٣ حوط

(٣) الفروق اللغوية: ٩٤/١

استبدال الألفاظ المتشابهة دلاليًا :

لقد ذكر بعضهم أن ((اللغة هي القدرة على تسمية الأشياء)) (١)، وينبغي على وفق هذا المفهوم أن يكون لكل شيء اسم يختلف عن الآخر، حتى يستطيع أبناء اللغة الواحدة أن يتواصلوا من دون لبس أو غموض ، بمعنى آخر نجاح عملية التواصل .

وقد وردت في اللغة العربية ألفاظ تتشابه في المحتوى الدلالي ، ولا يمكن وصف هذا الألفاظ بأنها متطابقة الدلالة ، خاصة إذا كان القرآن الكريم هو من رسم لهذه الألفاظ قيمتها الدلالية فقد ثبت أنه ((في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد وأمسها رحماً بالمعنى المراد... ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين)) (٢).

فلا مناص إذن من القول :إن قيمة الألفاظ المتقاربة دلاليًا تختلف الواحدة عن قريبتها الأخرى ، وقد يكون السياق ما يبرز تلك القيمة ، وربما لغة المعجم وغيرهما ، المهم أن هذه الحالة اللغوية توفر قيمة، وهذا ما يلتقي مع رؤية دي سوسير الذي اعتمد في وضعه لمفهوم القيمة على التقارب أو التشابه الدلالي (٣).

والدلالة القرآنية إذن ستكون عبر تحديد الفارق الدلالي بين المعاني المتقاربة ؛لأن ((الكلمات التي تعبر عن أفكارٍ متقاربةٍ في اللغة الواحدة يحدد بعضها بعضاً)) (٤) .

والنماذج التي سيختارها الباحث ستبين مفهوم القيمة في ضوء انعكاساتها في الآيات الكريمة التي وردت بها تلك الألفاظ .

(١) دراسات في أصول اللغات العربية : ١٢٦ .

(٢) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم : ٦٦ .

(٣) النظريات اللسانية الكبرى : ١٣٣ .

(٤) علم اللغة العام : ١٣٥

الأنموذج الأول : (خاف وخشي)

قال تعالى: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} (١).

وقال عز من قائل: { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ } (٢) .

قال الخليل : ((الخشية الخوف، والفعل خشى يخشى)) (٣). ووافقه الأزهرى في التهذيب (٤) ، وابن فارس في المجمل (٥) ، على معنى :

((خشي الرجل يخشى خشية أي :خاف)) (٦).

والرؤية نفسها عند بعض المفسرين : قال أبو جعفر الطبري في معرض كلامه عن قوله تعالى : (وخشي الرحمن) يعني : ((وخاف الله حين يغيب عن أبصار الناظرين)) (٧) ، ووافقه غير واحدٍ حينما صرح بأن دلالة (خشي) في الآية المباركة هي : (خاف) (٨) .

ووفقاً لما مر من أقوال اللغويين والمفسرين فإن دلالة (الخشية) هي نفسها دلالة (الخوف) .

أما في لغة دي سوسير فإن المسألة تختلف قليلاً حينما صرح بأنه لا قيمة للكلمات إلا بتقابلها مع بعضها (٩).

-
- | | |
|-----|--|
| (١) | سورة يس : ١١ |
| (٢) | سورة الرحمن : ٤٦ |
| (٣) | العين : ٢٨٤ / ٤ |
| (٤) | ينظر تهذيب اللغة : ١٩٤ / ٧ |
| (٥) | ينظر مجمل اللغة : ٢٩٠ / ١ |
| (٦) | لسان العرب : ٢٢٨ / ١٤ |
| (٧) | جامع البيان : ٤٩٦ / ٢٠ |
| (٨) | ينظر مدارك التنزيل : ٩٧ / ٣ ، تفسير الجلالين : ٥٧٩ ، نظم الدرر : ٩٩ / ١٦ . |
| (٩) | ينظر دروس في الألسنية العامة : ١٧٧ |

وهذا يقود إلى أن لفظتي : (خاف وخشي) تحدد إحداهما الأخرى عند معرفة قيمة كل منهما على أساس ((أن قيمة الإشارة ليست مرهونة بدلالاتها فقط، بل كذلك بتقابلها مع الإشارات الأخرى في اللغة)) (١).

ويمكن أن نستشعر القيمة لـ (خاف وخشي) عبر ما تمدنا به الآيات المباركة التي تضمنت هذين اللفظين بحسب ما جاء عند بعض الدارسين لعلوم القرآن الكريم، أو بحسب رؤية الباحث لذلك. ويمكن ايجازها بالآتي :

١- إن المرتبة العليا من الخوف تقترب جداً من الخشية وذلك ما يدعو إلى تداخلهما معاً، قال أبو هلال العسكري: ((إن الخوف والخشية وإن كانا في اللغة بمعنى واحد، إلا أن بين خوف الله وخشيته في عرف أرباب القلوب فرقاً، وهو أن الخوف: تألم النفس من عقابٍ متوقع... ومراتبه متفاوتة، والمرتبة العليا منه لا تحصل إلا للقليل)) (٢).

في حين أن الخشية : ((خوف يشوبه تعظيم المخشي ، مع المعرفة به)) (٣).

٢- إن الخوف لا يكون إلا للعاقل ، قال تعالى: {فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (٤). وقال عز من قائل: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ} (٥). في حين تشمل الخشية العاقل وغير العاقل ، فمن الأول قوله تعالى شأنه:

{ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ } (٦). ومن الثاني قوله جلّ وعلا : { لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (٧). ، وهذا يفسر معنى قولهم: أن ((أصل

(١) النظرية اللغوية عند فردينان دي سوسير (بحث) : ١٢٢ .

(٢) الفروق اللغوية : ١ / ٢١٨

(٣) مقاليد العلوم : ١ / ٢٠٤

(٤) سورة البقرة : من الآية ٣٨

(٥) السورة نفسها : من الآية ١٥٥

(٦) سورة الإسراء : من الآية ٣١

(٧) سورة الحشر : ٢١

الخشية خوف من تعظيم (((١)، فالجمادات لها صلاة وتسبيح وخشية (٢)، قال تعالى: {وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ} (٣)، فكأن الجبل شعر بعظمة القرآن الكريم لاتصاله المباشر بالله تعالى ، فلو أنزل عليه لكان تصدعه خشية .

٣- إن الخشية تتناسب تناسباً طردياً مع معرفة الله ، وهذا لا يتحصل مع الخوف دائماً ، قال تعالى : {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (٤).

فَالْخَشْيَةُ ((هنا بمعنى: الإجلال والتعظيم لا الخوف)) (٥) ، وقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال ((أعلم الناس بالله أشدهم خشية وأكثرهم عبادة وأحسنهم في الله نصيحة)) (٦).

الأنموذج الثاني : (عفا ، غفر)

ورد هذان الفعلان مع ما اشتق منهما في الآيات المباركة في القرآن الكريم للدلالة على معنى التجاوز والصفح ، وهي الدلالة المشتركة بينهما، وهو ما يجعلهما ضمن الألفاظ المتقربة دلاليًا ، وهذا أمر ضرورة في فهم القيمة لأن؛ ((دلالة تعبير مُعطى لا تكشف عن نفسها إلا في علاقتها بتعابير أخرى متكافئة معها على مستوى الدلالة)) (٧). من ذلك ما جاء في قوله تعالى {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (٨)، وقوله عز من قائل : { إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } (٩).

- (١) الكليات : ١ / ٤٢٨
- (٢) ينظر معالم التنزيل : ١ / ١١١
- (٣) سورة النور : من الآية ٤١
- (٤) سورة فاطر : من الآية ٢٨
- (٥) البرهان في علوم القرآن : ١ / ٣٤١
- (٦) روح البيان : ٢ / ٣٢٢
- (٧) مدخل إلى لسانيات سوسير : ١٠٤ .
- (٨) سورة آل عمران : ١٢٩ .
- (٩) السورة نفسها : ١٥٥ .

جاء في تفسير الآية الأولى من هذا الأنموذج : أن ((لله جميع ما بين أقطار السموات والأرض ... يستر ذنوب من أحب أن يستر عليه ذنوبه من خلقه، بفضلها عليهم بالعفو والصفح))(١). وقال آخر :

أي لا يعاقب على الذنب، ولا يؤاخذهم بكل ما كسبوه من هذه الذنوب، بل يعفو عن كثير منها (٢).

وذكروا في تفسير قوله تعالى: (عفا الله ...) أي : ((تجاوز الله عن عقوبة ذنوبهم فصفح لهم عنها)) (٣) ،

وقال غيره: أي لم يعاجلهم بالعقوبة، وغفر لهم الخطيئة (٤). وهذا مذهب غير واحد من المفسرين بأن جعل أحد الفعلين يفسر الآخر وجعل لكليهما معنى التجاوز والصفح عن الذنوب (٥).

ومن الحقيقة القائلة بأن: ((كل كلمة في القرآن الكريم موضوعة في موضعها اللائق)) (٦) .

فانه لا يمكن أن تتطابق الدلالة في (غفر ، عفا)، لكن الذي كان هو أن هذين الفعلين متقاربان جدا على الخط الاقتراني لدرجة أن يحل أحدهما محل الآخر، إذا علمنا أن ((مجاورة الكلمات لبعضها البعض على المستوى الترابطي ناتج عن عملية ذهنية تجعل كل كلمة تتقاطع مع فئات متعددة متماثلة)) (٧).

وقد يكون هذا المعنى نفسه الذي جاء به العسكري فقال: ((لما تقارب معناهما

(١) جامع البيان: ٢٠٣/ ٧

(٢) ينظر التفسير الوسيط للطنطاوي : ٢٥٧ / ٢.

(٣) جامع البيان: ٣٢٧ / ٧.

(٤) ينظر النكت والعيون : ٤٣١ / ١

(٥) ينظر مدارك التنزيل: ٣٠٤ / ١ ، التسهيل لعلوم التنزيل ، تفسير ابن كثير : ١٢٨ / ٢

(٦) تفسير المنار : ١١ / ٢.

(٧) مدخل إلى لسانيات سوسير : ١١٠.

تداخلا واستعملا في صفات الله جل اسمه على وجه واحد فيقال عفا الله عنه ،
وغفر له بمعنى واحد ((١)).

وعليه صار من الضرورة أن نفرق في دلالة (غفر وعفا) لوجود الفرق التمايزي
بينهما، الذي يوجب أن تختلف قيمة كل منهما وفق ما يرى دي سوسير (٢).

وانطلاقاً من هذه الأسس والقواعد يمكن ايجاز القيمة لهذين اللفظين بالآتي :

١- المغفرة خالصة لله جل وعلا ((لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على
العقوبة)) (٣).

قال سبحانه وتعالى يؤيد هذا المعنى : {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا
وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (٤) ، في حين أن العفو يكون لله و لغيره، قال عنترة العبسي : (٥)

يخبرك من شهد الواقعة أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم .

٢- العفو هو ((التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه)) (٦)

وأصل ذلك من قولهم : ((عفت الرياح الرسوم أي: محتها ودرستها)) (٧).

وكان حق المذنب أن يعاقب على ذنبه ، لكن الله بلطفه محا أثر ذلك الذنب
بالعفو (٨)، أما المغفرة فهي أن ((يستر الله الجرم صوناً له من عذاب التخجيل

(١) الفروق اللغوية : ٢٣٦ / ١

(٢) ينظر النظرية اللغوية عند فرديناند دي سوسير (بحث) : ١٢٣

(٣) الكشف : ٢٦٥ / ٣

(٤) سورة آل عمران : ١٣٥

(٥) البيت من الكامل وهو في ديوانه : ٢٠٩

(٦) النهاية في غريب الحديث و الأثر : ٢٦٥ / ٣

(٧) الزاهر في غريب الألفاظ : ٧١

(٨) ينظر روائع التفسير : ٦٤٤ / ٢

والفضيحة ((،(١) وأصلها من الغفر وهو ((الستر والتغطية وغفر الله ذنوبه سترها ولم يفضحه على رؤوس الملأ وكل شيء سترته فقد غفرته (((٢).

٣- في القرآن الكريم سأل الأنبياء (عليهم السلام) الله جل وعلا المغفرة ولم يسألوه العفو لضمان رضاه سبحانه وتعالى مع الأولى، وقد لا يتحقق مع الثانية، قال تعالى على لسان آدم وحواء (عليهما السلام) : { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (٣). ومثله على لسان نوح (عليه السلام) في قوله عز من قائل : { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا } (٤) وجاء المعنى نفسه على لسان أنبيائه : إبراهيم (٥)، وموسى (٦)، وسليمان (٧). (عليهم السلام).

في حين أن العفو قد لا يكون معه رضا الله سبحانه وتعالى، قال عز من قائل ذاماً بني إسرائيل على الكبائر التي اقترفوها : { يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا } (٨) .

ومما تجدر الإشارة إليه في استبدال الألفاظ المتشابهة دلالياً أن هذه الألفاظ متقاربة جداً على الخط الاقتراني لو أردنا تمثيلها بالرسم البياني فكلمة (خاف) قريبة جداً من كلمة (خشي)، والأمر نفسه ينطبق على (غفر، عفا)، وهذا التقارب يخلق شيء من تداخل المعاني لتكون القيمة لأي منهما توضح دلالة الآخر.

(١) غرائب القرآن: ٩٥ / ٢

(٢) تهذيب اللغة : ١١٢ / ٨

(٣) سورة الأعراف: ٢٣

(٤) سورة نوح : ٢٨

(٥) سورة إبراهيم : ٤١

(٦) سورة الأعراف : ١٥١

(٧) سورة ص: ٣٥

(٨) سورة النساء : ١٥٣

استبدال المتقابل

التقابل يعني المواجهة بين شيئين، يقال قَبْلَ نقيض بعد ... والمقابلة المواجهة والتقابل مثله (١).

ومنه عُرف اصطلاحاً بأنه: ((كل كلمتين تحمل إحداها عكس المعنى الذي تحمله الأخرى)) (٢).

وفي القرآن الكريم وردت بعض الألفاظ المتقابلة التي فسرها بعض المفسرين أنها بمعنى ضدها ، ومن الأمثلة على ذلك :

النموذج الأول : قال تعالى {وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} (٣).

إن كلمة (وراء) تعني خلاف (قدام) (٤)، والوراء الخلف (٥). وهذا الأصل في دلالة هذه الكلمة ، ومما جاء في القرآن الكريم على ذلك الأصل قوله عز من قائل: {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ} (٦).

على معنى: ((من خلفك وخلف من يدخل في صلاتك)) (٧).

لكن القرآن الكريم خرج على هذا القياس في بعض آياته المتعلقة بلفظة (وراء)، كما أشار إلى ذلك مجموعة من المفسرين ، والآية المذكورة في أعلاه تدل على هذا القول .

(١) ينظر الصحاح تاج اللغة : ١٧٩٧ / ٥ .

(٢) ظاهرة التقابل في اللغة (رسالة ماجستير) : ٥٠ .

(٣) سورة الكهف : من الآية ٧٩ .

(٤) ينظر العين : ٣٠٠ / ٨ .

(٥) ينظر جمهرة اللغة : ٢٣٦ / ١ .

(٦) سورة النساء : من الآية ١٠٢ .

(٧) ينظر الدر المنثور : ٦٦٦ / ٢ .

جاء في تفسير لفظة ورائهم في الآية المباركة : أنها بمعنى أمامهم (١).

ويعضد القرطبي (٢) هذا الرأي بقراءة ابن عباس وابن جبير: ((وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا)) (٣).

لأن الملك ((لو كان ورائهم لكانوا قد جاوزوه ولكنه كان بين أيديهم)) (٤).
وعلة ذلك المعنى ((أن كل ما غاب عنك فقد توارى عنك وأنت متوارٍ عنه فلم يبعد إطلاق لفظ وراء عليه)) (٥).

والعرب تعرف هذا المذهب في القول وعليه جاء قول الشاعر : (٦)

أَيْرَجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْقَلَاءُ وَرَائِي؟

أي قدامي (٧)، وقول الآخر : (٨)

أَلَيْسَ وَرَائِي، إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي، لَزُومُ الْعَصَا تُخْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ

بمعنى أمامي (٩) .

وإذا نظرنا إلى الكلمات المتقابلة وفق ما جاء به دي سوسير ، فإن مثل هذه الألفاظ إنما دلت على ما يقابلها لأنها في الحقيقة استبدلت في المحور الاقتراني ، لما تَبَيَّنَ أن: ((في العلاقات الاستبدالية تدخل الوجد اللغوية عبر المقارنة أو

(١) ينظر الكشف: ٧٤٠ / ٢ ، التفسير الكبير : ٩٤٠ / ٢١ ، زاد المسير: ١٠٢ / ٣

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن : ٣٤ / ١١ .

(٣) ينظر نزول القرآن على سبعة أحرف : ٦٢ / ١

(٤) التفسير الوسيط للواحيدي : ١٦١ / ٣ .

(٥) مفاتيح الغيب : ٤٩٠ / ٢١ .

(٦) البيت من الطويل، وهو لسوار بن المضرب كما في لسان العرب ٣٩٠ / ١٥ (وري)؛ وتاج

العروس : ١٩٣ / ٤٠ (وري)؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة : ٢٣٦ / ١ .

(٧) ينظر جامع البيان : ٣٨ / ١٨

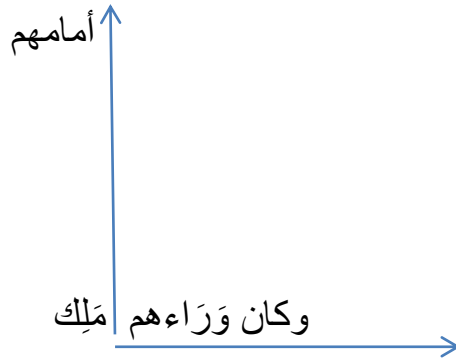
(٨) البيت من الطويل، وهو للشاعر لبيد العامري ، كما في ديوانه : ١٧٠

(٩) ينظر معاني القرآن للزجاج : ٣٠٥ / ٣

التعويض في ظرف خاص مع وحدات مشابهة أخرى (((١) .

وإذا تأملنا في لفظي (وراء ، أمام) نجد انهما يقعان على طرفي المحور الاقتراني إذ يمثل كل منهما طرفاً نقيضاً للآخر، كطرفي الأبيض والأسود في مقولة الألوان .

ويمكن بيان تلك العلاقة على محوري التركيب والاقتران



فكأن هذين اللفظين (وراء ، أمام) قد استوعبا كل الحظ ، والاستبدال هنا يعطي مساحة دلالية واسعة شمل المحور الاقتراني كله ، وعلى هذا المعنى جاء قول الرازي : ((إن كل ما غاب عنك فقد توارى عنك وأنت متوارٍ عنه فكل ما غاب عنك فهو وراءك وأمام الشيء وقدامه إذا كان متوارياً عنه فلم يبعد إطلاق لفظ وراء عليه (((٢) .

(١) علم الدلالة(بالمر): ٨٧

(٢) مفاتيح الغيب : ٢١ / ٤٩١

الأنموذج الثاني :

قال تعالى : {مَنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (١) ، يعني أمامهم جهنم (٢)، وهو ما روي عن ابن عباس (٣)، على تأويل: ((أن الانسان كأنه من عمره يسير إلى جنة أو نار فهما أمامه)) (٤).

ويمكن توجيه الآية المباركة على ما وجهت به سابقتها من سورة الكهف ، بمعنى أن ذلك كان استبدالاً متقابلاً استوعب الجهة كلها لأن: ((الوراء اسم للجهة التي يوارىها الشخص من خلف أو قدام)) (٥).

وقد ثبت في نظرية سوسير اللغوية أن ((قيمة العنصر اللغوي لا تحددها الدلالة بقدر ما تحددها مكانة العنصر في النسق اللغوي)) (٦).

إن الإنموذجين اللذين تقدم ذكرهما ،وبلحاظ الآراء التي قيلت في دلالتها يمكن أن يرفدا الباحث بالنتائج الآتية :

١- إن القيمة في الاستبدال المتقابل تشمل المحور الاقتراضي كله بوصفه تقابلاً بين طرفي المحور .

٢- إن القيمة في الاستبدال المتقابل هي دلالة قياسية مع دلالات أخرى،

-
- (١) سورة الجاثية : ١٠ .
 - (٢) ينظر بحر العلوم : ٣ / ٢٧٦ ، الهداية إلى بلوغ النهاية : ١٠ / ٦٧٧٣ ، النكت والعيون : ٣ / ٣٣٢ .
 - (٣) ينظر التفسير الوسيط للواحي : ٤ / ٩٥ .
 - (٤) المحرر الوجيز : ٥ / ٨١ .
 - (٥) مدارك التنزيل : ٣ / ٢٩٩ .
 - (٦) النظرية اللغوية عند فردينان دي سوسير (بحث) : ١٢٤ .

كدلالة الضد، والدلالات التي بينهما ، بمعنى أن لفظة(وراء) انتجت دلالة (الخلف) وهي الدلالة القياسية ، ودلالة(الأمام)وهي دلالة الضد ، ودلالة الجهات التي بين الوراء والأمام ،وقد ذكر الباحث من الآراء ما يؤيد كل تلك الدلالات.

الاستبدال الزمني للفعل:

جاء في معجم الصحاح أن ((الزمن والزمان اسمٌ لقليل الوقت وكثيره ،
ويجمع على أزمان وأزمنة وأزمن)) (١).

في حين أن النحويين عرفوا الفعل وقسموه بقولهم : ((وأما الفعل فأمثلة أخذت
من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع ولما هو كائن لم
ينقطع)) (٢).

وهم في هذا التعريف قد قسموه على ثلاثة أزمنة ((ماضٍ، ومستقبل، وكائن في
وقت النطق، وهو الزمان الذي يقال عليه الآن ،الفاصل بين ما مضى ويمضي
(((٣). ويمثل النحويون لذلك بقولهم : ((صلى زيدٌ ، يدل على أن الصلاة
كانت فيما مضى من الزمان ، والحاضر نحو قولك : يصلي يدل على الصلاة
وعلى الوقت الحاضر ، والمستقبل نحو : سيصلي ، يدل على الصلاة وعلى أن
ذلك يكون فيما يستقبل)) (٤).

ويمكن التمثيل لخط التتابع الزمني للأفعال بالآتي :

ماضٍ ← حاضر ← مستقبل .

هذا هو القياس في استعمال الأفعال في دلالتها على الزمان ، لكن النظم القرآني
بأسلوبه الرائق خرج في بعض المواطن على هذا القياس ، فاستعمل بعض
الأفعال على خلاف ما مر من تمثيل النحويين ويستشهد الباحث لذلك:

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ٥ / ٢١٣١ .

(٢) الكتاب : ١٢ / ١ .

(٣) شرح السيرافي : ١ / ٥٧ .

(٤) الأصول في النحو : ١ / ٣٨ .

الأنموذج الأول :-

قال تعالى : {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ

مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } (١).

ذكر الزمخشري أن دلالة الفعل (تقتلون) هي (قتلتم) (٢)، و وافقه الرازي (٣) ، وابن كثير (٤) ، و السيوطي (٥).

و ما دعا المفسرون إلى استبدال دلالة الفعل المضارع بالماضي ، لما يحمله صدر الآية المباركة من دلالة على أن الزمان هو زمان تمرد اليهود على أنبياء الله ومحاربتهم، ومنهم موسى وعيسى (عليهما السلام) (٦).

يفهم من آراء المفسرين في أعلاه أن هناك استبدالاً بين زمني الماضي والحاضر ، وهما زمان مختلفان .

يلتقي هذا الرأي مع ماهية القيمة عند دي سوسير الذي يرى أن أحد معايير تحديد قيمة كلمة ما هي أن نستبدلها بشيء مغاير ، (٧)

وعلى خط التتابع الزمني للفعل يمكن أن يتضح ذلك الاستبدال :

(١) سورة البقرة : ٨٧ .

(٢) ينظر الكشف: ١ / ١٦٢ .

(٣) ينظر مفاتيح الغيب : ٣ / ١ .

(٤) ينظر تفسير ابن كثير : ١ / ٢١٥ .

(٥) ينظر البرهان في علوم القرآن : ١ / ٢٦٧ .

(٦) ينظر معالم التنزيل: ١ / ١٢٠ .

(٧) ينظر مدخل إلى لسانيات سوسير : ٨٧ .

ماض ← قتلتم ← حال ← تقتلون ←

← القيمة ←

والقيمة ستكون باتجاه الحاضر المستعمل في الآية المباركة (تقتلون).

وعموماً يمكن القول : إنه في التراكيب التي يحدث فيها استبدال في صيغة الفعل كما في الآية الكريمة ومثيلاتها من التراكيب، فإن التركيب سيفرز صيغتين للفعل :

الاولى :- صيغة الفعل الوارد في التركيب ، والزمن فيها هو الذي تدل عليه الصيغة نفسها ، وهو ذلك الزمن الذي سماه الدكتور تمام حسان الزمن الصرفي ، (١) ومصادقه في الآية الكريمة صيغة الفعل (تقتلون) .

الثانية :- صيغة الفعل التي يفرزها السياق والزمن فيها يخالف الصيغة الواردة في التركيب، وهي التي سميت بـ(الزمن النحوي)(٢)، ومثالها في هذا الأنموذج صيغة الفعل (قتلتم) التي ذكرها المفسرون .

أما القيمة في اجتماع هذين الزمنين فإنها ستقوم على الزمن الصرفي أكثر منها في الزمن النحوي ؛ لأن الذي أحدث الاستبدال أراد أن ينبه إلى هذه القيمة ، التي قد لا تكون مع القياس اللغوي في استعمال الأفعال ، أي أن القيمة هي قرينة الاستبدال وملازمته ، وفي الآية المباركة يمكن الوقوف على بعض القيم اللغوية لاستبدال صيغة الفعل وهي :

١ - إن قتلهم الانبياء أمرٌ (فضيعَ فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب)(٣).

٢ - إنكم مازلتم - يعني اليهود - على تلك النية من قتل الأنبياء لأنكم حاولتم قتل

(١) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٧/١ .

(٢) المصدر نفسه : ١ / ٢٤١ .

(٣) الكشف : ١ / ١٦٢ .

النبي محمد (ﷺ) بالسحر و بالسم (١).

٣- ((نُسب القتل إليهم مع أن القاتل أبأؤهم لرضاهم به ولحوق مذمته بهم ((٢)).

جاء اللفظ في الآية المباركة بصيغة الحاضر لإحضار صورة الفعل أمام السامع حتى وكأنه يشاهده (٣).

٤- يمكن التعبير عن الماضي ((بالحاضر وهو استعمال شائع في الحكاية حيث يسمى بالحاضر التاريخي، وفيه يجد المثقفون سحراً خاصاً يقولون بأن الحاضر أكثر تعبيراً أو أبلغ وصفاً ليجعل المنظر يحيا من جديد أمام عيني القارئ ويرجع بفكرنا إلى اللحظة التي دار فيها الحدث (((٤).

الأنموذج الثاني :-

قال تعالى {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} (٥).

جاء في تفسير ابن عطية أن: (كان) في الآية المباركة لم تأتِ على أصل وضعها في الماضي والانقطاع، بل أنها بمعنى المستقبل الذي سيكون (٦).

ووافقه الرازي في تفسيره (٧)، والسبيوطي (٨)، و أبو الفداء (٩)، والمظهري (١٠)،

(١) ينظر مفاتيح الغيب ٣ / ٥٩٧ .

(٢) روح المعاني: ٣١٨ / ١ .

(٣) من بلاغة القرآن : ٨٩ / ١ .

(٤) اللغة : ١ / ١٣٧ .

(٥) سورة الانسان : ٧ .

(٦) ينظر المحرر الوجيز : ٥٣١ / ١ .

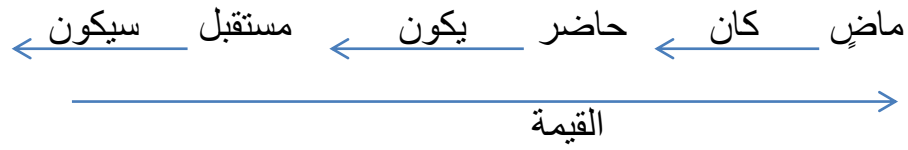
(٧) ينظر مفاتيح الغيب : ٧٤٦ / ٣٠ .

(٨) ينظر البرهان في علوم القرآن : ١٢٧ / ٤ .

(٩) ينظر روح البيان : ٢٤١ / ٥ .

(١٠) ينظر تفسير المظهري : ٣٩٦ / ٦ .

و الشوكاني (١)، وعندئذ فان خط التتابع الزمني للفعل سيكون :



والقيمة ستكون باتجاه الماضي المستعمل في الآية المباركة (كان) ؛ لأن في الآية المباركة زمنين اثنين- كما مر - أحدهما الزمن الصرفي ،والآخر الزمن النحوي ومصادقهما في الآية المباركة (كان ، سيكون)، والقيمة ستكون في صيغة الزمن المستعمل فيها (الزمن الصرفي).

وقد قيل في علة ذلك الاستعمال أقوالاً منها :

١- للدلالة على ثبوت الأمر ؛ لأن صيغة الماضي متحققة الوقوع (٢).

٢- أكثر ألفاظ القيامة جاء على الماضي لصحة وقوعها وصدق المخبر بها(٣).

وهذه المرونة والطواعية في استعمال صيغة الفعل هي التي التفت إليها المحدثون وقرؤا أنه :((لا تتقيد أشكال الزمن الماضي بالإشارة إلى الأحداث الماضية ؛ لأن لها استخدامات أخرى)) (٤).

(١) ينظر فتح القدير : ٢٤٢ / ١ .

(٢) ينظر المحرر الوجيز : ٥٣١ / ١ .

(٣) ينظر غرائب التفسير : ٥٩٩ / ١ .

(٤) أساسيات اللغة : ٦٧ .

الاستبدال في التضمين النحوي :

التضمين : مصطلحٌ نحوي ذكره القدماء و وقفوا عنده، جاء في خصائص ابن جني قوله : ((اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف واحد والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيداناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر)) (١).

أي أن هناك تجوزاً في العمل مما يسوغ استعمال الأفعال على غير قياسها، وتعبير ابن هشام ((قد يشربون لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه ويسمى تضميناً)) (٢). يوحى بأن التضمين خروج على القاعدة وموارده قليلة بلحاظ استعمال حرف التقليل (قد) في القول آنف الذكر. بمعنى أن التضمين : ((ليس بقياس و لا يصار إليه إلا عند الضرورة)) (٣).

والغاية اللغوية من هذا الفن الكلامي ، هي لشحن الكلمة بمعنيين ، معنى مجازي، وآخر حقيقي ،ولولا النكات اللغوية المتحصلة في مثل تلك الخروقات المباحة لما لجأ العرب إلى استعمالها ، فهم يعللون ذلك بأن ((الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن تطريةً لنشاط السامع ، وإيقاظاً للأصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحدٍ وقد تختص مواقعهُ بفوائد)) (٤).

ما يهم في هذا المبحث هو أن التضمين يقوم على مبدأ الاستبدال الذي ينتج عنه قيمة لغوية سواء كان استبدال فعلٍ أم حرف .

والتضمين حالة لغوية صحيحة إذ تتسع الوحدات اللغوية اتساعاً دلالياً ، ينشأ عنه وفرة من المعاني التي تزيد من روعة اللغة وطواعيتها للاستيعاب الدلالي . ومما ذُكرَ أنه جاء على التضمين في القرآن الكريم قوله تعالى :

(١) الخصائص : ٣١٠ / ٢ .

(٢) مغني اللبيب : ٨٩٧ .

(٣) البحر المحيط : ٥١٣ / ٤ .

(٤) الكشف : ١٤ / ١ .

الأنموذج الأول :

قوله تعالى : { وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا } (١).

ذكر بعض المفسرين أن الفعل (تأكلوا) قد ضمن معنى فعل آخر هو (تخلطوا)، أي: لا تخلطوها مع أموالكم، (٢) وقيل ضمن معنى (تضيفوا)، (٣) أو (تضموا)، (٤) ومنهم من جعل الدلالة يكتمل في فعلين أي: ((لا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم في الأكل)) (٥).

إن اختيار النص القرآني للفظ (تأكلوا) هو اختيار يمثل - من دون شك - قيمة لغوية لا نجدها في باقي المفردات التي تقاربها دلاليًا ، وقد وقف المفسرون على المعاني اللغوية المتحصلة من هذا الاستعمال البياني، وبينوا بعضا من نكاته الدلالية ، التي اقتبس منها الباحث شيئا ، وأوجزه بالآتي :

١- الجمع بين دالتين ، الأولى دلالة الفعل المذكور في الآية المباركة (تأكلوا) والثانية الدلالة التي افترضها المفسرون (تضموا ، تخلطوا ، ...) ، والمعنى هو حاصل الجمع بينهما ، أي: لا تخلطوها بأموالكم فتأكلوها جميعاً (٦).

٢- كأنه لم يتح لهم أن يأكلوها مفردة ، وقد ذكر الأكل وأراد النفقة ؛ لأن أكثر النفقة وأشهرها فيما يؤكل . (٧)

-
- (١) سورة النساء : ٢ .
 - (٢) ينظر جامع البيان : ٥٢٨ / ، والهداية إلى بلوغ النهاية : ١٢١٦ / ٢ ، النكت والعيون : ٤٤٨ / ١
 - (٣) ينظر معاني القرآن للزجاج : ٧ / ٢ .
 - (٤) ينظر الكشاف : ٧١٧ / ٢ ، مفاتيح الغيب : ٢٣٣ / ٨ .
 - (٥) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٥
 - (٦) ينظر التفسير الوسيط للواحي : ٧ / ٢ .
 - (٧) ينظر الوجوه والنظائر : ١١٥ .

الأنموذج الثاني :

قال تعالى : {وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} (١).

إن التأمل في الفعل (يكفروه) الوارد في الآية المباركة يجده أشبه بالمنبه على موقعية الاستبدال فيها ، بمعنى آخر أنه ضمن معنى فعلٍ آخر يدرك معناه من سياق الآية نفسها ، لاسيما وأنه خالف القياس اللغوي، وذلك أن الفعل (كفر) : ((يتعدى إلى واحدٍ يقال كفر النعمة)) (٢).

أما في الآية المباركة فقد تعدى إلى اثنين الأول : نائب الفاعل والثاني : هاء يكفروه (٣) ، وسبب تعديته إلى اثنين لأنه ضمن معنى الحرمان فكأنه قال : فلن تحرموه ولن تمنعوا جزاءه (٤).

إن عملية إدراك المعنى عبر المقابلة بين كلمات النص وكلمات آخرتتنمي إلى البيئة اللغوية نفسها هي ركيزة مهمة من ركائز لسانيات سوسير ، إذ يؤكد أن الكلمة مسرحٌ مفتوح لألعاب التأويل المتواصلة، فكل كلمة يمكن أن تقابل بعدد من الكلمات بحسب المعاني التي يريدها منشئ اللغة (٥). ووفقاً لذلك فإن كلمة (يكفروه) في الآية المباركة يمكن أن تحمل أكثر من قيمةٍ منها :

١ - أن التعبير عن المعنى بغير لفظه الدال عليه في العرف اللغوي ، يكسب التركيب أكثر من بعد دلالي - لاسيما وأن منشئ اللغة حكيم - فحُمِلَ لفظ (يكفروه) الوارد في الآية المباركة معنى (لن تجحدوه) (٦) .

(١) سورة آل عمران : ١١٥

(٢) البحر المحيط : ٣ / ٣١٣ .

(٣) التضمين النحوي في القرآن الكريم : ١ / ١٩٢ .

(٤) التفسير الكبير : ٨ / ٣٣٥ .

(٥) ينظر فهم فرديناند دو سوسير : ٩٥ - ٩٦ .

(٦) ينظر بحر العلوم : ١ / ٢٤٠ .

وقيل على معنى : لن تعدموا ثوابه ،(١) لن تحرموا جزاءه (٢) ...)

٢ - استعمل القرآن الكريم لفظ (يكفروه) ليجمع بين المعنى ، اللغوي والمعنى الاصطلاحي من جهة ،ولينبه على ما ينبغي أن يكون الناس عليه من جهة أخرى .

فالمعنى اللغوي للكفر: ((هو الستر والتغطية يقال لمن غطى درعه بثوبٍ قد كفر درعه))(٣). وصار منع الجزاء كفراً ؛لأنه بمنزلة الجحد والستر (٤). فكما أن الله لا يغطي على ما فعلوا من خير فيتركوا بغير مجازاة ،فكان الأولى أن لا يستر الناس نعم الله التي لا تحصى؛ لأنه بمنزلة الكفر (٥). وهذا المعنى لا يتحقق مع المقاربات الدلالية التي استعملها المفسرون .

(١) ينظر تفسير الوسيط للواحي : ١ / ٤٨١

(٢) ينظر الكشف : ١ / ٤٠٣ .

(٣) مقاييس اللغة : ٥ / ١٩١ .

(٤) ينظر مفاتيح الغيب : ٨ / ٣٣٥ .

(٥) ينظر اللباب في علوم الكتاب : ٥ / ٤٨٢ .

الاستبدال المجازي :

المجاز كما عرفه البلاغيون هو: ((نقل اللفظ من شيء إلى آخر لعلاقة بينهما))(١).

ولا يختلف هذا المعنى كثيراً عن تعريف المحدثين له إذ عرفوه بأنه: التجوز باستعمال الألفاظ، ونقلها من مجال أصل وضعها في اللغة إلى غيره لمناسبة بينهما (٢).

ويؤكد عبد القاهر الجرجاني على مسألة في غاية الأهمية فيما يتعلق باستعمال المجاز، وهي أن اللفظ يستبدل بغير ما وضع له لبيان المبالغة ، أي أن اللفظ لا يستبدل حتى يُنقل معناه إلى اللفظ الجديد . (٣)

وهذه المقدمة الموجزة تفرز لنا ثلاث ركائز يقوم عليها المجاز يمكن توظيفها في هذا المبحث هي :-

١- ألفاظ لها معانٍ في أصل وضعها في اللغة .

٢- استبدال هذه الألفاظ بألفاظ آخر لجامع بين معنيهما .

٣- ظهور قيمة لغوية جديدة التي هي غاية هذه التحولات اللغوية ، لاسيما أن هناك تعدداً دلالياً وانفتاحاً في رؤية المعنى ، طالما أن الألفاظ استعملت في غير ما وضعت له، ولبيان ذلك سيتوقف الباحث عند أنموذجين من كتاب الله الكريم وهما :

الأنموذج الأول :

قال تعالى : {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا} (٤) سيعمد الباحث إلى بيان قيمة الاستبدال المجازي في التركيب:

(١) الطراز لأسرار البلاغة: ٤٤ / ١ .

(٢) ينظر جماليات الأسلوب : ٤٢ .

(٣) ينظر دلائل الإعجاز : ٤٣٢ / ١ .

(٤) سورة مريم : ٤ .

(واشتعل الرأسُ شيباً) .

بالرجوع إلى الركائز المستقاة من معاني المجاز ومعطياته أنفة الذكر ، فإن لهذا التركيب أصلاً لغوياً هو : شابَ رأسي كله وابيض رأسي (١).

وقد بين علماء البلاغة أن هناك جملة من التحولات التركيبية مشفوعة بتعليلات بلاغية استوعبت أصل التركيب إلى الصورة التي وردت في الآية المباركة .

ويمكن اختصار تلك التحولات وتمثيلها بالآتي:-

شاب رأسي كله (الأصل اللغوي) ← استبدال الفعل (شاب) بالفعل (اشتعل)

ليكون التركيب أكثر بلاغة لاسيما أن المجاز

أبلغ من الحقيقة (٢). فصار التركيب :

اشتعل شيب رأسي (٣) ← استبدال آخر أسند فيه الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته، وهو الرأس لإفادة شمول الاشتعال له ؛ لأن فيه الإجمال والتفصيل ، وتنكير لفظ (شيباً) لإفادة المبالغة (٤) فصار التركيب :

اشتعل رأسي شيباً (٥) ← استبدال (رأسي) بـ (الرأس) وقيام الألف واللام في «الرأس» قاما مقام المضاف إليه، فصار التركيب: اشتعل الرأس شيباً (٦)

أما القيم اللغوية التي ظهرت عبر الاستبدال فيمكن إيجازها بالآتي:-

- (١) ينظر دلائل الإعجاز : ١ / ٤٢٧ .
- (٢) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة : ٣ / ١٩٠
- (٣) ينظر مدارك التنزيل: ٢ / ٣٢٦ .
- (٤) ينظر مفتاح العلوم : ١ / ٢٨٦ .
- (٥) ينظر الأساليب والإطلاقات العربية : ٧٨
- (٦) ينظر مفتاح العلوم : ١ / ٢٨٦ .

١- إن ألفاظ الآية المباركة أبلغ مما قرروه من أصل وضعها ((لفضل ضياء النار على ضياء الشيب فهو إخراج الظاهر إلى ما هو أظهر منه ولأنه لا يتلافى انتشاره في الرأس كما لا يتلافى اشعال النار)) (١).

٢- أفاد الاستبدال معنى العموم والشمول ، ومثله قولك : اشعلت النار في البيت لفهم أن اشتعال النار في جانبٍ واحدٍ منه من دون بقية جوانبه ، و أما قولك: اشتعل البيت ناراً، أفاد هذا القول أن النار قد شملت البيت كله (٢).

٣- بيّن الاستبدال الأثر الذي تتركه النار في الشيء الذي تسري به وكيف تحوله إلى غير حالته الأولى ، كما يفعل الشيب في الرأس حتى يحيله إلى غير لونه الأول (٣) .

الأنموذج الثاني :-

قال تعالى : { وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ } (٤).

إن جزء الآية المباركة الذي سيكون موضع البحث في هذا المبحث هو (وفجرنا الأرض عيوناً) .

يرى جملةً من المفسرين (٥) واللغويين (٦) أن الأصل اللغوي لهذا التركيب هو :

(فجرنا عيون الأرض)، وهذا الاختلاف التركيبي بين الأصل المفترض وماعليه في النظم القرآني يستلزم تفاوتاً لغوياً لما ثُبِتَ من أن ((اللغة بوصفها نظاماً كلياً ، أو شفرة عامة - تقدم للمستعمل عدداً من البدائل التي يمكن أن تعبر كل مجموعة منها عن جوهر معنى واحدٍ أو لنقل مضمون واحد ، ولكنها تتفاوت فيما بينها في

(١) الصناعتين : ٢٧٢ .

(٢) ينظر تحرير التحيير: ٩٨ .

(٣) ينظر الجامع الكبير في صناعة المنظوم: ٨٥ .

(٤) سورة القمر: ١٢

(٥) ينظر الكشف : ٤ / ٤٣٤ ، مفاتيح الغيب : ٢٩ / ٢٩٦ ، أنوار التنزيل : ١٦٥/٥ .

(٦) ينظر أمالي ابن الحاجب : ١ / ٤٠٥ ، ارتشاف الضرب : ٤ / ١٦٢٣ ، مع الهوامع : ٣٤١/٢ .

درجة القوة التعبيرية ((١)).

وهذا المفهوم ربما يؤسس لمبدأ مفاده : أن التركيبين أنفي الذكر يقودان لمعنى واحدٍ بالنظر السطحي لهما ، أما التأمل العلمي الدقيق القائم هنا على الأدوات اللغوية الكاشفة، فإنه حتماً سيدلل على شيء من المضامين البلاغية الدلالية التي أرادها الحق سبحانه وتعالى، واختار لها ألفاظ الآية المباركة بنظمها الوارد في النص القرآني .

هناك أصلٌ تركيبى مفترض ، ونص استبدل بهذا الأصل ، والسؤال المهم هنا هو: أين نجد القيمة بين التركيبين ؟.

ويجب دي سوسير عن ذلك بقوله : إننا ((حينما ننتج المركب نفتح الباب أمام تدخل المجموع الترابطي الذي بفضلته يتشكل المركب، وهكذا تكون أمام نشاط متزامن تقوم به هاتان المجموعتان (المركبية الترابطية) على المستوى الفضائي أو الذهني وإذن فإنه لاوجود لأية وحدة لا تركز قيمتها على الترابطات)) (٢).

على معنى أن مقارنة الاقترانات (الترابطات) مع التركيب الخطي هو الذي يكسب الخطاب قيمة .

على المستوى التطبيقي فإن الافتراضات الواردة عند المفسرين ستسمح برسم القيمة النهائية للنص المبارك ، وهذه الافتراضات جاء بعضها عبر إعراب لفظة (عيوناً) في الآية المباركة، ومنها :

١- أنها تمييز منقول عن مفعول على تقدير : فجرنا عيون الأرض (٣).

٢- أنها مفعولٌ ثانٍ على تضمين معنى : صيرناها بالتفجير عيوناً (٤).

(١) الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي : ٦٤.

(٢) مدخل إلى لسانيات سوسير : ١١١

(٣) ينظر البحر المحيط: ٣٩ / ١٠

(٤) ينظر الدر المصون: ١٣٢ / ١٠ .

٣- أنها تمييز محول عن فاعل على تقدير : انفجرت عيون الأرض (١).

٤- أنها منصوبة على نزع الخافض على تقدير : فجرنا الأرض بعيون (٢).

٥- أنها بدل بعض من كل على تقدير حذف الضمير العائد أي فجرنا الأرض عيوناً منها (٣).

كل هذه التقديرات هي في الحقيقة ما يبرز القيمة للآية المباركة؛ لأن القيمة يمكن ((أن تكون بشكل مجرد المعنى الذي تتخذه عناصر نظام لغوي ما بالنسبة إلى بعضها البعض)) (٤). أو بعبارة أخرى : يمكن للقيمة أن تتكون ((من أشياء متماثلة يمكن مقارنتها بالشيء الذي نحن بصدد النظر في تحديد قيمته)) (٥).

ومن هذين الأساسين فإن القيمة اللغوية لقول الحق سبحانه: {وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا} (٦). فاقت ما افترضه المفسرون من جوانب أبرزها :-

١- تصوير الآية المباركة كأن ((الأرض عيون، وهو أبلغ من قولك: وفجرنا عيون الأرض)) (٧). وفيه من المبالغة ما لا تجده في التركيب المفترض ، فإذا قُلْتُ ضاق زيدٌ ذرعاً ، أثبت ما لا يُثبتُه قولك : ضاق ذرعُ زيدٍ (٨).

٢- أن ((التفجير للعيون في المعنى وأوقع على الأرض في اللفظ كما أسند الاشتعال إلى الرأس وقد حصل بذلك من معنى الشمول ههنا مثل الذي حصل هناك. وذلك أنه قد أفاد أن الأرض قد كانت صارت عيوناً كلها وأن الماء قد كان يفور من كل مكان منها ولو أجرى اللفظ على ظاهره فقليل: وفجرنا عيون الأرض أو العيون

(١) ينظر أنوار التنزيل: ١٦٥/ ٥ .

(٢) ينظر إعراب القرآن للزجاج : ٢٦ / ١

(٣) ينظر الدر المصون: ١٣٢ / ١٠

(٤) فهم فرديناد دو سوسور : ٢٤

(٥) دروس في الألسنية العامة : ١٧٦ .

(٦) سورة القمر : من الآية ٤ .

(٧) الكشف: ٤٣٤/ ٤

(٨) ينظر مفاتيح الغيب : ٢٩٦ / ٢٩

في الأرض ،لم يفد ذلك ولم يدل عليه ولكان المفهوم منه أن الماء قد كان فار من عيون متفرقة في الأرض وتبجس من أماكن منها (((١).

استبدال النكرة والمعرفة :

جاء في كتاب العين في بيانه حد النكرة فقال هي : ((نقيض المعرفة)) (٢). وقد أوضح سيبويه هذا التعريف بكتابه فقال : ((وأما الألف واللام فنحو: الرجل والفرس والبعير، و ما أشبه ذلك ، وإنما صار معرفة ؛ لأنك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته ، لأنك إذا قلت : مررت برجل ، فإنك إنما زعمت أنك إنما مررت بواحد ممن يقع عليه هذا الاسم لا تريد رجلاً بعينه يعرفه المخاطب)) (٣).

وفي النص القرآني وردت آيات مباركات تكاد تتشابه في المحتوى الدلالي مع فارق تركيبى هو ورود الاسم في أحدهما منكراً في حين جاء الاسم في الآية الثانية معرفة .

وهذا في تنظير دي سوسير معناه استبدال متشابه ، وهذه الوحدات الدلالية المتشابهة تضيف قيمة لغوية في التركيب الواردة فيه (٤).

ومما جاء على ذلك في القرآن الكريم :

الأنموذج الاول :

قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ} (٥).

وقال سبحانه: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } (٦)، يتضح عند مقابلة الآيتين المباركتين فيما بينهما أن لفظة (بلد)

(١) دلائل الإعجاز : ١٠٢ / ١ .

(٢) العين : ٣٥٥/٥ نكر

(٣) الكتاب : ٥/ ٢ .

(٤) ينظر علم اللغة العام : ١٣٤

(٥) سورة البقرة : من الآية : ١٢٦ .

(٦) سورة ابراهيم : ٣٥ .

جاءت في الأولى منكورة، و اقترنت بـ(ال)التعريف في الآية الثانية .

تتفق الآيتان المباركتان بمحتواها الدلالي ، إذ تحكي كل منها دعاء نبي الله إبراهيم (عليه السلام)، وطلبه من الحق سبحانه وتعالى بأن يجعل المكان الذي ترك به زوجته وابنه آمناً ، وأن يرزق أهله من الثمرات(١).

وعند مراجعة نصوص المفسرين يجد الباحث مجموعة من القيم اللغوية هي حسيطة الاستبدال المتشابه بين لفظي (البلد) و(بلد) الواردين في الآيتين المباركتين ، ويمكن ايجاز هذه القيم بالآتي :

١- إن دعائه الأول الذي جاء فيها لفظ (بلد) منكراً قد وقع ((ولم يكن المكان قد جعل بلداً فكأنه قال رب اجعل هذا الوادي بلداً آمناً))(٢)، وهو دعاء دعا به(عليه السلام) عند ترك اسماعيل وهاجر(عليهما السلام) في الوادي قبل بناء مكة و سكنى جرهم فيها(٣).

٢ - إن دعائه الثاني الذي اقترن بلفظ (البلد) معرباً جاء((وقد جعل الوادي بلداً، فكأنه قال اجعل هذا المكان الذي صيرته كما أردت ومصرته كما سألت ذا أمنٍ على من أوى إليه ولاذ به))(٤).

٣- يجوز ((أن تكون الدعوتان وقعتا بعدما صار المكان بلداً ، فقوله اجعل هذا بلداً آمناً تقديره : اجعل هذا البلد بلداً آمناً ، كقولك : كان اليوم يوماً حاراً ، وهذا إنما تذكره للمبالغة في وصفه بالحرارة ؛ لأن التأكيد يدل على المبالغة ، فقوله : رب اجعل هذا بلداً آمناً معناه اجعله من البلدان الكاملة في الأمن ، وأما قوله : رب اجعل هذا البلد آمناً فليس فيه إلا طلب الأمن لا طلب المبالغة)) (٥).

(١) ينظر تفسير السمعاني : ١٣٨/١

(٢) درة التنزيل: ١ / ٢٨٢ .

(٣) ينظر كشف المعاني: ١٠٦ .

(٤) درة التنزيل: ١ / ٢٨٣

(٥) مفاتيح الغيب : ٤٩ / ٤ .

الأنموذج الثاني :

قال تعالى : {وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا} (١).

وقوله تعالى : {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} . (٢)

تحكي الآية الأولى دعاء الحق سبحانه وتعالى ليحيى بن زكريا عليهما السلام بعد أن بشر به نبي الله زكريا وهو قائم يصلي في المحراب ، في حين تخبر الآية الثانية دعاء النبي عيسى عليه السلام لنفسه وقت جاءت به العذراء مريم إلى قومها (٣).

يُظهر التقابل اللفظي بين الآيتين المباركتين ، أنهما متشابهتان من حيث المحتوى الدلالي باستثناء الدعاء للغائب وتنكير لفظ (سلام) في الآية الأولى، ودعاء للمتكلم لنفسه وتعريف (السلام) في الآية الثانية .

وأقوال المفسرين تبين أن هناك قيماً لغوية نتجت عن التمايز بين التعريف والتنكير للفظ (السلام) الوارد في الآيتين المباركتين ، ومن هذه القيم :

١ - أن اللام في (السلام) هي ((للجنس، فإذا قال: وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم ونظيره قوله تعالى : {رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى} (٤). يعني أن العذاب على من كذب وتولى (((٥).

٢ - أن ((لفظ السلام بألف واللام يدل على أصل الماهية والتنكير يدل على أصل الماهية مع صفة الكمال)) (٦). وأصل ماهية السلام أنه ((بمعنى السلامة وقول الناس السلام عليكم ، أي السلامة من الله عليكم)) (٧).

(١) سورة مريم : ١٥ .

(٢) السورة نفسها : ٣٣

(٣) ينظر الكشف والبيان : ٢٠٨/٦

(٤) سورة طه : من الآية ٤٧

(٥) الكشف : ١٦/ ٣ .

(٦) مفاتيح الغيب : ١٠ / ١٦٤ .

(٧) العين : ٢٦٥ / ٧

أما (سلام عليك) فمعناه : ((سلام كامل تام شريف رفيع عليك)) (١)

٣- التنكير في (سلام) أبلغ؛ لذلك فقد اقترن تنكيره بما جاء من الله كقوله تعالى : {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} (٢).

وقوله عز من قائل :{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} (٣).

وقوله تعالى شأنه : { سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ } (٤). وهو لذلك يحمل معنى التعظيم (٥).

-
- (١) مفاتيح الغيب : ١٦ / ١٣٧ .
(٢) سورة الأنعام : من الآية ٥٤ .
(٣) سورة النمل : من الآية : ٥٩
(٤) سورة يس : ٥٨ .
(٥) ينظر المحرر الوجيز : ٦٨/ ٤ .

استبدال الحروف:

الحرف كما عرفه النحويون هو: ((كلمة تدلُّ على معنى في غيرها)) (١).
بمعنى أننا إذا قلنا ((الغلام فهم منه المعرفة ولو قلت (ال) مفردة لم يفهم منه معنى،
فإذا قرن بما بعده من الاسم أفاد التعريف في الاسم فهذا معنى دلالة في غيره)) (٢).
والقياس اللغوي يقتضي أن يكون لكل حرف معنى وضع له ولا يكون لغيره (٣).
ووفق ذلك المبدأ وضَّح النحويون معاني الحروف في مصنفات كثيرة ، وعُدَّت هذه
المعاني الأصل في استعمال الحروف .
ثم أكدوا أن ما خالف هذا الأصل من الاستعمال اللغوي يدخل في باب التوسع
والمجاز أو غيرها من الملامح البلاغة .
ومسألة مجيء بعض الحروف بمعنى حرف آخر مسألة شائكة فيها آراء وأقوال،
ودونت فيها مباحث كثيرة بعنوان: النيابة، والتعاور، والتعاقب، وغيرها ، فالكتابة
على شاكلتها تحت عنوان (الاستبدال) يعني ترديد أقوال القدماء والمحدثين التي
ذكرت في مواطن كثيرة من الدراسات القديمة والدراسات الحديثة .
لكن الباحث ارتأى أن يكون بيان القيمة في ضوء استبدال الحروف عبر اختيار
نصين من الذكر الحكيم يتفقان في الدلالة العامة أو يتقاربان دلاليًا ، مع اختلاف في
حرف معنى واحد بينهما يقوم عليه الترجيح للقيمة التي نحن بصدددها.
ويمكن الاستشهاد لهذا الاستبدال بالآتي :

-
- (١) الجنى الداني: ٢٠ / ١
(٢) شرح المفصل: ٤٤٧ / ٤ .
(٣) ينظر تصحيح الفصيح وشرحه : ٣٥٥ / ١

النموذج الأول :

قال تعالى : { قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا } (١).

وقال عزمن قائل {قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (٢).

تتحد الدلالة في النصين المباركين في :-

١- أن القول في كلا الآيتين كان على لسان نبي ، فأول يحكي قول النبي إبراهيم عليه السلام لأبيه (٣) ، في حين يصور الثاني قول نبي الله يعقوب عليه السلام لأولاده (٤) .

٢- كلاهما كان قد طلب من الله سبحانه وتعالى : المغفرة لخاصة من أهل بيته .

ويكاد يكون الفارق الدلالي الأكثر وضوحاً في الآيتين الكريمتين هو أن الحق سبحانه وتعالى قد استعمل في الآية الأولى (السين) مع الفعل المضارع (سأستغفر)، وعدل عنه في الآية الثانية إلى (سوف) مع الفعل نفسه (سوف استغفر).

انطلاقاً من القول القائل: إن ((كل حرف في القرآن له معنى ووظيفة ويؤدي معناه ضمن السياق الذي ورد فيه ، وإذا حذف اختل المعنى وضعف التركيب ونقصت الدلالة)) (٥)، فإن ذلك معناه:

أن دلالة: (سأستغفر لك ربي، تختلف عنها في : سوف أستغفر لكم ربي).

جاء في المقتضب: إن قولك : ((هو يصلي أي: هو في حال صلاة، وهو يصلي غداً، فإذا قلت: سيفعل، أو سوف يفعل، فقد أخلصت الفعل لما لم يقع)) (٦).

(١) سورة مريم : ٤٧ .

(٢) سورة يوسف : ٩٨

(٣) ينظر الكشف والبيان : ١٠١/٥

(٤) ينظر المصدر نفسه : ٥ / ٢٥٧

(٥) القرآن ونقض مطاعن الرهبان : ١ / ٥٣٢ .

(٦) المقتضب : ١ / ٤٧

اي أن: كل منهما يدل على الإستقبال ، لكن في ((سوف دلالة على زيادة التنفيس ومنه سوفته)) (١)، ومعنى(سوفته) أي: أطلت الميعاد، كأنك أشتقت من اللفظ (سوف)فعلاً (٢).

والذي يستسقى من كلامهم أن :

(سوف أستغفر)، فيها دلالة على طول الأمد ، والوقت فيها أبعد من قولنا :سأستغفر.

بمعنى أن القيمة لحرفي المعنى(السين وسوف) مختلفة إذا ما عرفنا أن القيمة هي : ((المعنى الذي تعطيه جماعة ما لإشارات اللسان ولتحقيق في الكلام))(٣). وتأسيساً على ما تقدم فإننا يمكن أن نصل إلى حقيقة القيمة في إطار تعريف حرفي الإستقبال أنف الذكر مشفوعاً بما يوافقه ويعضده من أقوال والآراء المفسرين. ويمكن أن يختصر الباحث ذلك بالآتي :

١- استعمل النص القرآني لفظ (سوف ستغفر) ؛لأن يعقوب عليه السلام أخر الدعاء لوقت السحر فهو أقرب إلى الاستجابة ،(٤) قال تعالى:﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٥) فكان استعمال(سوف) يتماشى مع هذا المعنى .

٢- لم يبادر نبي الله يعقوب (عليه السلام) بالاستغفار لهم لينبئهم على عظيم ما فعلوه وهو أمرٌ لا ينبغي معه المبادرة بالاستغفار ليكون رادعاً لهم . (٦)

٣- إن دلالة (سوف) تعني التسوية للفعل وتأخيرها، وذلك يفسره قول أحد

(١) المفصل في صناعة الإعراب : ٤٣٥ .

(٢) ينظر شرح المفصل: ٩٦ / ٥ .

(٣) فهم فرديناند دي سوسير وفقاً لمخطوطاته : ٢٤ .

(٤) ينظر معاني القرآن : ١ / ١٩٩ .

(٥) سورة الذاريات : ١٨ .

(٦) ينظر النكت في القرآن الكريم : ٢٦٨

المفسرين: إن يعقوب (عليه السلام) كان ناوياً تأخير الاستغفار لهم ليعلم صدق توبتهم و اعترافهم بذنبهم . (١)

٤- أما استعمال حرف (السين) مع خطاب إبراهيم (عليه السلام) لأبيه ؛لأنه خطابٌ لا يحتمل التسويف والتأخير، فالنبي (عليه السلام) قال سأسأل الله لك التوبة لتنال بها مغفرة (٢)، وقيل بادر وقال : رب اهده إلى الإيمان، و أخرج من الضلال ، فلم يرد له أن يبقى على كفره لذلك عجل له بالدعاء (٣). ليهديه الله ويغفر ذنوبه (٤).

ولعل ما يعنينا من هذه الاقوال أن الاستبدال الحرفي بين (السين) و(سوف) أسس قيمة لغوية استوعبت التركيبين ، بمقتضى المعاني التي مرت من أقوال المفسرين .

(١) ينظر الكشاف : ٢ / ٥٠٤ ، مفاتيح الغيب : ١٨ / ٥٠٩ .

(٢) ينظر فتح الرحمن : ١ / ٣٥٦ .

(٣) ينظر روح المعاني : ٨ / ٤١٧ .

(٤) ينظر النكت والعيون : ٣ / ٣٧٥ .

الخاتمة

ما من شك في أن ما وصلت إليه اللسانيات الحديثة من رقي في المجال اللغوي، هي نتيجة ما قدمه فرديناند دي سوسير من أعمال قيمة في محاضراته اللسانية .

والكثير من المدارس اللسانية الحديثة هي في الحقيقة امتداد لتأثيرها بفكره الرائد ، وعلى الرغم من الصعوبات التي اقترنت مع أفكاره ورؤاه ، إلا أن الباحث حاول جاهدا تذييل تلك الصعوبات، واستيضاح الغموض في محاضراته، عبر ما كتب حول تلك التقارير.

وفي محاولة لطى الصفحات الأخيرة من البحث ، وجد الباحث أن هناك نتائج وتوصيات تتعلق بالموضوع، و يمكن اختصارها بالاتي :

- ظهر للباحث أن مصطلح (الدلالة القرآنية)، يكاد يكون مقاربا لمصطلحات القدماء (معاني القرآن ، غريب القرآن ، مجاز القرآن) بلحاظ المنهج المتبع في تأليف هذه المصنفات .
- أن أولى المصنفات التي وصلتتنا في مجال الدلالة القرآنية هو كتاب (تفسير غريب القرآن) لزيد بن علي الشهيد عليه السلام .
- وضوح منهج الثنائيات بوصفه منهجا اعتمده دي سوسير في دراسته للغة ، كثنائية الدال والمدلول ، والدلالة والقيمة ، والمحور التركيبي، والمحور الاقتراضي، وغيرها مما جاء في لسانياته .
- يعد مفهوم القيمة من استحداثات دي سوسير، إذ استعاره من علم الاقتصاد ، ومن ثم وظفه في الدراسة اللغوية .
- تجلّى مفهوم القيمة اللغوية في أفكار بعض اللغويين العرب، ومفسمري القرآن الكريم ، لكنه لم يكن بالعنوان نفسه أو التنظير الذي وضعه دي سوسير ، بل وجد الباحث بعض التطبيقات المشابهة له في آثارهم الفكرية، وكانت أفكار القاضي عبد الجبار، والقاضي الجرجاني، اقرب شيء إلى رؤى دي سوسير في هذه المفردة.

- ارتبط مفهوم القيمة اللغوية عند دي سوسير بفهومين آخرين ،هما (المحور التركيبي والمحور الاقتراني) ،ويُجمع اللسانيون أن هذين المفهومين لم يذكرهما أحد قبله، وأنه صاحب الريادة فيهما .
 - أن مصطلح الإشارة اللغوية وما تدل عليه، هي أيضا من استحداثات فكر دي سوسير، وفيه قضى على ثنائية اللفظ والمعنى ؛ لأن الإشارة اللغوية عنده أحادية لا يمكن فصلها .
 - إن منهجية الاستبدال المتسلسل الذي اعتمده الباحث في الفصل الثاني هي – بحسب إطلاعه – منهجية جديدة في دراسة الدلالة القرآنية، صياغة وتطبيقا ونتائجها تتصف بالدقة ،لاسيما وانها تعتمد مبدأ التقابل وتحليل المختلف منه.
 - أظهرت اقترانات المحور الاقتراني، التي ظهرت في تحليل الآيات المباركة، قدرة اللغة وسعتها على التعبير عن مضمون واحد بألفاظ مختلفة، اعتمدها المفسرون في تفسيرهم للقرآن الكريم .
 - بينت اقترانات المحور الاقتراني أيضا، ما تملكه اللفظة القرآنية من سعة في المعنى، لدرجة أنها استوعبت كل تلك الاقترانات من جانب ، ودقة متناهية في التعبير عن المقصود من جانب آخر .
 - بيّن دي سوسير أن القيمة تختلف عن الدلالة ؛ لكن في الوقت نفسه يمكن أن تقترب منها لدرجة يصعب التمييز بينهما .
 - يقوم مفهوم القيمة اللغوية على أساسيين هما :
- أولا : عبر مقارنة الكلمة بما يشابهها وقد طبقه الباحث في الآيات المباركة ،لاسيما الآيات الواردة في قصص القرآن الكريم التي إنمازت بألفاظ متقاربة دلاليا كقصة خرق السفينة ، وقتل الغلام ، فيما حكاها القرآن الكريم ،مع النبي موسى عليه السلام .
- ثانيا : عبر موازنة الكلمة بما يختلف عنها ، وكان تطبيقه في الآيات التي تحوي على مختلفات مثل الأسماء:(الظالمون والكافرون والفاسقون)، أو الأفعال (يعقلون ،يسمعون ، يتفكرون) وغيرها .

- يمكن وفق منهجية هذه الدراسة تقديم دراسة لألفاظ القرآن الكريم ودلالاتها عبر المتشابه أو المختلف ، والنظر في إثثار لفظ (الرب) مثلا من دون (الخالق) في أكثر من سياق في القرآن الكريم وهكذا فيما يخص المختلف .
- أن منهج الاستبدال الأحادي بنوعيه (في محور اقتراني وحيد، وفي محاور اقترانية متعددة) يمكن أن يطبق ويدرس في كل آية من آيات القرآن الكريم، ومنه إثثار لفظ (الرحمن) من دون (الكريم، العليم، العلي...) في آية البسمللة، وهكذا في باقي ألفاظها .
- في الاستبدال المتسلسل (الثنائي ، الثلاثي ، الرباعي) تتضح قيمتان : الأولى : قيمة الكلمة في سياقها قبل مقارنتها بغيرها ، كوصف يوم القيامة على لسان الأنبياء عليهم السلام في سياقات مختلفة بأنه : (يوم عظيم) ومرة (يوم كبير) وأخرى (يوم أليم) وفي سياق (يوم محيط) .
- الثانية : قيمة أكبر تتحدد بمجموع كلمات الاستبدال في سياق واحد . فيكون وصف يوم القيامة بأنه : يوم عظيم و كبير و أليم و محيط .
- في استبدال الألفاظ المتشابهة دلاليا تقصر امتدادات المحور الاقتراني ويكون الفارق التمايزي بين ألفاظه دقيق جدا ، ولا يدرك إلا بالتفتيش في النصوص العربية المقاربة أو عند بعض المفسرين .
- في الاستبدال المتقابل يطول المحور الاقتراني إلى أقصى طرفيه، والدلالة القرآنية قد تستوعب ذلك الامتداد كله، كاستبدال لفظي (وراء ، وأمام) الوارد في مبحثه .
- يبرز مفهوم الزمن الصرفي والزمن النحوي في استبدال زمن الفعل، والدلالة القرآنية تتضح عبر جعل أحداث الزمن الماضي كأنها حاضرة الحصول، أو أحداث المستقبل كأنها قطعية التحقق .

- القرآن الكريم

❖ الكتب المطبوعة

- الإتيان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)،

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١،

١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م .

- ارتشاف الضرب من لسان العرب : لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن

حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥ هـ)، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد،

مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن

مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- أساسيات اللغة : لـ(ر.ل. تراسك)، ترجمة: رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة

، ط ١، ٢٠٠٢ م .

- الأساليب والإطلاقات العربية: لأبي المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف

المنياوي، المكتبة الشاملة، مصر، ط ١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة

والبيان: لمحمود بن حمزة بن نصر، أبي القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج

ثبت المطالع والمراجع

القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.

أسرار اللغة : لإبراهيم أنيس ، مصر ، ط ٥ ، ١٩٧٥ م.

_ الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية : للدكتور مجيد عبد الحميد ناجي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م.

- الأسلوبية والأسلوب : للدكتور عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط ٣ ، (د.ت).

_ إشكالية المعنى في الجهد التفسيري : للدكتور نجاح فاهم العبيدي، نون للطباعة الحديثة ، ط ١ ، ١٤٣٨ هـ _ ٢٠١٦ م .

- الإصابة في تمييز الصحابة: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض

، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١ ، ١٤١٥ هـ.

-الأصان في علوم القرآن: للأستاذ الدكتور. محمد عبد المنعم القيقي رحمه الله ، ط ٤ ، ١٤١٧ هـ _ ١٩٩٦ م .

-الأصول في النحو: لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.

-إعجاز القرآن : لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) ، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - مصر، ط ٥ ، ١٩٩٧ م .

- الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم: جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة علي بن

نايف الشحود، مكتبة الرشد ، الرياض، ط ١ ، ١٩٨٩.

- إعراب القرآن الكريم: لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق، عبد المنعم خليل إبراهيم

، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ، ١٤٢١ هـ.

_ الأعلام: لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى:

١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ١٥ ، ٢٠٠٢ م.

- أعلام الفكر اللغوي : ل (روي هاريس وتولبت جي تيلر)، ترجمة : د أحمد شاكر الكلابي، دار

الكتاب الجديد المتحدة ، بنغازي_ ليبيا ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م.

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، للدكتور محمود احمد نحلة، ط ١ ، دار المعرفة

الجامعية ، مصر، ٢٠٠٦ م.

- أمالي ابن الحاجب: لعثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبي عمرو جمال الدين ابن

الحاجب الكردي المالكي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، تحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار

عمار _ الأردن، دار الجيل - بيروت ، ١٤٠٩ هـ _ ١٩٨٩ م .

- الأنماط الشكلية لكلام العرب نظرية وتطبيقا دراسة بنيوية: لجلال شمس الدين ، مؤسسة

الثقافة الجامعية، شارع سويتز ، الإسكندرية ، ١٩٩٥م

ثبت المطالع والمراجع

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي

البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث

العربي - بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.

- الإيضاح في علل النحو : لأبي القاسم الزجاجي (المتوفى ٣٣٧هـ)، تحقيق : د مازن

المبارك، دار الفائس _ بيروت ، ط٣، ١٩٧٩ م .

- الإيضاح في علوم البلاغة: لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبي المعالي، جلال الدين

القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم

خفاجي، دار الجيل - بيروت، ط٣ .

- البحث الدلالي عند ابن سينا : للدكتور مشكور كاظم العوادي ، مؤسسة البلاغ ، بيروت _ لبنان

، ط١ ، ١٤٢٤ هـ _ ٢٠٠٣ م .

- البحث عن فردينان دوسوسير : لـ (ميشال أريفيه) ، ترجمة : الأستاذ الدكتور محمد خير

محمود البقاعي ،مراجعة : د. نادر سراج ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١، ٢٠٠٩ م .

- بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى:

٣٧٣هـ) دار ابن حنّـزم - بيروت، ط١ ، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

- البحر المحيط: لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد

جميل، دار الفكر - بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ.

ثبت المطابع والمراجع

- البرهان في علوم القرآن: للإمام محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، حققه: محمد أبو

الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط ١، ١٣٧٦ هـ

- ١٩٥٧ م.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب

الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون

الإسلامية _ لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

- بيان إعجاز القرآن: لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف

بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) تحقيق: محمد خلف الله، الدكتور. محمد زغلول سلام، دار

المعارف، مصر، ط ٣، ١٩٧٦ م.

- بيان المعاني: لعبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى:

١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقى - دمشق، ط ١، ١٣٨٢ هـ _ ١٩٦٥ م.

- تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: عبد

الستار أحمد فراج، الكويت، ١٩٦٥ م.

تأويل مشكل القرآن: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق

: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- التبيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ، تحقيق :

أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب قصير ، المطبعة العلمية ، ومطبعة النعمان ، النجف

الأشرف ، ١٩٥٧م.

- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور: لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن

عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر _ تونس، ١٩٨٤ م .

- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن

حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: سمير المجذوب، المكتب

الإسلامي، ط١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

- تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم): لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن

بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: طارق فتحي السيد، دار الكتب

العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٥ هـ _ ٢٠٠٤ م .

- التسهيل لعلوم التنزيل: لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي

الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) ، تدقيق د. عبد الله الخالدي ، شركة دار الأرقم بن أبي

الأرقم - بيروت ، ط١ ، ١٤١٦ هـ .

ثبت المطالع والمراجع

- تصحيح الفصيح وشرحه: لأبي محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزبان

(المتوفى: ٣٤٧هـ)، تحقيق: د. محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

_ القاهرة ، ١٤١٩ هـ _ ١٩٩٨ م.

- التصوير الفني في القرآن الكريم: لسيد قطب ، دار الشروق - القاهرة ، ط ١٤ ، ١٩٩٣.

- التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية : لعلي علي صبح ، المكتبة الأزهرية للتراث.

- التضمين النحوي في القرآن الكريم : لمحمد نديم فاضل، مكتبة دار السلام ، ط ١ ،

١٤٢٦ _ ٢٠٠٥.

- التعريفات : للسيد الشريف محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار

الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ.

- تفسير ابن باديس: لعبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ) تحقيق:

أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط ١، ١٤١٦ هـ _ ١٩٩٥ م .

- تفسير ابن عرفة: لمحمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبي عبد الله

(المتوفى: ٨٠٣هـ)، تحقيق: الدكتور حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية _

تونس، ط ١، ١٩٨٦ م.

- تفسير ابن فورك :لمحمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، (المتوفى: ٤٠٦هـ)

، تحقيق: علال عبد القادر بندويش ، جامعة أم القرى _ المملكة العربية السعودية ،

ط ١، ١٤٣٠ _ ٢٠٠٩ م.

ثبت المطاوع والمراجع

- تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن: لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله

الحسني الحسيني الإيجي الشافعي (المتوفى: ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية _ بيروت،

ط١، ١٤٢٤ هـ _ ٢٠٠٤ م .

- تفسير الجلالين: لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد

الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الحديث - القاهرة، ط١.

- تفسير السعدي: لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) تحقيق : عبد

الرحمن بن معلا اللويحق ،مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ _ ٢٠٠٠

- تفسير السمعاني: لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني(ت ٤٨٩هـ)، تحقيق

:ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن ، الرياض_ السعودية، ١٤١٨ هـ_

١٩٩٧م.

- تفسير الشعراوي : للشيخ محمد متولي الشعراوي، دار السلام للنشر والتوزيع ،الرياض ، (د.ت)

.

- تفسير غريب القرآن المجيد: للامام أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب

العلوي الهاشمي القرشي (ت ١٢٢ هـ) ت: د محمد يوسف الدين ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ_

٢٠٠١م.

ثبت المصادر والمراجع

- تفسير القرآن : لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن

السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن

إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم - بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

- تفسير القرآن العظيم (لابن أبي حاتم): لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر

التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب،

مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٩ هـ.

- تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت

٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون

- بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ .

- التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر

العربي - القاهرة .

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة

والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط ١.

- التفسير والمفسرون: للدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة،

القاهرة .

- تفسير المراغي: لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .

ثبت المصادر والمراجع

تفسير المظهري: لمحمد ثناء الله المظهري، تحقيق : غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية -
الباكستان، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .

- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: للدكتورة وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار
الفكر المعاصر - دمشق، ط ٢ ، ١٤١٨ هـ .

- التفسير الوسيط للقرآن المجيد: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي،
النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين
، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ _ ١٩٩٤ م.

-تكملة المعاجم العربية: لـ (رينهارت بيتر آن دُوزي) (المتوفى: ١٣٠٠ هـ)،نقله إلى العربية
وعلق عليه: محمّد سليم النعيمي،و جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية
العراقية ، ط ١، من ١٩٧٩ _ ٢٠٠٠ م.

_تهذيب اللغة:لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري(ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد عوض
مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت ط ١، ٢٠٠١ م.

-التوقيف على مهمات التعاريف: لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق : د محمد رضوان
الداية،دار الفكر المعاصر ، عالم الكتب -القاهرة، ط ١ ، ١٤١٠ هـ_١٩٩٠ م .

-جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبي جعفر
الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ _ ٢٠٠٠ م.

ثبت المطاوع والمراجع

- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: لنصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبي الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ)، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، ١٣٧٥هـ .
- الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) . تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٨٤هـ _ ١٩٦٤ م .
- جماليات الأسلوب ، الصورة الفنية في الأدب العربي : للدكتور فايز الدايدة ، دار الفكر المعاصر للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٩٠ .
- جمهرة اللغة: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧م .
- الجنى الداني في حروف المعاني: لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة ، الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١ ، ١٤١٣ هـ _ ١٩٩٢ م .
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن : لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .

ثبت المطالع والمراجع

- حاشية الشَّهابِ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ، الْمُسَمَّاةُ: عِنَايَةُ الْقَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّاضِي عَلَى تَفْسِيرِ

الْبَيْضَاوِيِّ: لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى:

١٠٦٩هـ)، دار صادر - بيروت.

- الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: الدكتور محمد علي النجار،

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٤ .

- دراسات في أصول اللغات العربية: لأبي مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح بن عبد الرحيم

بن الملا محمد عظيم القارئ المدني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ٦ ، ١٩٧٤م.

- درة التنزيل وغرة التأويل: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب

الإسكافي (المتوفى: ٤٢٠هـ)، تحقيق: الدكتور محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى،

وزارة التعليم العالي، معهد البحوث العلمية - مكة المكرمة، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن

عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط

، دار القلم، دمشق .

- الدر المنثور في التفسير بأماثور: لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي

(المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت، (د.ت).

- دروس في الألسنية العامة: لـ(فردينان دي سوسير) ، ترجمة: صالح القرمادي، محمد

الشاوش ، محمد عجيبة ، الدار العربية للكتاب ، ط ١ ، ١٩٨٥ م .

ثبت المطالع والمراجع

- دلائل الإعجاز: لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق:

محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط ٣، ١٤١٣هـ -

١٩٩٢م .

- دلالة الألفاظ: للدكتور. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط ٢، ١٩٦٣.

- الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، للدكتورة: صفية مطهري، وهران - الجزائر، ط ١،

٢٠٠٢م .

- ديوان امرئ القيس: تحقيق الدكتور محمد رضا مروة، الدار العالمية، بيروت - لبنان، ط ١

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

- ديوان البحري: (الوليد بن عبيد)، دار صادر، بيروت - لبنان .

- ديوان الخرنق بنت بدر هفان: رواية أبي عمر بن العلاء، تحقيق: يسري عبد الغني

عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م .

- ديوان الشماخ بن ضرار، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر، ط ١،

١٩٦٨م .

- ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعبيد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد،

١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

- ديوان العرجي (عبد الله بن عمر) تحقيق: خضر الطائي ورشيد العبيدي، الشركة

الإسلامية للطباعة والنشر، بغداد، ط ١، ١٩٥٦م .

ثبت المطالع والمراجع

- ديوان عمرو بن كلثوم ، تحقيق: أميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
- ديوان عنتر بن شداد : تحقيق : محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢ ، ١٩٨٣ م .
- ديوان ليبد بن ربيعة العامري، تحقيق : إحسان عباس، وزارة الإعلام ، الكويت ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م .
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبي زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ) تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ _ ١٩٨٨ م .
- دور الكلمة في اللغة : لـ(ستيفن أولمان) ترجمة : كمال بشر، القاهرة، ١٩٩٠ .
- روائع البيان تفسير آيات الأحكام: لمحمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي _ دمشق، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت، ط ٣ ، ١٤٠٠ هـ _ ١٩٨٠ م
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) ، مطبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان، (د.ت).
- زاد المسير في علم التفسير: لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ ..

ثبت المطالع والمراجع

- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور

(المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع.

_ زهرة التفاسير: لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى:

١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي .

- سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) ، دار الكتب العلمية،

١٤٠٢هـ_١٩٨٢م

_ السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: لشمس الدين،

محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) -

القاهرة، ١٢٨٥ هـ .

- سنن الترمذي : لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩ هـ) ،

تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي -

مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ _ ١٩٧٥ م.

_سوسير رائد علم اللغة الحديث : للدكتور محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي _

القاهرة .

ثبت المطالع والمراجع

- شرح الأبيات المشكلة للإعراب: للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبي علي

(المتوفى: ٣٧٧هـ)، تحقيق وشرح: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة

- مصر، ط١، ١٤٠٨ هـ _ ١٩٨٨ م.

- شرح ديوان أبي تمام (حبيب بن أوس)، ضبط وشرح: شاهين عطية، دار الكتب

العلمية، بيروت .

- شرح ديوان الحماسة : اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ): لأبي زكريا يحيى بن

علي بن محمد الشيباني التبريزي، (المتوفى: ٥٠٢هـ)، دار القلم - بيروت.

- شرح طيبة النشر في القراءات : لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن

يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، تحقيق : الشيخ أنس مهرة ، دار الكتب العلمية - بيروت ،

ط٢، ١٤٢٠ هـ _ ٢٠٠٠ م .

- شرح كتاب سيبويه: لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: د رمضان عبد التواب، و

آخرون ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط٣ ، ١٤٣٥ هـ _ ٢٠١٤ م .

- شرح المفصل: لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق : أميل بديع

يعقوب ، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ _ ٢٠٠١ م .

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي

(المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤

١٤٠٧ هـ _ ١٩٨٧ م.

ثبت المصادر والمراجع

- . الصناعتين الكتابة والشعر: لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : محمد عليّ

البجاويّ ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة البابي الحلبيّ، المكتبة العصرية _ بيروت،

١٤١٩ هـ.

_ الصوت اللغوي في القرآن الكريم :للدكتور محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ

العربي، ط١ ، ٢٠٠٠ م .

الطبقات الكبرى: لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي

المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)،تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية -

بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

-الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم،

الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية -

بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.

- عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتن في العربية ونحوها : للدكتور زهران البدرابي، دار

المعارف القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨١ م.

-العقد الفريد:لأبي عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن

سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية _ بيروت

ط١، ١٤٠٤ هـ .

ثبت المصادر والمراجع

- علم الدلالة : للدكتور أحمد مختار عمر ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٨٢ .
- علم الدلالة : لـ (أف.أر . بالمر) ، ترجمة الماشطة ، مطبعة العمال المركزية _ بغداد ، ١٩٨١ م .
- علم الدلالة : لـ (جون لاينز) ، ترجمة : مجيد عبد الحميد الماشطة ، وحليم حسين فالح ، وكاظم حسين باقر _ مطبعة جامعة البصرة _ ١٩٨٠ .
- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي : لمنقور عبد الجليل ، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- علم اللغة العام : لـ (فرديناند دي سوسور) ، ترجمة : د يوثيل يوسف عزيز ، نشر بيت الحكمة ، الموصل _ العراق ، ط ٣ ، ١٩٨٨ م .
- _ علم اللغة العربية : للدكتور محمود فهمى حجازى ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .
- _ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : لمحمود السعران ، دار الفكر العربي ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٩٧ م .
- علم اللغة النفسي : لـ (توماس سكوفل) ، ترجمة : الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز ، الرياض ط ١ ، ١٤٢٤ هـ .

ثبت المصادر والمراجع

- العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، (د.ت).

_ غرائب التفسير وعجائب التأويل: لمحمود بن حمزة بن نصر، لأبي القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية
_ جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت (د.ت).

_ غريب القرآن: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨ هـ _ ١٩٧٨ م.

_ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبي يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ _ ١٩٨٣ م.

_ فتح القدير: لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب _ دمشق، بيروت، ط ١ ، ١٤١٤ هـ.

_ الفرق بين الضاد والظاء فى كتاب الله عز وجل وفى المشهور من الكلام: لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر - دمشق، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ _ ٢٠٠٧ م.

ثبت المصادر والمراجع

الفروق اللغوية: لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

- فصول في علم اللغة العام: لـ (فرديناند دي سوسير)، ترجمة: أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية - مصر، ط ١.

- فقه اللغة وخصائص العربية: لمحمد المبارك، دار الفكر، ط ٧، ١٩٨١ م.

- الفهرست: لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

- فهم فرديناند دوسوسور وفقا لمخطوطاته: لـ (لويك دوبيكير)، ترجمة: ريماء بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط ١، ٢٠١٥ م.

- الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية: لنعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ)، دار ركابي للنشر، الغورية - مصر، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

- في البنية والدلالة، رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية: للدكتور سعد أبو الرضا

محمد، مشاة المعارف، الإسكندرية - مصر، ط ١، ١٩٨٧ م.

ثبت المطابع والمراجع

- في ظلال القرآن: لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق _ بيروت _ القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢ هـ..
- قراءات في النظم القرآني: للدكتور عبد الواحد المنصوري، الفيحاء للطباعة والنشر، بيروت _ لبنان، ط ١، ١٤٣٤ هـ _ ٢٠١٤ م.
- القرآن ونقض مطاعن الرهبان: للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق، ط ١، ١٤٢٨ هـ _ ٢٠٠٧ م.
- القول السديد في علم التجويد: لعلي الله بن علي أبي الوفا، دار الوفاء _ المنصورة ط ٣، ١٤٢٤ هـ _ ٢٠٠٣ م.
- الكتاب: لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨ هـ _ ١٩٨٨ م.
- كشف اصطلاحات الفنون والعلوم: المؤلف: لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لمحمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.

ثبت المصادر والمراجع

- كشف المعاني في المتشابه من المثنى: لأبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن

جماعة الكنانى الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: ٧٣٣هـ)، تحقيق: الدكتور عبد

الجواد خلف، دار الوفاء . المنصورة ، ط١ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

- الكشف والبيان : لأبي اسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت ٤٢٧هـ) ، تحقيق

: الإمام أبي محمد بن عاشور ، تدقيق : الأستاذ نظير الساعدي، دار التراث العربي ، بيروت

_ لبنان، ط١ ، ١٤٢٢_٢٠٠٢م.

- اللباب في علوم الكتاب: لعمر بن علي بن عادل (ت ٨٨٠هـ)، تحقيق : الشيخ عادل أحمد

عبد الموجود، وآخرين ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٤١٩ هـ _ ١٩٩٨م.

- لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ) ، دار صادر،

بيروت، ط٣ ، ١٤١٤ هـ .

- لسان الميزان: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى:

٨٥٢هـ) تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت -

لبنان، ط٢ ، ١٣٩٠ هـ _ ١٩٧١م.

- لطائف الإشارات : لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)،

تحقيق: إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط٣ .

- اللغة : لـ (فندريس) ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، الأنجلو

المصرية، ١٩٥٠م.

ثبت المصادر والمراجع

_ اللغة العربية معناها ومبناها: للدكتور تمام حسان عمر، عالم الكتب، طه ،
٤٢٧هـ _ ٢٠٠٦م .

- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: للدكتور فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل
البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط٣ ، ١٤٢٣ هـ _
٢٠٠٣ م .

- مباحث في علوم القرآن: لصبحي الصالح، دار العلم للملايين ، ط٢٤ ، ٢٠٠٠ .
- مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ) ، تحقيق:
محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط١ ، ١٣٨١ هـ .

- مجمل اللغة لابن فارس: لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين
(المتوفى: ٣٩٥هـ) وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢ ،
١٤٠٦ هـ _ ١٩٨٦ م .

- محاضرات في الألسنية العامة: لـ (فرديناند دي سو سير) ، ترجمة : الدكتور يوسف غازي
، مجيد النصر ، دار النعمان للطباعة والنشر ، جونية _ لبنان، ط١ ، ١٩٨٤ م .
- محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة :لشفيقة العلوي، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع
، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٤ م .

- محاضرات (كتاب نحوي قديم)، ألقاها: الدكتور نجاح فاهم العبيدي، على طلبة الدكتوراه، بقسم
اللغة العربية، كلية التربية، جامعة كربلاء، للعام الدراسي ٢٠١٥_٢٠١٦ .

ثبت المطابع والمراجع

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) ، ت : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم: : لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية_ بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ _ ٢٠٠٠ م.
- المختصر في تفسير القرآن الكريم: لجماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط٣، ١٤٣٦ هـ.
- مدارس اللسانيات التسابق والتطور :ـ (جفري سامسون)، ترجمة : الدكتور محمد زياد كبة ، النشر العلمي والمطابع _ جامعة الملك سعود ، ١٤١٧ هـ _ ١٩٩٧ م .
- المدارس اللسانية المعاصرة : للدكتور نعمان بوقرة ، مكتبة الآداب _ القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
- مدخل إلى لسانيات سوسير : للدكتور حنون مبارك، علم الكتب _ بيروت ، ط٣ ، ١٩٩١ م.
- _ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) ، تحقيق : يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١ ، ١٤١٩ هـ _ ١٩٩٨ .

ثبت المطابع والمراجع

_مراح لبید لكشف معنى القرآن المجید: لمحمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري
بلدا (المتوفى: ١٣١٦هـ)، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١،

١٤١٧ هـ .

- المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث: ل (تودوروف) وآخرين، ترجمة عبد القادر

قنيني، أفريقيا الشرق _ المغرب ، ط ٢، ٢٠٠٠م.

-معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، حققه وخرّج أحاديثه :

محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة خيرية ، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط ١، ١٤٠٩هـ _

١٩٨٩م.

-معاني القرآن : لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي

، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل، دار المصرية للتلألف والترجمة - مصر،

ط ١ .

-معاني القرآن: لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) ، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، طبع

بمطابع جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ط ١، ١٤٠٩ هـ _ ١٩٨٨م .

_معاني القرآن وإعرابه: لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)،

تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب - بيروت ، ط ١، ١٤٠٨ هـ _ ١٩٨٨م .

-معترك الأقران في إعجاز القرآن : لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي

(المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان. ط ١، ١٤٠٨ هـ _ ١٩٨٨م .

ثبت المطالع والمراجع

- المعجزة الكبرى القرآن :لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) ، دار الفكر العربي.

- المعجم المفصل في شواهد العربية: للدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ _ ١٩٩٦م.

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : لمحمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة ، بيروت لبنان، ط٣، ١٩٩٢م .

- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب ، القاهرة_ مصر، ط١ ، ١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٤م .

- معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (المتوفى: ٣٩٥هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م.

- معرفة اللغة : لـ (جورج يول) ،ترجمة الأستاذ الدكتور محمود فراج عبد الحافظ ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الإسكندرية ، ط١ ، ١٩٩٥ م .

- المغني في أبواب التوحيد والعدل ((عجاز القرآن)): للقاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني ((ت ٤١٥ هـ)) تحقيق: أمين الخولي، القاهرة ١٩٦٠ م.

ثبت المطابع والمراجع

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري

(ت ٧٦١هـ)، تحقيق: د عبد اللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب، مطابع السياسة، الكويت، (د.ت).

- مفاتيح الغيب : للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت ٦٠٦هـ)، دار

إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ.

- مفتاح العلوم: ليوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبي

يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب

العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ _ ١٩٨٧ م.

- المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني

(ت ٥٠٢هـ) تحقيق : صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ،دمشق_ بيروت،

ط ١ ، ١٤١٢ هـ.

- المفصل في صنعة الإعراب: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله

(المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال - بيروت، ط ١ ، ١٩٩٣.

- المقتضب: لمحمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبي العباس، المعروف بالمبرد

(المتوفى: ٢٨٥هـ)، تحقق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب. - بيروت .

- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من آي التنزيل:

لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبي جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)

ثبت المصادر والمراجع

وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- من بلاغة القرآن: لأحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، نهضة مصر - القاهرة، ٢٠٠٥م.

- من روائع القرآن: لمحمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: للدكتور علي زوين، ط١، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، ط١، ١٩٨٦ م.

- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: لأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدي (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط٤.

- موسوعة العلماء والمخترعين: للدكتور إبراهيم بدران، والدكتور محمد أسعد فارس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٧م.

- الموسوعة القرآنية: لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، مؤسسة سجل العرب، ط١، ١٤٠٥ هـ.

- نزول القرآن على سبعة أحرف: لمناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة وهبة - القاهرة، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

- نظرية القصد عند القاضي عبد الجبار المعتزلي: ليلي عباس خميس، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق - بغداد، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

ثبت المصادر والمراجع

- نظرية النظم تاريخ وتطور : للدكتور حاتم صالح الضامن ،وزارة الثقافة والإعلام _ بغداد
١٩٧٩ م .

- النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن الى الذرائعية: لـ (ماري آن بافو، جورج إلي
سرفاتي)، ترجمة : محمد الراضي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت _ لبنان ، ط ،
٢٠١٢ م .

- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث : للدكتور نهاد موسى،المؤسسة
العربية للدراسات والنشر،٩٨٠م.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي
بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د.ت).

- النكت في إعجاز القرآن: لعلي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبي الحسن الرماني
المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ)،تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف
بمصر ، ط٣، ١٩٧٦م .

- النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه): لعلي بن فضال بن علي بن
غالب المُجَاشِعي القيرواني، أبي الحسن (المتوفى: ٤٧٩هـ)،دراسة وتحقيق: الدكتور عبد
الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

- النكت والعيون : لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، تحقيق : السيد بن
عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان،(د.ت).

ثبت المطالع والمراجع

_ النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام: لأحمد محمد بن علي بن محمد الكرّجي القصّاب (المتوفى: نحو ٣٦٠هـ)، تحقيق: علي بن غازي التويجري، إبراهيم بن منصور الجنيد ، شايح بن عبده بن شايح الأسمرى، دار القيم _ دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٤ هـ _ ٢٠٠٣ م.

_ النهاية في غريب الحديث والأثر: لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ،محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية _ بيروت، ١٣٩٩ هـ _ ١٩٧٩ م .

- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه :لأبي محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) تحقيق: الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي وآخرين، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية _ جامعة الشارقة ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ _ ٢٠٠٨ م.

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - مصر .

- الوجوه والنظائر : لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ، تحقيق : محمد عثمان ، : مكتبة الثقافة الدينية _ القاهرة،

١٤٢١ هـ _ ٢٠٠٧ م.

- البحوث والرسائل الجامعية .

-الإتجاه الوصفي ،دوسوسير وعملية الدراسة اللغوية: للأستاذ الدكتور غالب المطلبي

- البدائل النحوية في كتاب سيويه (رسالة ماجستير) : قحطان هادي حسن، كلية التربية للعلوم

الانسانية ،جامعة كربلاء، ٢٠١٥ م .

-ثنائيات اللغة ،أصول النظرية اللسانية (بحث) : للدكتورة دليلة مزور ، محمد خضير ،قسم

الآداب واللغة العربية ،كلية الآداب واللغات بسكرة .

_الخط العمودي والخط الأفقي في اللسانيات الغربية : رياض حمود حاتم ، أحمد كاظم

عماش ، جامعة بابل_كلية الدراسات القرآنية.

ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة (رسالة ماجستير) :لعبد الكريم محمد حافظ العبيدي ،كلية

الآداب - الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٩ م .

- النظرية اللغوية عند فردينان دي سوسير: للدكتور سعد العبد الله الصويان ،كلية

الآداب _جامعة الملك سعود ،

_وعي البعد اللساني في مسألة الدلالة(بحث) : لعبد الوهاب نزو ،مجلة الفكر العربي

المعاصر ،مركز الإنماء القومي ،العدد ٦٨_٦٩ ، ١٩٨٩ م .

Adictionary of linguistics and phonetics:david crystal, blackwell
publishing, fifth,2003 .